

شرح القديس
يوحنا ذهبى الفم

فتمموا فرحي حتى تفتكروا فكرًا واحدًا ولكم محبة واحدة بنفس
لا شيئًا بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض
أنفسهم. ٤ لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو
أيضًا. ٥ فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا ٦ الذي إذ كان
الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله ٧ لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في
الناس. ٨ وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.
لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم ١٠ لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن
في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ١١ ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح
لمجد الله الآب
١٢ إذًا يا أحبائي كما أطعتم كل حين ليس كما في حضوري فقط بل الآن بالأ
ابي تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ١٣ لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن
أجل المسرة. ١٤ افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة ١٥ لكي تكونوا بلا لوم
أولاد الله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم

الرسالة إلى أهل فيلبي



الرسالة إلى أهل

فيلبي

شرح القديس
يوحنا ذهبي الفم

الرسالة إلى أهل فيلبي
(شرح القديس يوحنا ذهبي الفم)

الطبعة : الأولى ٢٠٠٩

إعداد : نشأت مرجان

الناشر : دار النشر الأسقفية ٣٠ ش شبرا- القاهرة- مصر.
ت : ٢٥٧٥٥٣١٦(٠٢٠٢)- ٢٥٧٦٦٧٠٢(٠٢٠٢)
الموقع الإلكتروني : www.darelnashr.com

المطبعة: بيت الفن. ت:٢٢٤٤٣٥٤٦
تصميم غلاف: سيلفر ستار

رقم الإيداع:٢٤١٤٠/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولي: 977-5884-88-8

المقدمة

١– فيلبي هي مدينة مكدونية[١]، مدينة كولونية كقول لوقا الرسول هنا. في فيلـبي تحولت إلى الإيمان امرأة غير عاديـة في تقواها وانتباه ذهنها. فيها آمن حافظ السجن. فيها جُلد (ضُرب بالعصي) بولس وسيلا. فيها طلـب منهم الولاة الرحيل وكانـوا خائفين منهم، وقد بدأت الكرازة فيها بداية ممتازة. وبولس نفسه شهد لهم بشهادات كثيرة وعالية القدر داعياً إياهم إكليله، وأنهم عانوا كثيراً، لأنه قال «**لأنه وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله**» (في١ : ٢٩). لكن عندما كتب لهم هذه الرسـالة كان في قيود، لذلك يقول «**حتى إن وثقي صارت ظاهرة في المسـيح في كل دار الولاية**» (في١ : ١٣)، داعياً قصر نيرون دار الولاية.

لكـن ظهور هذه الوثق التى تحدث عنهـا كان مفيداً، وهذا ما بيّنه لتيموثـاوس بقولـه «**في احتجاجـي الأول لم يحضـر معـي أحد، بل الجميع تركوني. لا يُحسـب عليهم. ولكـن الرب وقف معي وقواني**» (٢تـي٤ : ١٦، ١٧). إذاً فهو يتحدث عن القيود التي كان فيها قبل هذا الاحتجـاج، لأن تيموثاوس لم يكن حاضراً آنذاك، وهذا أمر واضح، لأنه يقـول «في احتجاجي الأول لم يحضر معي أحد»، وهو بكتابته هذه كان

١- كولونيـة أي مسـتعمرة حيث هجّرت الحكومـة الرومانية رعايا رومان إليها، كان لمواطنيهـا لهم كافة حقوق المواطن الروماني.

يخبر تيموثاوس عنها، ولو كان تيموثاوس يعلم ما كان قد كتب له هكذا. لكــن تيموثاوس كان حاضــراً معه عندما كتب هذه الرســالة. وهو يبيّن هذا بما يقوله «**على أني أرجو في الرب يســوع أن أرســل إليكم ســريعاً تيموثاوس**» (في٢ : ١٩).

وأيضــاً قوله «**هذا أرجو أن أرســله (أي يرســل تيموثاوس) أول ما أرى أحوالــي حالاً**» (في٢ : ٢٣). لأنه كان قد تحــرر من القيود ثم أُلقي القبض عليه مرة أخرى. لكن لو أنه يقول «**نعم وأنا انسكب على ذبيحة إيمانكم وخدمته**» (في٢ : ١٧)، فهذا ليس كأنه ســيتحقق الآن، بقدر ما يقصد أن يقول: وعندما يحدث هذا «**أنا أســر وأفرح**» مخلصاً إياهم من الغم الذي أصابهم لقيوده. لأن كون أنه لم يكن على وشك الموت في ذلك الوقت، واضح من قوله «**وأثق بالرب أني أنا أيضاً ســآتي إليكم سريعاً**» (في٢ : ٢٤)، وأيضاً «**وإذ لي هذه الثقة أعلم أني سأبقى معكم جميعاً**».

٢- لكن أهل فيلبي أرسلوا له أبفرودتس ليحمل له بعض المال ويعرف أحواله لأنهم كانوا يحبون الرسول جداً. فلأجل ما أرسلوه أسمعه نفسه يقول «**قد اســتوفيت كل شــيء. قــد امتلأت إذ قبلت مــن أبفرودتس الأشــياء التي من عندكم**» (في٤ : ١٨)، لأن كونهم أرســلوا أيضاً ليعرفوا هــذا (أي أحوالــه)، فهذا قد بيّنه في الحال في مطلع رســالته كاتباً عن أمــوره قائلاً «**ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل**» (في١ : ١٢)، أيضاً (قوله) «**على أني أرجو في الرب يسوع أن أرســل إليكم ســريعاً تيموثاوس لكي أيضاً تطيب نفســي إذ عرفت أحوالكم**» (في٢ : ١٩).

إن عبارة «لكي أيضاً» هي كما لو كان يقصد: لأنكم أرسلتم لكي تطمئنوا وتعلموا الأمور المختصة بي، كذلك «أنا أيضاً» (أرسلت تيموثاوس) لكي تطيب نفسي إذا عرفت أحوالكم.

لذلك من حيث إنهم ظلوا فترة طويلة دون إرسال رسالة للاطمئنان أو معونة مادية لمساعدته، وهذا يبرهنه بقوله «**ثم إني فرحت بالرب جداً لأنكم الآن قد أزهر أيضاً مرة اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه ولكن لم تكن لكم فرصة**» (في٤: ١٠). ، وبعد ذلك سمعوا أنه سُجن. لأنه إن كانوا قد سمعوا عن أبفرودتس أنه كان مريضاً وهو شخص لم يكن في شهرة بولس، فكم بالأولى عندما سمعوا عن بولس، وكان من المنطقي أن ينزعجوا لهذا الأمر، لذلك منحهم تعزية عظيمة من جهة قيوده في مطلع رسالته إليهم، مبيناً لهم أنه ينبغي عليهم ألا ينزعجوا، بل عليهم أن يفرحوا أيضاً. ثم قدم لهم بعد ذلك نصيحة عن الوفاق (فيما بينهم) والتواضع، معلماً إياهم أن في هذا يكمن أمانهم، وأنه بذلك يمكنهم هزيمة أعدائهم (الشياطين) بسهولة، لأن الأمر المؤلم لمعلميكم ليس أن يكونوا في قيود، بل الذي يؤلمهم هو عدم اتفاق تلاميذهم. لأن القيود تجلب مزيداً من التقدم للإنجيل، بينما عدم الاتفاق يشتت الشمل.

٣- لذلك بعد أن نصحهم أن يكونوا ذوي رأي واحد وأظهر لهم أن الاتفاق (اتحاد الآراء) يأتي من التواضع، وجه بعد ذلك سهماً إلى أولئك اليهود الذين كانوا يفسدون التعليم في كل موضع تحت هيئة مسيحية، داعياً إياهم «كلاباً»، أو «**فعلة الشر**» (في٣: ٢)، ومعطياً لأهل فيلبي نصيحة بتحاشيهم، ومعلّماً لهم مَنْ (من المعلمين) يحق الإصغاء إليهم،

وتحـــدث مطولاً عن مواضيع أخلاقية داعياً إياهم إلى النظام (الترتيب)، وأن يعودوا إلى رشـــدهم بقوله «**الرب قريب**» (في٤: ٥)، وهو يذكر أيضاً بحكمته المعتادة ما قد أرسل، وبعد ذلك يمنحهم تعزية فائضة.

لكـــن يبدو أن بولس الرســـول العظيم يعطيهم إكرامـــاً خاصاً بكتابته لهم، ولم يوبخهم أبداً في أي موضع من الرســـالة، الأمر الذي يدل على فضيلتهـــم، إذ أنهم لم يعطوا فرصة لمعلمهم حتى يوبخهم، ولهذا يكتب لهم ليس على سبيل التوبيخ، بل على سبيل التشجيع.

وكما قلت في البداية أيضاً إن هذه المدينة قد أظهرت استعداداً عظيماً للإيمان، إذ أن الســـجان نفســـه (الذي أنتم تعلمون أن عمله مملوء شراً) بســـبب معجـــزة واحدة هرع إليهما في الحال واعتمـــد هو وكل بيته. لأن المعجـــزة التي تمت رآها هو بمفرده، لكـــن الفائدة التي جناها لم يجنها بمفرده، بل زوجته وكل أسرته معه. بل إن الولاة الذين جلدوهما، فعلوا هذا لمجرد دافع فجائي أكثر منه واقعاً شـــريراً، لأنهم أرســـلوا في الحال لإطلاق سراحـهما، ولأنهم خافوا بعد ذلك..

والرســـول يشـــهد لهم، ليس فقط من جهة الإيمان أو في المخاطر، بل أيضـــاً في فعل الخير إذ يقول «**وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل، لما خرجت من مكدونية لم تشـــاركني كنيســـة واحدة في حســـاب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم، فإنكم في تســـالونيكي أيضاً أرسلتم إليّ مرة ومرتين لحاجتي**» (في٤: ١٥، ١٦)، وقد حدث هذا في الوقت الذي لم تشاركه فيه كنيسة أخرى.

وكذلـك فإن انقطاعهم المؤقت عنه لم يكـن بإرادتهم، بل لعدم توفر الفرصة فيقول «**الآن قد أزهر أيضاً مرة اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه ولكن لم تكن لكم فرصة**» (في٤ : ١٠). ليتنا أيضاً نعرف هذه الأشياء ولنا نمـاذج كثيرة مع الحب الذي يحمله لهم - لأن كونه يحبهم جداً يظهر في قوله «**لأنه ليس لي أحد آخر نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص**» (في٢ : ٢٠)، وأيضاً «**لأني حافظكم في قلبي وفي وثقي**» (في١ : ٧).

٤- لذلك إذ نعرف هذه الأشـياء نُظهر أنفسـنا مسـتحقين لمثل هذه الأمثلـة بأن نكون مسـتعدين لأن نتألم لأجل المسـيح. لكن الآن لم يعد يوجد اضطهاد بعد. لذلك إذ لم يعد هناك بديل فلنقتدِ باجتهادهم في فعل الخير ولا نظن أننا لو عملناه مرة أو مرتين أننا قد صنعنا كل شيء. لأنه ينبغـي لنـا أن نصنع هذا على مدى كل حياتنا. لأنه ليس لنا أن نرضي الله لمرة واحدة بل دوماً. إن الذي يشترك في سباق الجري بعد أن يجرى عشـرة أميال ثم يهمل الميل الأخير، فإنه سيخسـر كل شـيء، ونحن لو بدأنا بأعمال حسـنة وخرنا بعد ذلك فإننا نخسـر ونفسـد كل شيء. اسـتمع لذلك النصح المفيد الذي يقول «**لا تدع الرحمة والحق يتركانك**» (أم٣ : ٣). إنه لم يقل أن تفعل هذا مرة ولا مرتين، بل تفعله دوماً إذ قال «لا تدعهما يتركانك» ولم يقل «لا تتركهما» بل قال «لا تدعهما يتركانك» مبينـاً أننـا في احتياج إليهما، وليس هما في احتيـاج إلينا، ويعلّمنا أنه يلزمنـا أن نبذل كل جهد لنحفظهما معاً. وهو يقول أيضاً «**تقلدهما على عنقـك**» (تابـع أم٣ : ٣). لأنه كمـا أن أطفال الأغنيـاء لديهم قلادة من الذهب حول عنقهم ولا يخلعونها أبداً، لأنها تُظهر شرف نسبهم، كذلك

ينبغـــي لنا نحن أيضاً أن نلبس الرحمة دائماً، مظهرين أننا أولاد من هو عطوف ومن هو «**يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين**»(مت٥: ٤٥).

ستقول لي: لكن غير المؤمنين لا يصدقون هذا.

لذلك أنا أقول بأنهم بناء على ذلك سـيصدقون لو عملنا هذه الأعمال (الرحيمة). لو رأوا أننا نشـفق على الكل وسـجّلنا أنفسنا تلاميذ لمعلمنا (المسـيح) سـيعرفون أننا نتصرف هكذا إقتداء به. لأنــه يقول «الرحمة والحق (حرفياً الإيمان الحقيقي)». وحسناً قال الحقيقي لأنه لا يريده أن يكون من اغتصاب وغش. لأن هذا لم يكن «إيماناً» وهذا لم يكن حقاً. لأن الذي ينهب ينبغي حتماً أن يكذب وُيقسـم بنفسه كذباً. لذلك يقول: لا تفعل هذا أنت، بل ليكن لك إيمان مع محبتك.

لنلبـس هـذه القلادة ولنعمل سلسـلة ذهبية، أقصـد (عمل) الرحمة لنفوسـنا طالما نحن هنا، لأنه إذا مضى هذا الدهر لا يمكننا اسـتخدامها بعـد. ولماذا؟ لأنه لا يوجد هناك فقير ولا غني ولا يوجد بعد عوز هناك. وبينما نحن أطفال (روحيون) ليتنا لا نسـلب أنفسـنا من هذه القلادة، لأنه كما مع الأطفال، عندما يصيرون رجالاً، تؤخذ منهم هذه القلادات، ويتقدمـون لنوع آخر، حلية أخـرى، وكذلك أيضاً يكون الأمر معنا، لن يكون هناك بعد تصدق بالمال، بل تصدق بنوع آخر أكثر نبلاً[٢].

ليتنـا إذاً لا نحرم نفوسـنا مـن هذا، ولنجعل نفسـنا تظهر جميلة. عظيمـة هي الصدقـة وجميلة ومكرمة، عظيمة تلـك الهبة لكن الصلاح

٢- ربما يقصد هنا ما يقدمه القديسون في السماء من صلوات لمن يتشفع بهم في الأرض

أعظـم. لو تعملنا أن نحتقر الغنى، سـنتعلم أشـياء كثـيرة إضافية. إذ انظر كم من أشـياء كثيرة حسـنة تنبع من هنا! . لأن الذي يعطي صدقة كمـا ينبغـي له أن يعطي يتعلم أن يحتقر الغنـى. الذي تعلم أن يحتقر الثـروة، قـد قطع أصل كل الشـرور. لذلك فإنه لا يعمل خـيراً (مادياً) أكثـر من (الخـير الروحي) الذي يناله (باحتقار المـال والغنى)، فهو لا يعمـل لمجرد أنه توجد مكافأة مسـتحقة وجزاء للصدقة، بل أيضاً لكي تصير نفسـه بهذا الاحتقار للمال متفلسفة ومتسامية (مرتفعة) وغنية (في الروحيـات ومن نعمة الله). الذي يعطي صدقـة يتعلم ألا يبدي إعجابه بالغنـى والذهب (أي المال). وطالمـا ثبت هذا الدرس مرة في ذهنه، فإنه قد حصل بذلك على خطوة عظيمة في الصعود نحو السـماء وأزال عشـرة آلاف فرصـة نزاع وجدال وغم وغيرة. لأنكم تعلمون جيداً أن كل شـيء يُعمل في سـبيل الحصول على المال، وهناك حروب بلا عدد تُشن لأجل اقتنـاء الغنـى. لكن الذي تعلّم أن يحتقر المال قد وضع نفسـه في ميناء هادئ ولم بعد يخشـى أي ضرر. لأن هذا قد علّمته إياه الصدقة. وهو لم يعد يرغب فيما هو لقريبه، لأنه كيف يرغب فيما هو لقريبه من يشارك بما عنده ويعطي؟!

إنه لم يعد يحسد الشخص الغني، إذ كيف يمكن أن يحسد ذاك الذي هو مستعد أن يصير فقيراً؟ إنه ينقي عَيْن نفسه. وكل هذا يتم هنا (ونحن في العـالم)، ولكن لن يتم إخباره بما سـيجنيه من بركات فيما بعد. إنه لن يبقى خارجاً مع العذارى الجاهلات، بل سـيدخل مع أولئك اللائي كن حكيمات سـوياً مـع العريس ومصابيحهن موقدة. ومـع أنهم عانوا

مصاعب البتولية، لكن الذي لم يذق شيئاً من هذه المصاعب، سيكون أفضل منهم. هكذا قوة الرحمة، فإنها تحضر أبناءها بجسارة شديدة، لأنها معروفة للبوابين الذين يحرسون أبواب حجرة العُرس في السماء، وهي ليست فقط معروفة بل أيضاً محل توقير منهم، والذين تعرف أنهم أكرموها، ستدخلهم بدالة عظيمة ولن يضادها أحد، بل الكل سيفسح الطريق أمامها. لأنه إن كانت قد أنزلت الله إلى الأرض وأقنعته أن يصير إنساناً، فكم بالأولى سيمكنها أن ترفع الإنسان إلى السماء، لأن قوتها عظيمة. إن كان الله بدافع من الرحمة والشفقة صار إنساناً وأقنع نفسه أن يصير عبداً، فكم بالأولى سُيحضر عبيده إلى بيته. فلنحبها ولنضرم ودنا لها ليس ليوم أو يومين، بل على مدى كل حياتنا حتى تعترف بنا. فإن اعترفت بنا، فإن الرب أيضاً سيعترف بنا. لو تبرأت الرحمة منا، فالرب أيضاً سيتبرأ منا ويقول «لست أعرفكم». لكن ليت لا أحد منا يسمع هذا الصوت، بل بالعكس نسمع الصوت القائل «**تعالوا يا مباركي أبي، رثوا المُلك المعُد لكم منذ تأسيس العالم**» (مت٢٥ : ٣٤)، وليتنا كلنا ننال هذا بنعمته ورأفته في يسوع المسيح ربنا الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والإكرام الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

ملاحظة: تم ترجمة شرح هذه الرسالة عن سلسلة

.Nicene & Post Nicene Fathers Vol

العـظة الأولـى

(فيلبي١ : ١-٧)

بُولُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ عَبْدَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي، مَعَ أَسَاقِفَةٍ وَشَمَامِسَةٍ.نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. (في١ : ١، ٢)

إن بولس هنا وهو يكتب لمن هم ذوي كرامة متساوية، لا يحط من قدر مركزه كمعلم، بل دعا نفسه بلقب آخر عظيم. فما هو هذا اللقب؟

إنه يدعو نفسه عبداً وليس رسولاً. لأن هذه الرتبة هي أيضاً عظيمة بالحق وجامعة كل الأشياء الحسنة أن تكون عبداً للمسيح (بالفعل) وليس مجرد أن تُدعى هكذا (إسماً).إن عبد المسيح هو بالحق حر من جهة الخطية، وإذ هو عبد حقيقي (حر)،فهو ليس عبداً لأي شخص آخر، وإلا لن يكون عبداً للمسيح بصورة كاملة بل جزئياً. وهو أيضاً يكتب لأهل رومية ويقول «**بولس عبد ليسوع المسيح**» (رو١ : ١).

لكن عندما كتب إلى أهل كورنثوس وإلى تيموثاوس فإنه دعا نفسه «رسولاً»، فعلى أي أساس كان هذا؟ ليس لأنهم كانوا متفوقين (روحياً

في شيء) على تيموثاوس. حاشا أن يكون هذا. بل بالأحرى هو يكرمهم (يقصد أهل فيلبي وورومية) ويُظهر لهم اهتماماً يفوق كل الآخرين الذين كتب لهم. ولأنه أيضاً يشهد لفضيلة عظيمة لديهم. وفضلاً عن ذلك فقد كان يريد في تلك الرسائل أن يوصي بأشياء كثيرة، ولذلك اتخذ رتبته كرسول، ولكنه هنا لا يعطيهم توصيات، بل (يوصيهم) بما يمكنهم أن يدركوه من تلقاء ذاتهم.

«إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي»

لقد كان من المحتمل أيضاً أن يدعو اليهود أنفسهم «قديسين» استناداً على ما جاء في العهد القديم بأنهم «أمة مقدسة، وشعب مُقتنى لله» (تث٧: ٦؛ خر١٩: ٦). لهذا السبب أضاف قائلاً «إلى جميع القديسين في المسيح يسوع». لأن هؤلاء فقط هم المقدسون أما أولئك فهم بدءاً من الآن دنسون.

«مع أساقفة وشمامسة»

ما هذا؟ هل كان يوجد أساقفة عديدون لمدينة واحدة؟ بالتأكيد لا، إنما كان يدعو شيوخ الكنيسة (الكهنة) أيضاً أساقفة[1]، لأنه آنذاك كان يتم تبادل الألقاب، وكان الأسقف يدُعي خادماً[2] (حرفياً شماس). لأجل هذا السبب كتب إلى تيموثاوس قائلاً «**تمم خدمتك**» (٢تي٤: ٥)، بينما

١- انظر (أع٢٠: ١٧) «استدعى بولس قسوس الكنيسة»، ثم (أع٢٠: ٢٨) بقوله لهم أيضاً «.. التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة..

٢- هنا يعتمد ذهبي الفم على (٢تي٤: ٥)، وعلى (أع٢٠: ٢٤) «والخدمة التي أخذتها» إذ أن الخدمة في كلا الاثنين وردت في كلمة يونانية مُشتق منها كلمة ذياكون التي تعني خادم أو شماس.

كان تيموثاوس أسقفاً. ويظهر ذلك من قول بولس له «**لا تضع يدك على أحد بالعجلة**» (١تي٥ : ٢٢). أما الشيوخ (الكهنة) فلا يضعون أيديهم على أسقف. وأيضاً في الرسالة إلى تيطس يقول «**من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك، إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة**» (تي١ : ٥، ٦)، وهذا ما يقوله أيضاً عن الأسقف، لأنه بعد هذا، أضاف في الحال «**لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله غير مُعجب بنفسه**» (تي١ : ٧). وهكذا كان الشيوخ في القديم يُدعون أساقفة وخداماً للمسيح، وكان الأساقفة يُدعون شيوخاً، ومن ثمَّ فإن كثيرين من الأساقفة حالياً يكتبون قائلين «إلى شريكي (في الخدمة) الشيخ..»، «إلى رفيقي في الخدمة» ولكن بطريقة أخرى فإن الاسم الصريح اختص بطريقة واضحة لكل من الأسقف والشيخ، إذ يقول «مع أساقفة وشمامسة».

«**نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح**»

لماذا يكتب بولس الرسول هنا على وجه التحديد إلى الإكليروس، مع أنه في كل رسائله الأخرى كان يكتب على العموم إلى « كل القديسين والمؤمنين الأحياء»؟ السبب لأن الاكليروس هم الذين أرسلوا إليه لسد حاجته وتشاركوا معه في حساب العطاء والأخذ (في ٤ : ١٥- ١٦). وهم الذين أرسلوا إليه ابفرودتس على وجه السرعة.

«**اشكر إلهي عند كل ذكري إياكم**» (١ : ٣).

يقول بولس الرسول في رسالة العبرانيين «**أطيعوا مرشديكم وأخضعوا**

لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكي يفعلوا ذلـك بفرح لا آنـين» (عـب١٣: ١٧). إذاً إن كان الأنين سـببه رداءة التلاميذ، فإن إتمام الخدمة بفرح يرجع الفضل فيه إلى تقدمهم.

وبولـس يقول هنا: كلمـا أتذكركم فإننى أمجـد الله. وهو يفعل هذا لإدراكه الأشـياء الحسـنة الكثيرة التي فيهم. إنه يقول: إنني أمجد الله وأصلـي (لأجلكم). ليـس لأنكم تقدمتم في الفضيلة فإننى سـأتوقف عن الصلاة لأجلكم، بل يقول «**أشكر إلهي عند كل ذكري إياكم**».

«**دائماً في كل أدعيتي مقدماً الطلبة لأجل جميعكم بفرح**» (١: ٤)

«دائماً» أي ليس فقط بينما أنا أصلي بفرح، لأنه يمكن أن يفعل هذا بحـزن أيضاً كما يقول في موضـع آخر «**لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة**» (٢كو٢: ٤).

«**لسبب مشاركتكم في الإنجيل من أول يوم إلى الآن**» (١: ٥)

عظيم أن يشـهد لهم هنا، وعظيم جداً أن يشـهد للإنسـان الرسـل والإنجيليون.

وكأنـه يقول لهـم: ليس لأنه أوكل إليكم أمر الاهتمام بمدينة واحدة (وهي مدينة فيلبي)، فتنشـغلون بها فقط، لكن لم يكن هناك شـيء لم تعملوه لتشاركونني أتعابي.

لقد كنتم في كل مكان حاضرين وعاملين معي ومشـاركين في الكرازة (بالإنجيـل)، ليس مـرة أو مرتين أو ثلاث، بل دائماً منذ آمنتم إلى الآن

أخذتم على عاتقكم الاستعداد الرسولي. لكنه يقول عن الذين كانوا في روما: «**أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني**» (٢تي١: ١٥)، أيضاً «**ديماس قد تركني**» (٢تي٤: ١٠)، و«**في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني**» (٢تي٤: ١٦). لكن هؤلاء (الفلبيين) رغم أنهم كانوا بعيدين شاركوا في ضيقاته، إذ أرسلوا له أناساً من عندهم وخدموه على قدر طاقتهم، ولم يتخلوا أبداً عن عمل أي شيء كان باستطاعتهم أن يعملوه. وهو يقول: وهذا تصنعوه ليس فقط الآن بل دائماً و تساعدونني بكل طريقة ، لذلك فإن خدمتكم هذه هي «مشاركة في تقدم (حرفياً تعزين) الإنجيل»، لأنه عندما يكرز أحدهم بالإنجيل وهناك أسرة تخدمه فإنها تشاركه أكاليله. لأنه حتى في المسابقات الدنيوية لا تكون الجائزة فقط للمتسابق بل أيضاً للمدرب ولكل من ساهم في إعداد اللاعب، لأن الذين يساندونه ويناصرونه يشاركون بعدل في النصر الذي حققه. وفي الحروب أيضاً لا يفوز المحارب فقط بجائزة البسالة، بل أيضاً كل الذين يخدمونه يمكنهم أن يطالبوا عن حق بالمشاركة في الانتصارات والمجد، لكونهم شاركوا في نضاله بخدمتهم له. لأنه نفع ليس بقليل أن تخدم قديسين، بل هو نفع عظيم جداً. لأن خدمتنا تجعلنا مشاركين في المكافأة المعدة لهم.

وهكذا، فلنفترض أن أحدهم تخلى عن مقتنياته الكثيرة لأجل الله واستمر في تكريس نفسه لله ممارساً فضيلة عظيمة ومراعياً الدقة الشديدة في الكلمات والأفكار في كل شيء. فحتى لو لم تكن تشاركه مثل هذا التدقيق الشديد، فإنه سيكون من حقك أن تشاركه في المكافأة المعدة

له لأجل هذه الأشـياء. كيف؟ لو أنك سـاعدته بالقول والفعل، لو أنك شـجعته بتلبية كل احتياجاته وتقديم كل خدمة ممكنة له. لأنه ستكون أنت نفسك آنذاك الممهد لذلك الطريق الوعر.

لذلك لـو أبديت إعجابك بالذين تبنوا الحيـاة الملائكية في الصحراء والذين يمارسـون نفس الفضائل معهم في الكنائـس. لو أبديت إعجابك وحزنـت لأنك متخلف عنهم (في هذا الأمر)، فإنه يمكنك أن تشـاركهم بطريقة أخرى وذلك بخدمتهم ومساعدتهم. لأنه من مراحم الله أن يحضر من هم أقل سعياً وغير قادرين على عيش الحياة الصادقة والصعبة والوعرة بطريقة أو بأخرى إلى نفس مسـتوى الذين يمارسـونها. وهذا ما يقصده بولس بـ «المشـاركة». إنهم يشـاركوننا في الجسديات ونحن نشركهم في الروحيات، لأنه إن كان الله لأجل أشـياء قليلة وبسيطة يمنح الملكوت، فإن خدامه أيضاً لأجل أشـياء مادية وقليلة يشـاركون في الروحيات، أو بالأحرى هو يعطي الماديات والروحيات بواسطتهم.

ألا يمكنـك الصوم (طويلاً) أو التوحد (في مغارة) أو النوم على الأرض أو السـهر الليل كله؟ يمكنك أن تنال مكافأة كل هذه الأشـياء، لو أنك سـعيت لهذا الأمر عـن طريق خدمة هؤلاء للأشـخاص الذين يجاهدون وإنعاشهم ودهنهم بالزيت وتخفيف أتعاب هذه الأعمال (الشاقة). إن هذا الشـخص واقف يحارب ويتلقى الضربات، فهل تخدمه عندما يعود من القتال وتسـتقبله في أحضانك وتمسح عرقه وتنعشه وتعزيه وتجدد نفسه المتعبة وتسـكّنها. لو أننا نخدم القديسين بمثل هذا الاستعداد وحسب، فإننـا سنشـاركهم مكافآتهم. وهذا ما يخبرنا به المسـيح بقوله «**اصنعوا**

لكـم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فنيتـم يقبلونكم في المظال الأبدية» (لو١٦ : ٩) ألا ترى أنهم قد صاروا مشاركين؟

إن بولـس يقول «**من أول يـوم إلى الآن**»(في١ : ٥)، ويقول «وأنا أفرح» ليس فقط لما مضى، بل أيضاً لأجل المسـتقبل، لأنه من الماضي يمكن أن أخمّن المستقبل أيضاً.

«واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسـوع المسيح» (١ : ٦).

انظر كيف يعلمهم أيضاً ألا يكونوا مرائين، حيث إنه قد شهد لشيء عظيم لهم (وهو المشـاركة في الإنجيل)، فلكي لا يشعروا كبشر أنهم أهل للعمـل، فإنه يعلّمهم في الحال أن ينسـبوا كل الأعمـال الصالحة إلى المسـيح. كيف؟ هل بقوله «بألا تكونوا واثقين أنه كما ابتدأتم سـتكملون أيضاً؟ كلا بل يقول «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمله». إنه لم يسلب منهم ما تعبوا في إنجازه وتحقيقه (لأنه قال «أفرح لسـبب مشـاركتكم في الإنجيل» موضحاً أنه ينسـب تعبهم وعملهم إليهم)، ولم ينسب أعمالهم الحسـنة إليهم وحدهم، بل هيٍ مبدئياً لله، إذ يقـول «واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسـوع المسيح» أي يكمله بمشـيئة الله. وكأن كلامه يعني: إنني لا أتكلم عنكم، بل أشـعر بهذا مـن جهل الأقل منكم فى المسـتوى الروحى لأنـه أن يعمل الله مع المرء فهـذا امر ليس بقليل. لأنـه إن كان الله «لا يحابي الوجوه» ، بل ينظر إلى نياتنا عندما يسـاعدنا في الأعمال الصالحة، فمن الواضح أن لنا دوراً

في أن نجعلـه يعمـل فينا، لذلك حتى من وجهة النظر هذه لا يسـلبهم مديحهم (المستحق لهم). لأنه لو كانت أعماله فينا بدون قصد، لكان قد عمل حتى في غير المؤمنين، وفي كل البشـر، فيحركنا مثل كتل الحجارة والأخشاب دون أن يطلب مساهمتنا. لذلك عندما يقول «الله يكمله» فهذا أيضاً يؤول لمدحهم لكونهم يطلبون نعمة الله، حتى إنه بهذا يساعدهم في تخطي الطبيعة البشـرية. وبطريقة أخرى فإنه يمدحهم على أن أعمالهم الحسـنة لا يمكن أن تأتي من إنسـان بل تحتاج إلى دفعة إلهية. لكن إن كان الله سـيكمل، إذاً لن يكون هناك عناء كثير بل بالأحرى يكون الإنسان متشجعاً إذ أنه سيتمم كل شيء بسهولة لأن الله يعينه.

«**كما يحق لي أن أفتكر هذا من جهة جميعكم لأني حافظكم في قلبي وفي وثقي وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته، أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة**» (١ : ٧).

أمر عظيم هنا أن يُظهر عاطفته القوية نحوهم في أنه يحفظهم في قلبه وأنه يتذكر الفيلبيين رغم قيوده في السجن؛ وأن مدح هؤلاء الناس ليس بالأمر الهين، إذ أن هذا القديس لم يتولد حبه لهم عن محاباة أو منفعة، بل لأسـباب وجيهة وعن تبصر. لأنه أن تكون محبوباً عند بولس بهذه الشدة، فهذا دليل على أن الإنسان لديه الصفات التي تؤهله لذلك.

هنا يقول «وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته». وما العجيب في أنهم كانـوا في قلبـه وهو في السـجن؟ لكنه يقول ما معنـاه «**لكن ولا حتى في اللحظة التي سـأقف فيها أمام المحكمة لأقدم احتجاجي قد غبتم عن**

ذاكرتي». لأن الحب الروحي حب طاغ لا يعطي فرصة، بل يمسك دائماً بنفس من يُحب ولا يدع الاضطراب أَو الألم يهزم هذه النفس. وكما في حالة أتون بابل، عندما كان اللهب مرتفعاً هكذا، كان هناك ندى للثلاثة فتية المباركين، كذلك أيضاً تحتل الصداقة نفس من يحب ومن يرضي الله، فتنفض عنه كل لهب (أي ضغط كل ظروف غير مواتية) وتنتج ندى عجيباً (فيحيا ويتصرف بسلام كما لو كانت كل الأمور على خير ما يرام).

«**وفي تثبيت الإنجيل**»

لقد كانت قيوده تثبيتاً للإنجيل ودفاعاً عنه. كيف؟ لأنه لو كان قد تجنب القيود (بأن هرب منها مثلاً) لكانوا ظنوه مخادعاً. أما كونه احتمل كل شيء من قيود وضيق، فهذا يُظهر أنه لم يكابد كل هذه الآلام بسبب علة بشرية، بل لأجل الله الذي يجازي. لأنه لا أحد يقبل أن يموت أو أن يتجشم مثل هذه الأخطار العظيمة أو يختار أن يتصادم مع ملك كهذا، أقصد نيرون، ما لم يكن قد تطلع إلى ملك أعظم منه جداً. لقد كانت قيوده حقاً «**تثبيتاً للإنجيل**».

أنظر كيف أنه كان ينجح كثيراً في قلب كل الأمور إلى عكسها. لأن ما كانوا يظنونه ضعفاً ونقيصة يدعوه هو تثبيتاً، ولو لم يحدث لكان هناك ضعف[٣]!

٣- يبدو لي أن ذهبي الفم يود القول أن ما يعتبره الآخرون علامة ضعف (لكون الرسول يتم حبسه والكرازة بهذا تتقلص)، يعتبره الرسول علامة على صحة المسيرة وقوة الكرازة، والواقع العملي يؤكد هذا فحينما تكون الكنيسة في حماية الدولة ولا تجد مقاومة تُذكر تضعف وتدب فيها علامات الاضمحلال، بينما المقاومة للمسيحية وللكنيسة تزيل ما في أولاد الله من ضعف روحي...

بعــد ذلــك يُظهر بولس الرســول أن حبه لم يكن لــه غرض بل عن إفراز. لماذا؟ فيجيب «**لأني حافظكم في قلبي وفي وثقي**» وفي دفاعي (عن الإنجيل) بســبب أنكم «**مشــاركون لنعمتي**». ما هــذا؟ هل كانت نعمة الرسول تستطيع أن تُقيد وتُطرد وتواجه شروراً كثيرة؟

نعــم، لأن الله يقول «**تكفيك نعمتي. لأن قوتــي في الضعف تُكمّل**» (٢كو١٢ : ٩). ونتيجة لذلك يقول بولس الرســول «**لذلك أسر بالضعفات والشــتائم**» (٢كــو١٢ : ١٠)، لذلك حينما أراكم تبرهنــون على فضيلتكم بأعمالكم،واســتعدادكم للمشــاركة في هذه النعمة، فإنني منطقياً افترض هكــذا الكثير من جهتكــم، لأني أنا الذي اختبرتكــم وعرفتكم أكثر من أي شــخص آخر وعرفت أعمالكم الحسنة كيف أنكم اجتهدتم رغم بعد المســافة، ليس لأن تكونوا أقل منا في أتعابنا، بل أن تشاركوا في ضيقاتنا لأجل الإنجيل، وبنصيب لا يقل عني أنا المنخرط في الجهاد على الرغم من بعدكم مكانياً (عن الحلبة التي أصارع فيها)، فأنا لا أقول إلا الحق عندما أشهد لهذه الأعمال.

لماذا قال «**شركائي في النعمة**» ولم يقل «**مشاركين في النعمة**»؟

إنه يقصد: أنا نفســي أيضاً اشــترك مع آخر حتى أكون شــريكاً في الإنجيل، أي حتى أشــارك في الخيرات المعدة للبشارة بالإنجيل. والأمر العجيب أنهم كانوا جميعاً مهتمين جداً، لأنه يقول «**أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة**». فمن هذه البدايات الواعدة أنا متيقن أنكم ستكونون هكــذا للنهاية. لأنه لا يمكن أن تنطفــئ بداية بهذا البهاء وتخيب، بل

هي (على العكس) تشير إلى نتائج عظيمة (في المستقبل).

لذلك حيث أنه من الممكن أيضاً أن نشارك بوسائل أخرى في النعمة والضيقات والأتعاب، ليتنا أيضاً أتوسل إليكم نكون مشاركين (لأهل فيلبي ولبولس الرسول). كم شخصاً من الواقفين هنا أو بالأحرى من كل الناس، سيرتضي أن يشارك بولس الرسول في الخيرات الآتية! إنه في مقدوركم إذا رغبتم أن تساندوا وتعينوا من خلفوه في الخدمة عندما يعانون أي مشقة لأجل المسيح.

هل رأيت أخاك في محنة؟ مد له يد العون!

هل رأيت معلمك في ضيقة؟ قف إلى جانبه!

ربما هناك من يقول: لكن لا يوجد أحد مثل بولس! آه جاء وقت الازدراء! جاء وقت النقد! أهكذا لا يوجد أحد مثل بولس؟

حسناً أنا أوافق (ولن اعترض على كلامك). لكن السيد المسيح يقول «**من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ**» (مت١٠: ٤١).

فهل أُكرم هؤلاء لكونهم عملوا مع بولس؟ كلا، بل أُكرموا لأنهم تعاونوا مع من باشر الكرازة. إن بولس كان مكرماً لأجل أنه قد عانى هذه الآلام لأجل المسيح.

بالتأكيد لا يوجد أحد مثل بولس، ولا حتى من يقترب قليلاً من مستوى هذا الطوباوي، لكن الكرازة هي هي كما كانت آنذاك.

وهم (يقصد الفيلبيين) شاركوه ليس فقط في قيوده، بل بدأت مشاركتهم منذ البدء. إذ أسمعه يقول «**وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية، لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم**» (في ٤: ١٥).

وبعيداً عن المحن، فإن المعلم كان له كد كثير، سهر، تعب في الكلمة، التعليم، شكايات، ملامات، واتهامات وحسد. وهل هو أمر قليل أن يحتمل المرء عشرة آلاف لسان، بينما تكفيه همومه الخاصة؟

وآسفاه! ما عساي أن أفعل؟ لأني محصور بين شيئين: إنني أرغب في أن استحثكم وأشجعكم على تعضيد ومساعدة قديسي الله، لكني أخشى لئلا يظن البعض شيئاً آخر في أنني أقول هذا ليس لأجلكم بل لأجلهم! . لكن اعلموا (تماماً) إنني أقول هذا الكلام ليس لأجلهم، بل لأجلكم. وإن أردتم أن تصغوا فأنا أقنعكم بكلماتي ذاتها بأن المكسب ليس واحداً لكم ولهم.

لأنه إن أعطيتم، ستعطون من تلك الأشياء التي حتماً ستتركونهاسواء شئتم أم أبيتم بعد الموت وتعطونها لآخرين، لكن ما تنالونه هو أعظم وفائق . أم أنكم هكذا غير مهيأين لقبول المجازاة التي ستنالونها إن أعطيتهم إياها؟

لأنه لو لم تكونوا هكذا غير مهيأين، فأنا لا أرغب حتى في أن تعطوا. لأني أبعد ما أكون عن أن أتكلم لصالحهم! ما لم يهيء الإنسان نفسه أولاً بأنه يأخذ أكثر مما يعطي، يأخذ عشرة آلاف ضعف وأنه يستفيد

أكثر مما أعطاه، فليته لا يعطي! لأنني لا أهتم كثيراً بأن ينال القديسون تعضيداً (مادياً).

لأنه حتى لو لم تعطِ أنت، فغيرك سيعطي. لأن ما أريده هو أن تنال عتقاً من خطاياك. لكن الذي لا يعطي هكذا لا ينال راحة أو عتقاً من خطاياه. لأن التصدق ليس هو في مجرد العطاء، بل هو العطاء بتلقائية وفرح والشعور بالعرفان لمن نال الصدقة، وهذا يؤكده قول بولس «**ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطي المسرور يحبه الرب**» (٢كو٩: ٧).

إن لم يُعطِ الإنسان بهذه المعايير فليته لا يعطى، لأنه بخلاف ذلك ستكون خسارة وليس صدقة. لذلك إن علمت أنك أنت الذي ستكسب وليس هم، فسيكون مكسبك أعظم (من الآخذ منك).

لأنه بالنسبة لهم فإن الجسد هو الذي يُطعم، بينما نفسك يرضى الله عليها. بالنسبة لهم ولا حتى خطية واحدة سُتغفر عندما ينالون، بينما أنت قد غُفرت معظم خطاياك. لذلك ليتنا نشاركهم في مكافأتهم العظيمة[٤].

عندما يعطى الناس للملوك (بأن يجعلوهم هدفاً لعطاياهم) فلا يظنون أنهم يعطون أكثر مما يأخذون (إذ يأخذون كرامات وأمجاداً منهم)، أما أنت فأعطِ المسيح (في شخص المحتاج أو الكارز) وسيكون لك طمأنينة عظيمة. هل تريد أيضاً أن تشارك بولس؟ ولماذا أقول بولس بينما المسيح هو الذي يأخذ (ما تتصدق به)؟

٤- نشاركهم في أتعابهم لكي نشاركهم أيضاً في مكافآتهم العظيمة.

لكن لكي تعلموا أن كل ما أقوله وأفعله هو لأجلكم وليس اهتماماً مني براحة الآخرين، لو كان هناك أحد من رؤساء الكنيسة يعيش في رغد ولا يحتاج إلى شيء، فلا تعطه حتى لو كان قديساً . بل فضّل عليه من هو في احتياج ولو كان غير جدير بإعجابك (ذاك المحتاج). ولماذا؟ لأن المسيح أيضاً يريد هذا، كما يقول «**إذا صنعت غداء أو عشاء، فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك بل الجدع والعرج والعمي، إذ ليس لهم حتى يكافئوك**» (لو١٤: ١٣-١٥).

لأنه ليس بدون سبب أنه يجب على المرء ألا يوجه انتباهه إلا للجوعان والعطشان والذين يحتاجون الكساء والغرباء ولمن افتقروا بعد غنى. لأن الرب حقاً لم يقل «**أنا أطعمت**»، بل قال «لأني جعت» وذلك حين قال «**رأيتموني جائعاً فأطعمتموني**» (مت٢٥: ٣٥، ٣٧). إن القضية هنا مضاعفة إذ أنه قديس وجوعان، لأنه إن كان ينبغي إطعام من كان جائعاً فحسب، فكم بالأولى من هو أيضاً قديس وجوعان!

إذاً لو كان قديساً وليس له احتياج، فلا تعطه، لأن هذا لا منفعة منه. لأن المسيح لم يوحِي بهذا، أو بالأحرى لا يكون قديساً من يحيا في رغد ويأخذ صدقة.

هل ترون أن هذه الأقوال قيلت لكم ليس ابتغاء لربح قبيح بل لأجل منفعتكم؟

أطعم الجوعان حتى لا تُطعم نار جهنم (بجسدك ونفسك في العالم الآخر). إن من يأكل مما هو لك يقدس أيضاً ما تبقى (انظر لو١١: ٤١).

تأمـــل كيف أن الأرملة عالت إيليا وأنها لم تطعمه أكثر مما أُطعمت هيٍ بواسطته ولم تعطِ أكثر مما أخذت. وهذا يحدث الآن في شيء أعظم جداً. لأنه ليس بعد كوار دقيق أو كوز الزيت (١مل١٧ : ١٤)، بل ماذا؟ «**مائة ضعف وحيـــاة أبدية**» (مت١٩ : ٢٠، ٢٩)، هذه هـــي المكافأة لمثل هذه (الصدقة)، فتنال رحمة الله والطعام الروحي.

لقد كانت أرملة والمجاعة كانت شديدة جداً ولم يعقها شيء من هذا. كان لها أيضاً أولاد، لكن ولا حتى هذا منعها (١مل١٧ : ١٢).

إن هـــذه المرأة مثل الارملة التي ألقت الفلسـين (في خزانة الهيكل)، فهي لم تقل لنفسها: وماذا عساي أن آخذ من هذا الإنسان؟ فهو المحتاج إليّ.لو كانت لديه قوة لما جاع ولكان قد أنهى الجفاف ولما كان قد خضع لمثل هذه المشقات. ربما هو أساء إلى الله.

إنها لم تفكر في شيء من هذا. هل ترى كيف أنه أمر عظيم أن تصنع الخير ببساطة ولا تكون كثير الفضول من جهة الشخص الذي ينال منك الصدقة؟ لو اختارت هي أن تكون فضولية، لكانت قد شـــكت وما كانت آمنت (أو صدقت).

كذلـــك أيضاً إبراهيم لو فضّل أن يكون فضولياً لما اســـتضاف ملائكة. لأنه لا يمكن أبداً لمن يدقق كثيراً في هذه الأمور أن يلتقي بالملائكة. فمثل هذا الإنسان يقع عادة في المحتالين، أما كيف ذلك، فهذا سأخبركم به. إن الإنسان التقي لا يرغب في أن يظهر تقياً، ومن المرجح أنه يُرفض من النـــاس. أمـــا المخادع إذ يجعل الاحتيال مهنته يرتـــدي قدراً من التقوى

التي يصعب اكتشــافها. وهكذا بينما الذي يفعل الخير حتى لمن لا يبدو أنهم أتقياء، ســيصادف من هم أتقياء بالفعل، لكن الذي يفتش عمن هم أتقياء، غالباً ما يصادف من هم ليسوا أتقياء.

لذلك أتوســل إليكم ليتنا نعمل كل شــيء ببســاطة. لذا فلنفترض أن الآتــي (**إليك**) **هو محتال، فأنت** غير مطالب بأن تكون فضولياً من جهة هذا الأمر. لأن المســيح يقول «**كل من ســألك فأعطيه**» (لو٦ : ٣٠). وقيل أيضاً «**لا تمتنع عن تخليص المنقادين إلى الذبح**» (أم٢٤ : ١١). لأننا هكذا سنشــابه الله، وهكذا سنكون محل إعجابه وسنحصل على تلك البركات الخالدة التي نظن أننا أهل لها بنعمة ورأفة يســوع المســيح ربنا الذي له مــع الآب والروح القدس المجد والقــوة والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظـة الثـانيـة

(فيلبي١ : ٨-١٩)

فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ لِي كَيْفَ أَشْتَاقُ إِلَى جَمِيعِكُمْ فِي أَحْشَاءِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَهَذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضاً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ.

(١ : ٨-١١).

إنه هنا لا يدعو الله كشاهد كما لو كان ينبغي الشك في صدق كلامه، بل هو يتصرف هكذا من واقع محبته العظيمة واقتناعه المفرط وثقته. لأنه بعد أن قال إن لهم شركة معه (في النعمة) أضاف أيضاً هذا القول «**في أحشاء يسوع المسيح**» لئلا يظنوا أن شوقه لهم كان لهذا السبب ولم يكن لأجلهم وحسب. وماذا تعني هذه الكلمات «**في أحشاء يسوع المسيح**»؟ إنها تعني «**بحسب المسيح**» لأنكم مؤمنون، لأنكم تحبون المسيح، لأجل الحب الذي بحسب المسيح.

إنه لا يقول «حب» (بحسب المسيح) ولكنه يستخدم تعبيراً أكثر دفئاً «في أحشاء المسيح» كما لو كان يقول: صرت أباً لكم من خلال العلاقة

التي في المسـيح، لأن هذا يعطينا انطباعاً عن أحشـاء حانية ومتأججة. لأن الرب يعطي مثل هذه الأحشاء لعبيده الحقيقيين.

يقـول بولـس الرسـول « **في هذه الأحشـاء**» كما لـو كان يقول إنني أحبكم ليس بأحشـاء بشرية، بل بأحشاء أكثر حنواً ودفئاً، أي بأحشاء المسيح.

«**كيف أشتاق إلى جميعكم**»

إنني أشتاق إلى الكل، وحيث إنكم جميعاً من هذه الطبيعة، فأنا عاجز عن أن أعبّر لكم عن اشتياقي بالكلمات، لذلك يصعب عليّ أن أخبر بها. لهذا السبب أنا أترك هذا الأمر لله ليعرفه لأن القلب في متناوله. ولو كان بولس يتملقهم لما جعل الله شـاهداً له لأنه لو كان يتملقهم فإن هذا الأمر سوف يعرضه للخطر.

«**وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر**» (١ : ٩).

لأن المحبة ليس لها حد ولا يمكن الشـبع منها، و لأنه كان محبوباً فقـد رغب في أن يكون محبوباً أكثر فأكثر، لأن الذي يحب، يرغب ألا يتوقـف عند حـد معين من الحب، لأنه يسـتحيل أن يوجد هناك حد للمحبـة . إن بولـس يرغـب في أن يبقى دين الحب دائمـاً «**لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً**» (رو١٣ : ٨).

إن معيـار الحـب (الحقيقي) هو أن لا يتوقـف عند حد معين، ولذا يقول الرسـول «**أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر**». تأمل هذا التعبير

«**أن تـــزدادوا أكثر فأكثـــر**» فعندما يضيف إليه «**في المعرفة وفي كل فهم**» فإنـــه لا يمجد مجرد الصداقة أو مجرد المحبـــة، بل يمجد ما يأتي من المعرفة (والفطنة) بمعنى أنه ليس لكم أن تحبوا الكل بمعيار واحد، لأن هذا لا ينبع من المحبة بل من عوز في الشعور والإحساس.

مـــاذا يقصد هو بعبارة «في المعرفة»؟ إنـــه يقصد بإفراز، بعقل وفطنة. يوجد من يحبون بدون تعقل وبسذاجة وكيفما اتفق، ومن ثم تكون مثل هذه الصداقة ضعيفة.

وهـــو يقول: هـــذا أقوله ليس لأجل نفســـي بل لأجلكـــم، لأن هناك خطورة لئلا يفســـد أحد بحب الهراطقة، لأنه يشـــير إلى كل هذا وانظر كيـــف أحضره أمامهم، فيقول: ليس لأجلي أقول هذا، بل أقوله لتكونوا مخلصين أي لا تقبلوا تعليماً مزوراً تحت زعم الحب.

فكيف يقول بولس الرســـول «**إن كان ممكناً فحســـب طاقتكم ســـالموا جميـــع الناس**» (رو١٢: ١٨)؟ إنه يقول «ســـالموا» وليس «أحبوا» حتى لا تتضرر من هذه الصداقة.

يقول السيد المســـيح «**إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنـــك**» (مـــت٥: ٢٩) لكي تكون مُخلصـــاً، أمام الله، «وبـــلا عثرة» أمام الناس، لأن هناك صداقات كثيرة للناس غالباً ما تكون مضرة لهم.

يقول الرسول: حتى ولو لم تعثرك أنت، فلربما يُعثر منها آخر.

«**إلى يوم المسيح**»

أي لكي توجدوا آنذاك أنقياء لم تسببوا عثرة لأحد.

«مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده» (١ : ١١).

أي تتمسكون بالتعليم الصحيح مع الحياة المستقيمة. وليس مجرد استقامة بل **«مملوئين من ثمر البر»**. لأنه يوجد في الواقع بر ليس بحسب المسيح مثل الحياة ذات الأخلاق الفاضلة.

«الذي بحسب المسيح لمجد الله وحمده»

انظروا فأنا (بولس) لا أتحدث عن مجدي بل عن بر الله.

وبولس الرسول مراراً ما يدعو أيضاً – الرحمة ذاتها – براً. ويقول (أيضاً): لا تدعوا حبكم يجرحكم بطريقة غير مباشرة، وأن يعوق مدارككم عن الأمور المفيدة وانتبهوا لئلا يسقطكم حبكم لشخص ما. لأني أود أن حبكم يزيد، لكن لا أود أن تُجرحوا بواسطته. لست أود أن يكون حباً نابعاً عن تحيز أعمى بل عن دليل (أي سبب معقول) سواء كنت أتكلم حسناً أو لا أتكلم.

وهو لا يقول **«حتى تأخذوا برأيي»** بل يقول **«حتى تميزوه»**. ولا يقول **«لا تربط نفسك بهذا الإنسان أو ذاك»** على طول الخط، بل يقول: أود أن يكون حبكم له توقيراً لما هو مفيد وألا تكونوا عادمي الفهم. لأنها حماقة لو لم تصنع البر لأجل المسيح وبه.

لاحظ **«به»** في كلمة **«بيسوع»**، فهل هو يستخدم الله كمجرد مساعد؟

حاشا! بل إنه يقول: ليس لكي أنال أنا المجد بل لكي يتمجد الله.

« ثُــمَّ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّ أُمُــورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ، حَتَّى إِنَّ وُثُقِي صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ وَفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ» (١: ١٢-١٣).

كان من المحتمل أنهم سيحزنون عندما يسمعون أنه كان مقيداً ويتخيلون أن الكرازة ستتوقف. فماذا عمل بولس؟

لقد لاشـى هذا التصور فى الحـال. وهذا أيضاً يبين محبته بأن أعلن لهم الأشياء التي حدثت له لأنهم كانوا قلقين من جهته.

مـاذا تقول يا بولـس؟ أتقول إنك مقيد! وإنك معـوق! فكيف يتقدم الإنجيل؟

فيجيـب «**حتـى إن وثقـي صـارت ظاهـرة في المسـيح في كل دار الولاية**».

وهـذا الأمر لم يُسكت باقي الإخوة ولا أخافهم، بـل على العكس فقد شـجعهم. فإن كان الذين بالقرب من المخاطر لم يتضرروا بل نالوا جرأة أعظـم، فكم بالأولى ينبغي أن تكونوا أنتم هكذا. لو كان بولس عندما قُيد قـد قبل الأمر بمشـقة وكف عن الكرازة لكان مـن المحتمل أن الإخوة يتأثرون بنفس الطريقة. لكن حيث إنه تكلم بجرأة أكثر عندما قُيد، فإنه أعطاهم جسارة أكثر مما لو كان غير مقيد. وكيف أن قيوده «آلت أكثر إلى تقـدم الإنجيل»؟ هنا يقصد القول: لأن الله في تدبيره قد أمر بعدم إخفاء

قيودي التي كانت في المسيح ولأجله.

«في كل دار الولاية»

لأنـــه إلى ذلك الوقت كان يُطلـــق على القصر الإمبراطوري «**دار الولاية**». وبقوله «**في باقي الأماكن أجمع**» يقصد في سائر أرجاء المدينة.

«وأكثـــر الإخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (١ : ١٤)

هذا يبين أن الإخوة كانوا ذوي شجاعة حسنة قبل ذلك وتكلموا (فيما مضى) بجســـارة، لكنهم الآن يتكلمون بجسارة أكثر. وهنا يقول: إذاً لو أن آخرين تشـــجعوا بسبب قيودي، فكم بالأولى أنا، وإن كنت أنا سبب ثقة لآخرين، فكم بالأولى لنفسي.

«وأكثر الإخوة.. في الرب»

«**كما لو كان شـــيئاً عظيماً القول إن قيـــودي أعطتهم ثقة**» لذلك أضاف قائلاً «**في الرب**».

هل ترون كيف أنه حتى عندما يرى نفســـه مُجبراً على التحدث عن أمـــور عظيمة فإنه لا يتخلى عن الاعتدال؟ إنه يقول «يجترئون أكثر على التكلـــم بالكلمـــة بلا خوف» إن كلمه «أكثر» تعـــني أنهم قد بدأوا الكلام بالفعل (من قبل).

«وأما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح وأما قوم فعن مسرة» (١ : ١٥).

وما يعنيه هذا الكلام جدير بالمناقشة. حيث إن بولس كان تحت التحفظ وكان هناك كثيرون من غير المؤمنين يرغبون بحماس شديد في استثارة الإمبراطور لبدء اضطهاد، لذلك كانوا يكرزون هم أيضاً بالمسيح، لكي يزداد سخط الإمبراطور من سرعة انتشار الإنجيل فيصب كل غضبه على رأس بولس.

(وكأن بولس هنا يواصل الكلام فيقول): لذلك أسفرت قيودي عن نوعين من العمل: فجماعة تشجعت جداً لهذا السبب والأخرى تشجعت بهدف تدميري فأقاموا أنفسهم للكرازة بالإنجيل. «**أما قوم فعن حسد**» أي حسدوا شهرتي ومثابرتي، وعن رغبة في تدميري وبروح الخصام (النزاع) يعملون معي، أو لكي يتم تقديرهم متوقعين أن يأخذوا لأنفسهم بعضاً من مجدي. «**وأما قوم فعن مسرة**» أي بدون رياء وبكل اجتهاد يكرزون بالمسيح.

«**فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص ظانين أنهم يضيفون إلى وثقي ضيقاً**» (١ : ١٦).

أي أنهم ينادون بالمسيح ليس عن دوافع نقية وليس عن اهتمام للأمر نفسه بل لماذا؟ «**ظانين أنهم** (بذلك) **يضيفون إلى وثقي ضيقاً**» فإذ يظنون أنني هكذا سأقع في مخاطر أعظم، يضيفون ضيقاً إلى ضيقاتي الأخرى الكثيرة.

يا للوحشية!

يا للتحريض الشيطاني!

لقد رأوه مقيداً ومُلقى في السجن، ومع ذلك لا يزالون يحسدونه. هم يزيدون بلاياه ويجعلونه معرضاً لغضب أعظم، فيقول هو حسناً «ظانين» لأن النتيجة لم تكن هكذا. لقد ظنوا بهذا أنهم سيحزنونني لكنني فرحت لأن الإنجيل قد انتشر.

«وأولئك عن محبة عالمين أني موضوع لحماية الإنجيل» (١ : ١٧).

ما معني **«أني موضوع لحماية الإنجيل»**؟

يقصد بهذا أنهم يعدون كشف الحساب الذي يلزمني أن أقدمه لله ويساعدونني.

ما معنى **«لحماية»**؟

لقد عُينت للكرازة ويلزم أن أعطي حساباً وإجابة للعمل الذي تعين لي، وهم يساعدونني حتى يسهل دفاعي، لأنه لو كان هناك كثيرون تم إرشادهم وآمنوا فإن دفاعي سيكون سهلاً. لأنه يمكن القيام بعمل جيد من دافع ليس جيداً. ومن يتصرف هكذا لا توجد مكافأة في انتظاره، لكن هناك عقوبة تنتظره. لأنهم إذ يكرزون بالمسيح رغبة في توريط كارز المسيح في مخاطر أعظم، فهم لن ينالوا مكافأة، لكنهم أيضاً سيتعرضون للانتقام والعقوبة.

«**وأولئك عن محبة**» أي أنهم يعلمون أنه يلزمني أن أعطى حساباً عن (الكرازة) الإنجيل.

«**فماذا غير أنه على كل وجه سـواء كان بعلة أم بحق يُنادى بالمسـيح**» (١ : ١٨).

أنظـر إلى حكمـة بولس. فإنه لم يلُمهم بشـدة، بـل ذكر المحصلة فيقول: ماذا يفرق عندي سواء تمت الكرازة بهذه الطريقة أو تلك؟

«**فماذا غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق يُنادى بالمسيح**».

لم يقـل هنا «**ليُنادى بالمسـيح**» كما يفترض البعض أنـه بهذا يفتحِ الطريـق للهرطقات، بل قال «**يُنادى بالمسـيح**» أى انـه لم يضع قانوناً أو يعـطِ تصريحاً بالكرازة الـتي تفتح الباب أمام الهرطقات، ولكنه تكلم عمـا هو حادث بالفعل. وحتى لو كان قـد وافق على الكرازة التي كانوا يكرزون بها فإن هذا الأمر ايضاً لن يفتح الباب أو الطريق أمام الهرطقات. لمـاذا؟ لأنهـم لو كرزوا بطريقة سـليمة رغم أن الهـدف والغرض الذي عملوا لأجله كان فاسـداً، لكن الكرازة نفسـها لم تتغـير، ولكنهم كانوا مجبريـن على الكرازة هكذا. لماذا؟ لأنهم لو كرزوا بطريقة مخالفة لكرازة بولس وعلّموا بتعليم غير تعليمه لما كانوا قد زادوا من سـخط الإمبراطور. لكنهم عندما روجـوا لكرازته، وعلّموا بنفس الطريقة وصنعوا تلاميذ كما فعل، فقـد أصبحت لهم قوة لإغاظة الإمبراطور عندما يرى جموعاً غفيرة مـن التلاميذ. لكن لو كان لأحد الأغبياء الأشـرار أن يقول: بالحق كان ينبغي لهم أن يعملوا العكس فيشتتوا الذين آمنوا بالفعل بدلاً من زيادتهم

لو كانوا يريدون مضايقة الإمبراطور. فبماذا سنجيب؟

لقد تطلعوا لهذا الشيء فقط وهو كيف يورطون بولس في الخطر الحاضر ولا يدعون له مفراً للإفلات منه، وهكذا ظنوا أنهم بالطريقة التي يعملون بها أي الكرازة بالإنجيل سوف يوغرون صدر الإمبراطور فتنطفىء شرارة الإنجيل.

ولـو قاوموا الإنجيل وعملوا ضد بولس فإنهم كانوا سيطفئون غضب الإمبراطور ولكانوا (بذلك) سيدعون بولس يمضي بحرية ويكرز ثانية، أما بهذا السعي فقد ظنوا أنهم لو فقط دمروه، فكل شيء بالتالي سوف ينتهي. لكن لم يكن للكثيرين هذه النية (الخبيثة)، بل لبعض الأشرار فقط.

بعد ذلك قال «**وبهذا سأفرح، بل سأفرح أيضاً**» (تابع ١ :١٨).

ما معنى «بل سأفرح أيضاً»؟ يقصد حتى لو عملوا أكثر من هذا . لأنهم يتعاونون معي رغماً عن إرادتهم، وسينالون عقوبة عن تعبهم، بينما أنا الذي لم أساهم في هذا بشيء سأنال مكافأة.

هل هناك ما يفوق هذه الدناءة التي للشيطان في أن يوجد وسيلة عقوبة للكرازة وانتقام من الأتعاب (فيها)؟ انظروا كم من شرور كثيرة يطعن بها ذاته! من رتب كل هذا غير الشيطان البغيض وعدو خلاصهم؟ هل ترون كيف أن الذي يشن حرباً ضد الحق لا تكون لديه قوة بل بالأحرى يجرح نفسه كمن يضرب ضد المناخس؟

«**لأنـــي أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يســوع المسيح**» (١ : ١٩).

لا يوجد من هو أكثر ســفالة من إبليس. فهو في كل مكان يورط الذين له في أتعاب غير مفيدة ويمزقهم. وهو لا يتيح لهم الحصول على المكافآت فقط بل يعرضهم للعقوبات أيضاً. لأنه لا يأمرهم بالكرازة بالإنجيل فقط، بل وبالصوم والتبتل أيضاً، بالطريقة التي بها لن يحرمهم من مكافآتهم، بل أيضاً ســينزل بهم شــروراً ثقيلة. وهو يقول أيضــاً في موضع آخر من جهتهم «**موسومة ضمائرهم**» (١تي٤ : ٢).

لذلك أتوســل إليكم أيها الأخوة، ليتنا نشكر الله على كل شيء لأنه خفــف تعبنــا وزاد مكافأتنــا. لأن الذين يعيشــون في البتولية بينهم لن ينالوا المكافآت التي ســينالها من يعيشــون بيننــا متعففين في الزيجة[١]، بل إن الذين يحيون في البتولية من الهراطقة ســيتعرضون لدينونة الزناة. وكل هذا لا ينبع من تصرفهم بغرض مســتقيم، بل كمن يلوم خلائق الله وحكمته التي لا يُنطق بها.

لذلك ليتنا لا نكون متكاسلين. إن الله أقام أمامنا جهاداً بحدود ليس فيها تعب. لكن ليتنا لا نحتقره لأجل هذا. لأنه إن كان الهراطقة يبذلون أقصــى جهدهــم في أتعاب غير مجدية، فأي عذر لنا إن لم نحتمل نحن الأتعاب التي هي أقل ولها مكافأة أعظم؟ لأنه أياً من وصايا المســيح هي شــاقة؟ وأيها مكررة؟ هل أنت غير قادر على أن تحيا متبتلاً؟ مســموح لــك أن تتــزوج. هل أنــت عاجز عن أن تتجرد من كل مــا تملك؟ مُتاح

١- ليس المقصود بالتعفف في الزواج الامتناع عن العلاقات الزيجية المشروعة بل عدم الانغماس فيها بإفراط.

لـك أن تزوّد الآخريـن باحتياجاتهم مما لـك. دع «**فضالتك لأعوازهم**» (٢كـو٨: ١٤). إن هذه الأشـياء تبدو متعبة! فمـا هي؟ أقصد أن تزدري بالمال وأن تتغلب على شـهوات الجسد. لكن وصاياه الأخرى لا تتطلب ثمناً أو تغصباً. أخبرني أية مشـقة تكابدها في عدم التحدث بكلام شرير والامتناع عن النميمة؟ أية صرامة توجد في عدم حسد خيرات الآخر؟ أية شـدة تعانيها في عدم الانجراف للمجد الباطـل؟ أن تتألم وتحتمل فهذا أمر يرجع إلى القوة. إن ممارسـة الفلسفة (أي الحكمة) هو أمر يرجع إلى القوة (التي للعزيمة العاملة فيها النعمة). أن تحتمل الفقر في الحياة فهذه قـوة. أن تصـارع مع الجوع والعطش فهذا أمر نابع من القوة. أية صرامة هناك حيث لا يوجد أي من هذه الأشـياء، بل أنت تستمتع بما لك كما يليق بمسيحي؟

من هذا المصدر ينبع الحسـد، بل كل الشـرور الأخرى هي بالأحرى لا تنبـع من مصدر آخر سـوى هذا، وهو أننا نلتصـق بالأرضيات. لأنه لو اعتبرت أن المال ومجد هذا العالم لا شـيء فلن تنظر نظرة شـريرة إلى مالكيهـا. لكن حيث إنك تعجب بهذه الأشـياء وتعشـقها وتمتدحها، فلهذا السبب يزعجك الحسد والمجد الباطل، وكلها أمور تنشأ من عشق الأرضيـات. هل تغار لأن هناك شـخصاً آخر غنيـاً؟ لا تغر، فمثل هذا الإنسـان الغني محتاج للشفقة ولدموع (تنسكب لأجله). لكن إن سخرت وإن أجبـت في الحـال بسـخرية قائلاً: لا بل أنا الـذي يحتاج للدموع (لأجل فقري) وليس هو! فأنت أيضاً تحتاج لمن يبكي عليك، ليس لأنك فقير، بل لأنك تظن نفسـك تعيساً. نحن نبكي لأجل الذين ليس لديهم

هموم و (مع ذلك) فإنهم متذمرون، ليس لأن لا هموم لهم بل لأنهم يظنون أن لديهم هموماً. لنفترض مثلاً أن أحدهم شــفي من الحمى ولا يزال قلقاً ويتقلب وهو راقد سليماً في فراشه ،ألا يبكي الإنسان عليه أكثر من الذين هــم بالفعل محمومون، لأن ليس فيه مــرض ومع ذلك يظن أنه مريض؟ وأنت تحتاج لمن يبكي عليك لأنك تظن أنك تعيس وليس لأجل فقرك.

لماذا تحسد الإنسان الغني؟ هل لأنه عرّض نفسه لهموم كثيرة؟ لعبودية قاســية؟ هل لأنه مربوط مثل كلب بعشــرة آلاف سلسلة أقصد لأمواله؟ المســاء يباغته، الليل يباغتــه، لكن وقت الراحة بالنســبة له هو وقت الاضطراب والخــوف والألم والقلق. عندما تحدث ضوضاء (في الخارج)، يقفــز في الحال (من فراشــه، خوفاً على ماله). هل سُــلب جاره؟ ورغم أنه لم يفقد شــيئاً يكون مهموماً أكثر من جاره المســلوب. لأن الإنســان المسلوب فقد ما فقده مرة، و كابد الألم لفترة ثم تخلى بعد ذلك عن همّه (بعــد حين)، أما الآخــر دائماً همّه معه. الليل يأتــي وهو ميناء (راحة مــن) أتعابنا، عزاء (من) بلايانا، دواء جروحنا. لأن الذين تثقلوا بحزن مفــرط غالباً ما لا يعطــون آذاناً صاغية لأصدقائهم وأقاربهم والقريبين إلى قلوبهم، ومراراً لا يســمعون حتى لأبيهم عندما يريحهم بكلمات تعزية، بل يســتاءون من ذات هــذه الكلمات، لأن مرارة الحزن تؤذي نفوســنا بطريقة أســوأ من أي حرق. وكما أن الجســد عندما يُنهك من المصارعة ضد شــدة أشعة الشــمس، ثم ينقل إلى مكان فيه ينابيع كثيرة تســوده نسمات الهواء المنعشة (لملاشاة تأثير أشعة لشمس الحارقة)، كذلك الليل فإنه يســلّم نفوسنا إلى النوم (ليشفينا من جراحات النهار). بل بالأحرى

يجب أن أقول، ليس الليل أو النوم هما اللذان يعطيان هذه (الراحة) بل الله الذي يعرف جنسنا المبتلى بالتعب، فقد جلب لنا هذه (الراحة)، بينما نحن لا نشفق على نفوسنا، كما لو كنا نعادي نفوسنا، واخترنا أن نبقى أسرى لقوة تحل محل الاحتياج الطبيعي للراحة، وأقصد بها الأرق الذي يأتي من الثروة. لأنه قيل «هموم الثروة تدفع النوم بعيداً» (بن سيراخ٣١ : ١ بحسب النص). انظر كم هو عظيم اهتمام الله، لكنه لم يُخضع الراحة لمشيئتنا ولا الاحتياجٍ للنوم لاختيارنا، بل ربطهما بضروريات الحياة، حتى يعمل معنا خيراً رغماً عن إرادتنا. لأن النوم هو (شيء مغروس) في طبيعتنا. ولكننا كمبغضين أشداء لنفوسنا بنفس قدر عداوتنا واضطهادنا لآخرين قد اخترعنا طاغية أعظم من احتياج الطبيعة هذا، وهو الطغيان الذي يأتي من المال.

وعندما تشرق شمس يوم جديد، يكون هذا الإنسان في رعب من احتمال سماع أخبار سيئة عن ممتلكاته، وعندما يأتي الليل يرتعب من اللصوص. وعندما ترد على ذهنه فكرة الموت، يرتعب لا من الموت فقط بل من فكرة أنه سيترك ثروته لآخرين. وعندما يرزق بابن فإن رغبته في اقتناء الثروة والممتلكات تزداد وإذا لم يكن قد رزق بأبناء فإن متاعبه تزداد أكثر.

هل تعتبر الذي هو عاجز عن نوال بهجة من أي جانب سعيداً؟ هل يمكنك أن تغار ممن هو في خضم العاصفة، بينما أنت مستقر في الميناء الهادئ الذي للفقر؟ بالحقيقة هذا نقص (معيب) في الطبيعة البشرية لأنها لا تقدّر جيداً ما هو لخيرها بل تستاء من نجاحها ذاته.

وكل هـذا يحدث على الأرض، لكن عندما نرحل إلى السماء اسمع مـا يقوله الغـني الذي له خيرات كثيرة كما تقـول (إذ أنني من جانبي لا أدعـو هذه الممتلكات خيراً بل هي أشـياء قليلـة الأهمية)، إذ يهتف قائلاً «**يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه ويبّرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب**» (لو١٦ : ٢٤). لأنه حتى لو لم يعاني ذلك الغني شـيئاً مما ذكرته، ولو أمضى كل حياته بدون مخاوف وهموم ولمـاذا أقـول كل حياته بالحري تلـك اللحظة (لأنها لحظـة وحياتنا كلهـا ما هـي إلا لحظة لو قورنـت بالأبدية التي ليس لهـا نهاية)، لو كانت كل الأمور قد سـارت بحسـب رغبته، ألا يلزم أن نرثي له لهذه الكلمـات، بل بالأحـرى لهذه الحالة التي آلت إليهـا الأمور؟ ألم تكن مائدتك فائضة بالخمور؟ الآن أنت لا تحتكم ولا على قطرة ماء وأنت في قمـة احتياجاتك. ألم تهمل ذلك الفقير المملوء قروحاً؟ لكنك الآن تلتمس نظـرة منـه ولا أحد يعطيك هذا . إنه كان راقداً عند بابك، لكنه الآن في حضـن إبراهيم. أنت كنت آنذاك راقداً تحت سـقف بيتك الفخم ، أما الآن تقبع في نار جهنم.

ليت الأغنياء يسمعون هذا الكلام، لا ليس الأغنياء بل قساة القلوب. لأنـه لم يُعاقـب لكونه غنياً، بـل لأنه لم يُظهر شـفقة. لأنه يمكن لمن هو غني وشـفوق بآن واحد أن ينال كل خير. ولهذا السـبب فإن عيني الغني لم تكونا مثبتتين على شـخص آخر سـوى من كان يطلب صدقته حتى يعرف من تذكره لأعماله السابقة أن عقوبته كانت عادلة. ألم يكن يوجـد فقراء عديدون كانوا أبـراراً غير لعازر؟ لكن ذاك الذي كان آنذاك

مطروحاً عند بابه، هو الوحيد الذي رآه ليعلّمه ويعلّمنا كم هو خير عظيم أن لا نضـع ثقتنـا (وقلوبنا) في الغنى (والمال). إن الفقر لم يعق لعازر عن الحصول على الملكوت، بينما لم يساعد الغنيّ الآخر على تحاشي جهنم. أين الحد الذي عنده يكون الإنسان فقـيراً؟ أين الحد الذي عنده يهبط الإنسان حتى إلى الفقر المدقع؟ لا يكون فقيراً من لا يملك شيئاً، بل الفقير هو الذي يشـتهي أشـياء كثيرة!. ليس غنياً من يملك مقتنيات كثيرة، بل الغني هو من لا يقف في موقف الاحتياج إلى شـيء. لأن ما المنفعة أن تمتلك العالم كله ومع ذلك تحيا في كآبة أعظم من الذي لا يملك شيئاً؟ إن اسـتعدادات قلوب الناس وليس فيض المال أو العوز إليه هو الذي يجعل الناس فقراء أو أغنياء.

هـل تود يا مـن أنت فقير أن تصـير غنياً؟ يمكنـك أن تصير هكذا بإرادتك ولا يمكن لأحد أن يعيقك. احتقر غنى العالم واعتبره لا شيئاً ولا يمكن لأحد (آنذاك) أن يعيقك. احتقر غنى العالم واعتبره لا شيئاً كما هو بالفعل هكذا. اطرح عنك شهوة المال وأنت في الحال تكون غنياً!

غـني هو الذي لا يرغب في أن يصير غنياً، ومن لا يرتضي بأن يكون فقـيراً (في المال) هو فقير. كما أنه معتوه من كان في كامل صحته ويندب حالـه (بتوهمه أنه مريض)، وليس الـذي يحتمل مرضه بخفة أكثر من الصحة السليمة[٢]، كذلك أيضاً يكون فقيراً من لا يستطيع احتمال الفقر، بل في وسـط غناه يظن نفسـه أفقر من الفقير، وليس الذي يحتمل فقره بخفة أكثر ممن يحتملون غناهم، لأنه رجل أغني[٣].

٢- يقصد هنا أنه يحتمل مرضه كما لو كان سليم الصحة ولا يعاني مرضاً.

لكن أخبرني : لماذا تخاف الفقر؟ لماذا ترتعب منه؟ أليس لأجل الجوع؟ أليس لأجل العطش؟ أليس لأجل البرد؟ أليس لأجل هذه الأشياء؟ لا يوجد من هو أبداً في عوز لهذه الأشياء «تأملوا في الأجيال الأولى وانظروا من توكل على الرب فخزي. أو من ثبت بخشيته فأُهمل. أو من استغاثه فرفضه؟» (بن سيراخ٢ : ١٠). وأيضاً «**انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها**» (مت٦ : ٢٦). لا يمكن لأحد أن يسارع ويشير إلى شخص اتكل على الرب وهلك من الجوع والبرد. فلماذا ترتعبون من الفقر؟ لا يمكنكم أن تقولوا (لماذا). لأنه لو كان لديك أموال كفاية فلماذا ترتعب منه؟ أ لأنه لا يوجد لديك خدم كثيرون؟ هذا تحرّر من السيادة. هذه سعادة دائمة. هذا هو التحرر من الهّم. هل لأن آنيتك وسريرك وأثاثك غير مصنوعة من الفضة؟ وأي تلذذ يشعر به أكثر منك من يملك هذه الأشياء؟

لا يوجد فرق على الإطلاق. إن الاستعمال هو نفس الاستعمال سواء كانت هذه المشغولات مصنوعة من الفضة أو خلافه. هل لأنك غير مُهاب من الكثيرين؟ ليتك لا تصير هكذا أبداً ! لأنه أية لذة في أن يقف أحد أمامك وهو مرتعد منك؟

هل لأنك خائف من آخرين؟ لكن يمكنك أن لا تخاف. لأن «**أتريد أن لا تخاف السلطان؟ أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه**» (رو١٣ : ٤).

٣- يبدو لي هنا أن ذهبي الفم يود القول إن الفقير الذي يحتمل فقره كما لو كانٍ غير فقير هو أغنى من الغني الذي يستطيع التعامل مع مساوئ الغنى دون أن يتضرر منه، لكون هذا الفقير أغنى روحياً.

هل هناك من يقول: لأننا قد تتعرض للازدراء فهل نعانى من الشـــر؟ ليس الفقر هو الذي يســـبب هذا بل الشـــر. لأن فقراء كثيرين قضوا كل حياتهم في هدوء، بينما الحكام والأغنياء والأقوياء أنهوا حياتهم في تعاسة أكثر من فاعلي الشر ومن قطّاع الطرق ولصوص المقابر.

لأن ما الذي يجلبه الفقر في حالتك ويجلبه الغنى في حالتهم؟ لأن ما يصنعه الذين يســيئون إليك، يصنعونه بك من خلال حالتك المزرية، هم يعملونـــه للغني من باب الغيرة والنظرة الشـــريرة التي يلقونها عليه، بل إن الغني يُعامل بازدراء أكثر منك، لأن الاشتياق إلى إساءة معاملة الآخر تكون أكثر شـــدة في حالته. الذي يحســـد يفعل كل شيء بأقصى جهده، بينمـــا غالباً ما يشـــفق المزدري بالمُزدرَى به وكثـــيراً ما يكون فقره وعوزه الشديد للقوة سبباً في إنقاذه.

ولو قلنا: أية منفعة جزيلة ســـتجنيها لـــو قتلت الفقير، لهدئنا بهذا من غضبه. لكن الحســـود يجعل نفسه ضد الغني ولا يتوقف حتى يعمل مـــا يريد ويســـكب كل سُمّه. هل ترى أن لا الفقـــر ولا الغنى هو خير في حد ذاته، بل هذا يتوقف على اســـتعداداتنا للأســـلوب الحسن والتعامل معهما بحكمة.

لو أن هذا تم حسناً، فلا الغنى يمكنه أن يطرحنا من الملكوت ولا الفقر يجعلنا نخيب (نفشـــل). بل سنحتمل الفقر بوداعة ولن نخسر من جهة التلذذ بالخيرات الآتية ولا حتى من الخيرات التي هنا على الأرض، بل سنستمتع بما هو خير على الأرض ونحصل على الخيرات السماوية التي

نتعشـــم الحصول عليها بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والإكرام الآن وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثالثة

(فيلبي ١ : ١٨-٢٤)

وَبِهَذَا أَنَا أَفْرَحُ. بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضاً. لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ بِطِلْبَتِكُمْ، وَمُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي أَنِّي لاَ أُخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، كَذَلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ. (١ : ١٨-٢٠).

لا شيء من الأمور المحزنة التي في هذا العالم يمكنه أن ينشب مخالبه في تلك النفس السامية التي هي بالحق تعيش بحسب الحكمة، سواء كانت هذه الأمور عداوة أو اتهامات أو نميمات أو مخاطر أو مكائد. إنها تطير لتتحصّن في قلعة قوية وتكون هناك في حماية أمينة من الهجمات التي تأتيها من الأرض السفلية.

هكذا كانت نفس بولس، فهي امتلكت موضعاً أعلى من أي قلعة، إذ امتلكت مقعد الحكمة الروحية التي هي الفلسفة الحقيقية. لأن فلسفة الذين من خارج، أي غير المؤمنين، هي مجرد كلام ولهو أطفال. لكننا لا نتكلم عن هذا الآن، بل عما يختص ببولس. هذا الطوباوي كان يعاديه كل من الإمبراطور وأعداء ألداء كثيرون آخرون كانوا يؤذونه بطرق شتى،

بـــل وبنميمـــة مرّة. وماذا يقول هو؟ إنه يقــول: لن أحزن أو أخور تحت ثقل هذه الأمور، بل «**أنا أفرح، بل ســأفرح أيضاً**» ليس لفترة معينة بل دائماً ســأفرح لهذه الأمور. «**لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص**» هذا الذي يحدث عندما تساهم عداوتهم أيضاً وغيرتهم من نحوي في نشـــر الإنجيل.

ثم أضاف قوله «**بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح حسب انتظاري ورجائي**».

انظـــر إلى الذهن المتواضـــع لهذا الطوباوي. إنـــه كان يجاهد في الحلبة، واقترب الآن من إكليله وحقق انتصارات كثيرة، وماذا يمكن للإنسان أن يضيف لهذا؟

لا يـــزال يكتـــب إلى أهـــل فيلبي قائـــلاً «**هذا يؤول لـــي إلى خلاص بطلبتكـــم**» أنا الذي نلـــت الخلاص عن طريق إنجـــازات لا حصر لها. ويقول «ومؤازرة روح يسوع المسيح». إنه كما لو كان يقول: إن كنت أظن أنني جدير بصلواتكم، أظن أيضاً أنني ســأكون جديراً لنعمة أكثر. لأن معنـــى «مؤازرة»هو هـــذا: إن كان الروح قد آزرني، فهو يُعطي لي بفيض أكثر. أو هو يتحدث عن نجاة «إلى خلاص» أي «سأفلت أيضاً من الخطر الحاضر كما نجوت من السابق. وعن نفس هذا الأمر يقول «**في احتجاجي الأول لم يحضـــر أحد معي بـــل الجميع تركوني. لا يحســـب عليهم. ولكـــن الرب وقف معي وقوانـــي**» (٢تي٤: ١٦، ١٧)، لذلك يتنبأ الآن قائلاً «**بطلبتكم ومؤازرة روح يســوع المسيح. حسب انتظاري ورجائي**»

(في١: ١٩، ٢٠). لأن هـذا مـا أرجوه. ولكي يقنعنا بـأن لا نترك الأمر كله للصلوات المرفوعة عنا ولا نسـاهم بشـيء من عندنا، انظر كيف قدّم مـا عليه، الذي هـو الرجاء مصدر كل الخيرات كقـول النبي «**لتكن يا رب رحمتك علينا حسبما ترجيناك**» (مز٣٣: ٢٢). وكما هو مكتوب في موضع آخر «تأملوا في الأجيال الأولى وانظروا من توكل على الرب فخزي أو من ثبت بخشيته فأُهمل. أو من استغاثه فرفضه؟» (بن سيراخ٢: ١٠). وأيضـاً نفس هذا الطوباوي يقـول «**الرجاء لا يخزى**» (رو٥: ٥). هذا هو رجاء بولس: الرجاء بأني لن أخزى أبداً.

يقول الرسول «**حسب انتظاري ورجائي أني لا أخزى في شيء**».

هل ترى كم أنه شـيء عظيم أن يكون لك رجاء في الله؟ (فلسـان حاله) يقول: مهما حدث فلن أخزى، فلن يسودوا عليّ «**بل بكل مجاهرة كما في كل حين، كذلك الآن يتعظم المسيح في جسدي**»

إنهـم توقعوا أن يمسـكوا ببولس في هـذه المصيدة ويخمـدوا الكرازة بالإنجيـل كما لـو كانت حيلتهم لها أية قوة. لذلـك هو يقول: هذا لن يكون هكذا فلن أموت الآن «**كما في كل حين كذلك الآن يتعظم المسيح في جسدي**». كيف هذا؟

مراراً ما سقطت في مخاطر، عندما تخلى كل الناس عني، بل وما هو أكثر من هذا عندما خُرت أنا نفسي، لأنه «**كان لنا في أنفسنا حكم الموت**» (٢كو١: ٩)، لكن الرب نجاني من كل المخاطر، كذلك الآن أيضاً يتعظم المسـيح في جسدي. فماذا؟ لئلا يظن أحد ويقول: إن حكم عليك بالموت

يا بولس أفلا يتعظم المسيح؟ فيجيب بولس: نعم، أنا أعلم أنه سيتعظم، لهذا السبب لم أقل إن حياتي وحدها ستعظمه، بل موتي أيضاً. وهو يقصد الآن «**بحياة**» إنهم لن يقتلوني، وحتى لو فعلوا هذا فالمسيح بهذا أيضاً يتمجد. كيف هذا؟

بالحياة لأنه نجاني (من المخاطر)، لكن «**بموتي**» لأنه حتى الموت نفسه لا يمكنه أن يجعلني أنكره، لأن المسيح أعطاني مثل هذا الاستعداد وجعلني أقوى من الموت. فمن ناحية لأنه نجاني من الخطر، ومن ناحية أخرى لأنه لم يسمح لي أن أخاف من طغيان الموت، وهكذا يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أو بموت. وهذا لا يقوله وكأنه كان على وشك أن يموت، لكن لئلا يتأثر البعض لموته، لأن الناس معرضون لهذا (التأثر السلبي). لكن لكي تعلموا أن كلماته هذه لا تشير إلى موت وشيك، وهو الفكر الذي يؤلمهم كثيراً، انظر كيف يريحهم من هذا الفكر وكأنه يقول لهم: «**أنا أقول هذا الكلام، ليس كمن هو على وشك الموت**»، لذلك أضاف في الحال «**فإذ أنا واثق بهذا أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم**» (في١: ٢٥). إنه يقول «**إني لا أخزى في شيء**» (في١: ٢٠)، أي أن الموت لن يخزيني، بل بالأحرى سيجلب لي ربحاً عظيماً. لماذا؟ لأنني غير خالد، لكنى سألمع ببهاء أكثر مما لو كنت خالداً، لأنه لن يحدث نفس الشيء لمن هو خالد ومن هو مائت عندما يزدري بالموت إذ رد فعلهما مختلف، فإني لا أخزى في شيء لا في الحياة ولا في الموت. لأني سأحتمل كليهما بنبلٍ سواء الحياة أو الموت، فهذا هو دور النفس المسيحية!

لكنه يضيف «**بكل مجاهرة**».

ألا ترى كيف أنني خالٍ تماماً من كل خزي؟ لأنه لو أن الخوف من الموت قد قلل من مجاهرتي، لكان الموت يستحق الخزي، لكن لو كان الموت قريباً مني ومع ذلك لم يرعبني فلا خزى هنا، سواء كان بحياة فلن أخزى لأنني لازلت أبشر بالإنجيل، أو بموت فلن أخزى فالخوف لن يعيقني إذ أنني لازلت أُظهر نفس المجاهرة. ألم تفكروا في الأمر على أنه مخزي عندما ذكرت قيودي، لكن قيودي كانت سبباً لخير متعدد الأوجه في أنها أعطت ثقة لآخرين. لأنه أن تُقيد لأجل المسيح، فهذا ليس بخزي، لكن أن تخاف القيود التي لأجل المسيح فهذا هو الخزي.

عندما لا يوجد مثل هذا الخوف، فالقيود تكون بالأولى سبباً للجسارة. لكن حيث إنني مراراً أفلت من المخاطر وكان هذا سبب افتخار لي أمام غير المؤمنين فلا تظنوا سريعاً أنني خزيت، إذ أن الحال ليس هكذا الآن. فالإفلات من المخاطر يعطيني جسارة لا تقل عن عدم الإفلات منها.

لاحظ كيف أنه يقدم هذا في شخصه، الأمر الذي يعمله في مواضع أخرى كما في رسالة رومية إذ يقول «**لأني لست أستحي بإنجيل المسيح**» (رو١ : ١٦)، وأيضاً في رسالة كورنثوس الأولى يقول «**فهذا أيها الإخوة حولته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلوس**» (١كو٤ : ٦).

«**سواء كان بحياة أم بموت**»

لا يقول هذا كما لو كان عن جهل (لأنه علم أنه لن يموت الآن، بل بعد ذلك بفترة)، لكنه الآن أيضاً يُعّد نفوسهم.

«**لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح**» (١ : ٢١).

إنه يقصد: لأنه حتى بالموت لن أموت لأن حياتي فيّ، إذ سيقتلونني حقاً لو كانت لديهم القوة عن طريق هذا الخوف لنزع الإيمان من نفسي. لكن طالما أن المسيح فيّ، فحتى لو أدركني الموت، فإنني لازلت عائشاً، وفي هذه الحياة الحاضرة، ليست هذه حياتي بل حياتي هي المسيح. لذلك حيث إنه ولا في الحياة الحاضرة الأمر هكذا «**فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان**» (غلا٢ : ٢٠). كذلك أقول في تلك الحالة أيضاً «**فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ**» (تابع غلا٢ : ٢٠). هكذا ينبغي للمسيحي أن يكون!.

يقول الرسول: أنا لا أحيا الحياة العادية.

فكيف تعيش أيها الطوباوي بولس؟ ألا ترى الشمس؟ ألا تتنفس الهواء؟ ألا تتغذى بنفس الطعام مثل آخرين؟ ألا تسير على الأرض مثلنا؟ ألا تحتاج إلى الطعام والملبس والحذاء؟ ماذا تقصد بعبارة «أحيا لا أنا» ؟ كيف لا تحيا أنت؟ لماذا تفتخر بنفسك؟

لا يوجد افتخار هنا. لأنه إن كانت الحقائق تشهد له، فكيف يكون هذا افتخاراً ؟ لذلك لنتعلم هنا كيف أنه لا يحيا هو، لأنه هو نفسه يقول في موضع آخر «**صُلب العالم لي وأنا للعالم**» (غلا٦ : ١٤). اسمع

إذاً كيــف يقول «**أحيا لا أنا**» (غلا٢ : ٢٠)، وكيف يقول «**لي الحياة هي المسيح**» (في١ : ٢١).

أيها الأحباء إن كلمة «حياة» لها أهمية أكثر مثلها مثل كلمة «موت». توجد حياة للجسد وتوجد حياة للخطية، كما يقول هو نفسه في موضع آخــر «**نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟**» (رو٦ : ٢). إذاً يمكن أن يحيا الإنسان حياة الخطية.

أتوســل إليكــم أن تنصتوا باجتهــاد لئلا يضيع تعــبي عبثاً. توجد حيــاة خالدة مع حياة أبديــة سماوية «**فإن ســيرتنا** (وطننا) **نحن هي في الســموات**» (في٣ : ٢٠). توجد حياة للجســد والــتي عنها يتكلم «**به نحيــا ونتحرك ونوجد**» (أع١٧ : ٢٨). إذاً فهو لا ينكر أنه يحيا الحياة الطبيعيــة، لكنــه لا يحيا حياة الخطية التي يحياهــا كل الناس. الذي لا يريــد الحياة الحاضــرة فكيف يحياها؟ الذي يُســرع إلى حياة أخرى كيــف يحيا هذه الحياة؟ الذي يزدري بالمــوت كيف يحيا هذه الحياة؟ الذي لا يريد شــيئاً كيف يحياها؟ لأن ما هو مصنوع من الماس فحتى لو ضُــرب ألــف ضربة لن يتأثر أبداً بهذا الضرب، وبولس أيضاً (لن يعيره انتباهــاً). ويقول «**أحيا لا أنا**» أي «**لا يحيا الإنســان العتيق في بعد**»، كما يقول أيضاً في موضع آخر: «**ويحي أنا الإنســان الشقي. من ينقذني من جســد هذا الموت**» (رو٧ : ٢٤). كيف يحيا من لا يعمل أي عمل من أجل الطعام، ومن أجل الملبس، ومن أجل أي من هذه الأمور الحاضرة؟ إنسان مثل هذا لا يحيا الحياة الطبيعية: الذي لا يهتم بشيء مما يقوت الحيــاة الحاضــرة لا يحيا. نحن نحيا هذه الحيــاة التي لابد أن نعمل

فيها حتى نعيش. لكن بولس لم يحيا ولم يشغل نفسه أبداً بشيء من الأشياء هنا. فكيف عاش؟ تماماً كما اعتدنا القول في الأمور العامة «إن مثل هذا الإنسان (باله) ليس معي. عندما لا يعمل شيئاً يختص بي»، أيضاً وبطريقة مماثلة «**إنسان مثل هذا لا يحيا لأجلي**». وفي موضع آخر يبيّن بولس أنه لا يلفظ الحياة الطبيعية إذ يقول «**فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي**» (غلا٢ : ٢٠)، أي أنا أحيا نوعاً مختلفاً من الحياة الجديدة، وهو بالحقيقة ذكر كل هذه الأقوال ليريح أهل فيلبي. وكأنه يقول: لا تظنوا أنني سأُحرم من هذه الحياة، لأنه حتى وأنا عائش، لم أعش هذه الحياة، بل عشت الحياة التي أرادها المسيح. أخبروني هل الذي يحتقر المال، الترف، الجوع، العطش، والأخطار، الصحة، الأمن.. يحيا هذه الحياة؟ الذي لا ممتلكات لديه هنا ويرتضي مراراً أن يتخلى عن الحياة لو طُلب منه ذلك، وهو غير متعلق بها، هل هو يحيا هذه الحياة؟ لا على الإطلاق.

هذا يلزمني أن أوضحه لكم بمثال. لنتخيل أن أحدهم لديه ثروة عظيمة مع خدم كثيرين وذهب وفير ولا يستفيد من كل هذه الأشياء، فهل مثل هذا الإنسان غني لأجل كل ثروته؟ لا على الإطلاق.

لندعه يرى أولاده يبذرون ماله، يتسكعون بتكاسل، ولندعه لا يتألم عندما يُضربون، فهل ندعوه إنساناً غنياً؟ لا على الإطلاق مع أن ثروته هي ملكه.

إن بولس يقول «**لي الحياة هي المسيح**» فإن سألت عن حياتي (أنا بولس)، أجيب إنه هو حياتي «والموت هو ربح لي» لماذا؟ لأني سأكون موجوداً معه، حتى إن موتي هو بالأحرى انتقال إلى الحياة، الذين يقتلونني لن يعملوا لي أمراً فظيعاً، (بل) هم فقط يرسلونني مباشرة (حرفياً إلى الأمام) إلى حياتي الأصلية ويحررونني من الحياة التي ليست لي. فماذا، فبينما كنت هنا، هل لم تكن حياتي للمسيح؟ نعم كانت هكذا وبدرجة عالية.

«**ولكن إن كانت الحياة في المسيح هي ثمر عملي فماذا أختار؟ لست أدري**» (١ : ٢٢).

لئلا يقول شخص ما: إن كنت تقول إن المسيح هو حياتك فلماذا تركك هنا؟

فيجيب بولس: إن الحياة هنا (في الجسد) «هي لي ثمر عملي، حتى إنه من الممكن استخدام الحياة الحاضرة لغرض حسن بينما أنا لا أحياها (كما يعمل أهل العالم). لئلا تظنوا أن الملامة ملقاة على الحياة، لأنه إن لم نجنِ منفعة هنا، فلماذا لا ننتحر ولا نقتل أنفسنا (كما يقول البعض ممن هم خارجاً)؟

فيجيب بولس رداً عليهم: أبداً، فإنه مُتاح لنا أن نربح حتى هنا إن لم نعش هذه الحياة (بحسب مفاهيم أهل العالم)، بل حياة أخرى (تليق بأولاد الله).

لكن ربما من يتساءل: هل تجلب لك هذه الحياة ثماراً؟

فيجيب بولس: نعم!

فأين الهراطقة الآن؟ لينظروا الآن قوله إن حياته في الجسد هي ثمر عمله «**ما أحياه الآن في الجسد، إنما أحياه في الإيمان**» لذلك هو «**ثمر عملي**».

«**فماذا اختار؟ لست أدري**»

كلام مدهش!

كم كانت فلسفته عظيمة!

كيف أنه طرح عنه شهوة الحياة الحاضرة، ومع ذلك لم يُلقِ عليها ملامة! لأن بقوله «**الموت هو ربح**» فقد طرح عنه شهوة الحياة، لكن بقوله «**الحياة في الجسد هي لي ثمرة عملي**» فهنا أظهر أن الحياة الحاضرة هي أيضاً مطلوبة، إن استخدمناها كما ينبغي ، إن أثمرنا، لأنها إن كانت غير مثمرة فهي لم تعد حياة. لأننا نزدري بتلك الأشجار التي لا تحمل ثمراً، و نطرحها في النار. إن الحياة ذاتها تقع ضمن الأشياء الحيادية بينما أن تحيا بطريقة حسنة أو سيئة، فهذا أمر يتوقف علينا.

إذاً نحن لا نكره الحياة، لأنه يمكننا أيضاً أن نحياها بطريقة حسنة. لذلك حتى لو أسأنا استخدامها، فنحن مع ذلك لا نلقي الملامة عليها. لماذا؟ لأن الحياة في حد ذاتها غير ملومة، بل الملوم هو الإرادة الحرة لمن

أساءوا استخدامها. لأن الله قد جعلك حياً لكيما تحيا له، لكنك بحياتك في الفساد والخطية، جعلت نفسك مسئولاً عن كل ملامة (بشأنها).

أخبرني ماذا تقول (يا بولس الرسول)؟ ألا تعرف ماذا تختار؟

إن بولس هنا قد أظهر سراً عظيماً في أن رحيله كان في متناول يده، لأنه حيث يكون الاختيار، هناك يكون لنا سلطان. هو يقول «**فماذا أختار؟ لست أدري**».

هل هذا الاختيار في مقدورك؟

فيجيب: نعم، فلو أردت، سأطلب من الرب هذه النعمة.

«**فإني محصورٌ بين الاثنين. لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً**» (١ : ٢٣).

انظر إلى حنان هذا الطوباوي، فهو بهذه الطريقة أيضاً يريحهم (يعزيهم)، عندما يرون أنه متحكم في اختياره، وهذا يتم ليس بخطية إنسان (أي لا يتوقف على خطية إنسان أو كنتيجة لها)، بل بتدبير الله. وهو (كأنه) يقول: لماذا تنتحبون لموتي؟ إنه من الأفضل جداً لي أن أعبر إلى هناك.

ويواصل كلامه قائلاً:

«**أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم**» (١ : ٢٤).

إن هذه الكلمات كانت تعدهم لهذا الموت عندما يحدث حتى يحتملوه

بشجاعة، وهذا كان لتعليمهم الحكمة الحقيقية. إنه خير لي أن «**أنطلق وأكون مع المسيح**» لأن الموت نفسه هو شيء حيادي. إذ الموت في حد ذاته ليس شراً، بل الشر هو أن تُعاقب بعد الموت. وليس الموت خيراً (في حد ذاته)، بل الخير بعد الموت هو أن نكون مع المسيح. ما يعقب الموت يكون إما خيراً أو شراً.

لذلك ليتنا لا نحزن وحسب لأجل الميت، ولا نفرح لمجرد أننا نحيا. لكن كيف (نفرح أو نحزن)؟

لنحزن لأجل الخطاة، ليس فقط عندما يموتون، بل أيضاً وهم لا يزالون أحياء. لنفرح لأجل البار ليس فقط بينما هو حي، بل أيضاً عندما يموت. لأن الخطاة أموات رغم أنهم لا يزالون أحياء (بالجسد)، بينما الأبرار ولو أنهم أموات (بالجسد) لا زالوا أحياء (بالروح). ولنا أن نرثي للخطاة حتى وهم هنا (على الأرض) لأنهم في عداوة مع الله، بينما الأبرار مطوبون حتى لو رحلوا إلى السماء، لأنهم انطلقوا إلى المسيح. الأشرار حيثما وجدوا، بعيدون عن الملك (المسيح)، لذلك هم الذين ينبغي البكاء عليهم، بينما البار، سواء كان هنا (على الأرض) أو هناك (في السماء)، فهو مع الملك، وهناك في درجة أعلى وأقرب، ليس في مرآة أو بالإيمان، بل «**وجهاً لوجه**» (١كو١٣: ١٢).

لذلك ليتنا لا ننتحب للموتى وحسب، بل ننتحب لمن ماتوا في الخطية، فهم مستحقون للنحيب وقرع الصدور والبكاء. أخبرني إذاً أي رجاء لنا عندما تصطحبنا خطايانا إلى هناك حيث لا يوجد لها

غفـــران؟ وطالما كان الخطاة موجودين هنا، كان يوجد رجاء عظيم في أنهم ســـيتغيرون وأنهم سيصيرون أفضل، لكن إذ قد ذهبوا إلى الجحيم حيث لا يمكـــن أن توجد أبداً منفعـــة من الندم [لأنه مكتوب «**ليس في الجحيم من يشكرك**» (مز٦: ٥)] أفلا يكونون مستحقين لنحيبنا؟ لننتحب لأجل أولئـــك الذيـــن رحلوا من هنا وهم في مثل هذا الحـــال، لننتحب لأجلهم وأنا لن أعيقكم عن ذلك لكن ليس بطريقة غير لائقة، ليس بنتف شعرنا أو تعريـــة أذرعنا أو تجريح وجهنا أو لبس ملابس ســـوداء، بل ننتحب بالـــروح ذارفين عليهم دموعاً حارة في هدوء. لأنه يمكننا أن نبكي بمرارة دون كل هذه المظاهر. ولا نبكي لمجرد اللهو، لأن النحيب الذي يصنعه الكثيرون لا يختلف في شـــيء عن اللهو. لأن الأحزان العلنية لا تنبع من تعاطف بل من مظهر، من افتخار ومجد باطل. كثير من النساء يعملن هذا كمحترفات. البكاء بمرارة والنحيب في البيت عندما لا يراك أحد، هذا هو مجال التعاطف الحقيقي، بهذا أنت تنفع نفســـك أيضاً. لأن الذي يبكي على آخر بمثل هذه الطريقة، سيجتهد جداً ألا يقع في نفس الخطايا، إذ أن الخطية ســـتكون من الآن سبب رعبٍ لك . ابكِ لأجل غير المؤمنين، ابكِ لأجل الذين لا يختلفون عنهم في شـــيء، ولأجل الذين يرحلون من هنا غير معتمدين وبدون الختم. إنهم بالحق يســـتحقون نحيبنا وتأوهنا، إنهم خارج القصر (الســـماوي) مع المجرمـــين والمدانين «**الحق أقول لك إن كان أحـــد لا يولـــد من المـــاء والروح لا يقدر أن يدخـــل ملكوت الله**» (يو٣: ٥). ابكِ لأجل الذين ماتوا أغنياء ولم يفكروا في أي عزاء لنفوسهم مـــن ثروتهم والذين كان بمقدورهـــم أن يزيلوا خطاياهم (بالصدقة وأعمال الرحمة) ولم يفعلوا. لنبكِ لأجل كل هؤلاء سراً وعلانية لكن بلياقة ووقار

وليس لكي نستعرض أنفسنا، ولنبكِ لأجل كل هؤلاء ليس ليوم أو يومين بـل كل حياتنا. مثل هذه الدموع تنبع من حب حقيقي. النوع الآخر من الدموع (الاستعراض) ينبع من انفعال لا معنى له. لهذا السبب تنتهي هذه الدموع بسرعة، بينما التي تنبع من مخافة الله تبقى معنا دائماً. لنبكِ لأجل هؤلاء ولنساعدهم بقدر استطاعتنا، ولنفكر في تقديم بعض المساعدة لهم حتى ولو كانت ضئيلة لكن مع ذلك فلنساعدهم. كيف وبأية طريقة؟ بالصلاة والتوسل لآخرين أن يصلوا لأجلهم، باستمرار التصدق على الفقير لأجلهم. هذا العمل له بعض التعزية، إذ أسمع كلمات الله نفسه عندما يقول «**سأحامي عن هذه المدينة من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي**» (٢مل٢٠: ٦). إن كان مجرد تذكار إنسان بار له مثل هذه القوة العظيمة، فإن صنعت أعمالاً لأجل واحد، فكم لا تكون القوة أعظم؟ ليس اعتباطاً أن الرسل قد أوصوا بأن يُصنع هذا التذكار في الأسرار المقدسة (القداس الإلهي).

إنهم يعلمون أن ربحاً عظيماً ينتج لهم وأن منفعة عظيمة تتأتى عندما يقف الشعب كله بأيدٍ ضارعة في اجتماع كهنوتي وتلك الذبيحة المهيبة بادية للعيان، فكيف لا نجعل الله يستجيب لتوسلاتنا لأجلهم؟ وهذا نصنعه لأجل الذين ماتوا في الإيمان، بينما نظن أن الموعوظين غير جديرين حتى بهذه التعزية، بل هم محرومون من كل سبل المعونة عدا وسيلة واحدة. وما هي؟ وهي أن تتصدق على الفقير لأجلهم. إن هذا العمل ينعشهم بطريقة ما. لأن الله يريدنا أن نتبادل المعونة وإلا فلماذا أمرنا بالصلاة لسلام وخير العالم؟ لماذا نصلي نيابة عن كل الناس؟ لأن

اللصــوص ومنتهكي حرمة القبور، الســارقين، والناس المحملين بجرائم لا حصــر لها يندرجون ضمن هذا العــدد، ولكن نحن نصلي لأجل الكل لعلهــم يتوبون. لذلك كما نصلي لأجل أولئك الأحياء الذين لا يفرقون في شــيء عن الموتى، كذلك أيضاً نحن نصلي للموتى. إن أيوب قدم ذبيحة عــن أولاده وعتقهم مــن خطاياهم، فهو (كان) يقــول «**ربما أخطأ بنيّ وجدفــوا علــى الله في قلوبهم**» (أي١ : ٥). وهكذا يقدم الإنســان لأولاده (صلــوات تفيدهم وقــدوة روحية تثيرهم بما يــؤول لخلاصهم). ولم يقل (أيوب) كما يقول كثيرون في هذه الأيام: ســأترك لهم الثروة. ولم يقل: وأحصل لهم على الشرف أو يقول: سأدبر (حرفياً سأشتري) لهم وظيفة، أو يقول: سأشــتري لهم أرضاً، بل قال «**ربمــا أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهــم**». لأنــه أية منفعة هناك من هذه الأشــياء؟ لا منفعة على الإطلاق في الأشــياء التي تبقى هنا. إني ســأجعل (الله) ملك الكل راضياً عنهــم وعندئذ لن يكونوا بعد في حاجة إلى شــيء، والمزمور يقول «**الرب راعي فلا يعوزني شيء**» (مز٢٣ : ١). هذه ثروة عظيمة، هذا كنز. لو أن لنا مخافة الله فلن نحتاج إلى شيء، وإن لم تكن لنا هذه المخافة، فحتى لو كان لنا عرش المملكة ذاته، فنحن أفقر جميع الناس. لا يوجد شــيء يماثل من يخاف الرب. لأنه قيل «**مخافة الرب تفوق كل الأشياء**» (بن سيراخ٢٥ : ١١ بحسب النص).

لذلك فلنحصل على هذه المخافة ولنعمل كل شيء في سبيل نوالها. لو احتاج الأمر أن نبذل حياتنا ولزم أن يُقطع جسدنا إرباً، فليتنا لا نشفق عليهما بل لنعمل كل شيء للحصول على هذه المخافة.

لأنــه بهذا ســنقتني أكثر من كل الناس، وســنحصل على الخيرات الآتيــة في المســيح يســوع ربنــا الذي لــه مــع الآب والــروح القدس، المجــد والإكــرام والقــوة الآن وكل أوان وإلى دهــر الدهــور آمــين.

العـظة الرابـعة

(فيلبي ١: ٢٢-٣٠)

فَمَاذَا أَخْتَارُ؟ لَسْتُ أَدْرِي! فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنْ الاثْنَيْن: لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً.لَكِنْ أَنْ أَبْقَى فِي الْجَسَدِ أَلْزَمُ مِنْ أَجْلِكُمْ.فَإِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِهَذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَمْكُثُ وَأَبْقَى مَعَ جَمِيعِكُمْ لأَجْلِ تَقَدُّمِكُمْ وَفَرَحِكُمْ فِي الإِيمَانِ، لِكَيْ يَزْدَادَ افْتِخَارُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ فِيَّ، بِوَاسِطَةِ حُضُورِي أَيْضاً عِنْدَكُمْ (١: ٢٢-٢٦).

لا ليس هناك ما هو أكثر تطويباً من روح بولس لأن لا شيء أكثر منها نبلاً. إني اعتدت القول: إننا جميعاً نرتعب من الموت، البعض لسبب الخطايا الكثيرة وأنا واحد منهم، والبعض الآخر بسبب محبة الحياة والجبن، وأنا لست من هذا الصنف أبداً. لأن الذين هم واقعون تحت سطوة هذا الخوف هم مجرد حيوانات. إذاً فهذا (الموت) الذي نرتعب منه كلنا هو يرجوه ويُسرع نحوه قائلاً «أن أنطلق، ذاك أفضل جداً».

ماذا تقول أيها الطوباوي؟ عندما أنت موشك أن تنتقل من الأرض إلى السماء وتكون مع المسيح، ألا تعلم ماذا تختار؟

كلا، فهذا أبعد ما يكون عن روح بولس، لأنه لو قُدّم مثل هذا العرض

لأي شـخص بضمانات أكيدة، أفلا ينتهز في الحال هذه الفرصة ويُمسك بهـا؟ نعـم، إذ كما أنه ليس بمقدورنا «أن ننطلق ونكون مع المسـيح»، كذلـك ليس بإمكاننا أن نبقى هنا حتى لو كان بإمكاننا أن ننطلق ونكون مع المسـيح. لكن كلاهمـا كانا في مقدور بولس وروحـه. إنه كان مقتنعاً (بهذا الاختيار) بمنتهى الثقة.

ماذا (تقول يا بولس)؟ هل أنت موشك أن تكون مع المسيح؟ وهل تقول «**ماذا اختار، لست أدري؟**». وليس هذا فقط، بل هل تختار الإقامة هنا «**أن أبقى في الجسـد**»؟ ما هذا يا ترى؟ ألم تعش حياة ممتلئة بالمرارة في «أسـهار، غرق السـفينة ثلاث مرات، في جوع وعطش، في برد وعري، في هموم وقلق؟ «**مع الضعيف تضعف وتلتهب لمن يعثر**» (٢كو١١: ٢٧-٢٩)، «**في صبر كثير، في شدائد، في ضرورات، في ضيقات. في ضربات، في سجون، في اضطرابات، في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة**» (٢كو٦: ٥، ٦)، «**خمس مـرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة، ثلاث مـرات ضُربت بالعصـي. مرة رُجمت. ليلاً ونهـاراً قضيت في العمق. بأخطار سـيول. بأخطـار لصوص، بأخطـار في المدينـة، بأخطار في البرية، بأخطار من إخوة كذبة**» (٢كو١١: ٢٤-٢٦).

عندمـا ارتد كل أهل غلاطية إلى العيش بحسـب الناموس، ألم تصح بصوت عالٍ قائلاً «**أيها الذين تتبررون بالناموس سـقطتم من النعمة**» (غـل٥: ٤)، كم كان حزنك عظيماً آنذاك، أفلا تزال ترغب هذه الحياة الفانيـة؟ لو لم يكن قد أصابك شـيء من كل هـذا بل قد نجحت وكان النجاح حليفك وكنت بدون خوف وممتلئاً بهجة، ألا ينبغي لك مع ذلك

أن تســارع إلى ميناء ما خوفاً من مسـتقبل غير مؤكد؟ أخبرني عن أي تاجر تكون سفينته مملوءة بثروة لا حصر لها هل عندما يمكنه أن يسارع إلى الميناء ويكون في راحة يفضّل أن يبقى في (عرض) البحر؟ أي مصارع عندما يمكنه أن يُتوج يفضّل أن يستمر في منازلة خصمه؟ أي ملاكم عندما يمكنه أن يلبس إكليله يفضّل أن يدخل الحلبة من جديد ويعرض رأسه للجروح؟ أي قائد عندما يمكنه أن يتخلص من الحرب بتقرير حسن وانتصارات (رائعة) ويمكنه أن ينعش نفسه مع الملك في قصره، لا يزال مع هذا يفضّل التعب والوقوف في صفوف القتال في المعركة؟ فكيف يا من تعيش حياة ممتلئة بالمرارة لا تزال ترغب في أن تبقى هنا؟ ألم تقل أنا مرتعب «**حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً**» (١كو٩: ٢٧).

حتى لو كان الحاضر مملوءاً بخيرات لا حصر لها ينبغي لك أن تشتهي انطلاقك، إن لم يكن لسبب آخر، فليكن بسبب رغبتك الشديدة للقاء المسيح حبيب نفسك.

يا لروح بولس هذه! لم يكن شيء أبداً مثلها ولن يكون !

أنت تخاف المستقبل (١كو٩: ٢٧)، ومحاط بأشياء كثيرة مميتة، أفلا تريد أن تكون مع المسيح؟

فيجيب: لا، وهذا لأجل المسيح، حتى أرد له بحب أكثر أولئك الذين جعلتهم عبيده، ولكي أجعل الحقل الذي زرعته يأتي بثمر كثير (١كو٣: ٩). ألم تسمعوني عندما أعلنت أنني «**غير طالب ما يوافق**

نفسي» (١كو١٠: ٣٣)، بل طالب ما يوافق (يفيد) قريبي؟ ألم تسمعوا هذه الكلمات «**كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح**» (رو٩: ٣) لكي يأتي كثيرون إليه؟ أنا الذي اخترت ذاك القدر (النصيب)، ألن أختار بالأولى هذا، أن أضر نفسي بمسرة بهذا التأخير والتأجيل حتى يخلصوا؟

«**من سينطق بأعمالك الجبارة يا رب**» (مز١٠٦: ٢) لأنك لم تسمح لبولس أن يكون مخفياً، لأنك أظهرت للعالم إنساناً كهذا؟ «**كل ملائكة الله تسبحك باتفاق عندما صنعت الكواكب**» (أي٣٨: ٧)، وكذلك بالتأكيد عندما صنعت الشمس، لكن ليس كثيراً كما عندما أظهرت بولس للعالم كله. ببولس جُعلت الأرض أكثر بهاء من السماء (المرئية)، لأنه أكثر بهاء من ضياء الشمس، فهو قد أطلق أشعة أكثر بهاءاً وقد بعث أشعة مفرحة أكثر. أي ثمر حمله هذا الإنسان لنا! ليس بازدياد قمحنا، ولا بتغذية رماننا، بل بإنتاج وتكميل ثمر القداسة، وعندما تتحطم يستعيدها دوماً. لأن الشمس ذاتها لا يمكن أن تفيد الثمار التي فسدت بينما الذين بهم أعطاب متنوعة خلصهم بولس من خطاياهم. والشمس تخلي مكانها لليل، لكن بولس ساد على إبليس (الذي هو الظلمة عينها). لا شيء أبداً أخضعه، لا شيء ساد على بولس. إن الشمس عندما تكون في كبد السماء ترسل أشعتها، بينما بولس بمجرد قيامه من تحت لم يملأ الفضاء الوسيط للسماء والأرض بالنور، بل بمجرد أن فتح فاه، ملأ الملائكة بفرح غامر. لأنه «**إن كان هناك فرح في السماء بواحد يتوب**» (لو١٥: ٧)، بينما هو في أول عظة اصطاد كثيرين، أفلا يملأ بالفرح القوات السماوية؟ وماذا

أقول؟ يكفي فقط أن يُذكر اسم بولس فتطفر السموات بالفرح. لأنه إن كان عند خروج إسـرائيل من مصر، الجبال قفزت مثل الكباش (مز١١٤ : ١، ٤)، ففي اعتقادك كم كان الفرح عظيماً عندما صعد البشر (وعلى رأسهم بولس) من الأرض إلى السماء.

لهذا السبب «**أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم**» (١ : ٢٤).

وأي عـذر لنا؟ يحـدث مراراً أن من يملك القليل في مدينة صغيرة يرفض أن يرحل إلى موضع آخر مفضلاً راحته هو. كان بإمكان بولس أن ينطلق إلى المسـيح (الذي هو يشـتهيه جداً) ولكنه لا يريد بل أن يظل باقياً في الحلبة لأجل الإنسان (غير المؤمن). أي عذر سيكون لنا؟

أنظر إلى أعماله. لقد بيّن أن الموت كان أفضل، مقنعاً نفسه ألا يحزن، وأظهـر لهـم أنه لو بقى، فإنه باقٍ لأجلهم، فبقاؤه ليس نابعاً من شـر الذيـن تآمروا ضده (بل هو ألزم من أجلهم). لقد وضح لهم سـبب بقائه أيضاً حتى يؤّمن إيمانهم. لأنه إن كان هذا ضرورياً فسـأبقى بكل وسيلة ولن يكون مجرد بقاء، بل «**وأبقى مع جميعكم**» (في١ : ٢٥). لأن هذا هو معنى «وأبقى مع»، أي سأراكم. لأجل أي سبب يا تُرى؟ «**لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان**». هنا أيضاً ينهضهم لينتبهوا لنفوسهم.

يقول بولس الرسـول: لو سـأبقى لأجلكم، فاحرصوا (حرفياً انظروا) ألا تخزوا بقائي. عندما كنت على وشك أن أرى المسيح فضلت أن أبقى «**لأجـل تقدمكـم**». لقد اخترت أن أبقى، لأن حضـوري يجعل إيمانكم وفرحكم يتقدمان. فماذا؟ هل هو بقى لأجل أهل فيلبي فقط ؟ إنه لم يبقَ

لأجلهم فقط، بل يقول هذا حتى يُظهر اهتمامه بهم. وكيف كان لهم أن يتقدموا في الإيمان؟ يقصد هنا أن يتقووا أكثر مثل طير صغير في حاجة إلى أمه حتى يتكون ريشه. إن هذا دليل على حبه العظيم. وعلى هذا النمط نحن أيضاً نستنهض البعض منكم عندما نقول: إنني بقيت لأجلكم حتى أجعلكم فاضلين.

«**لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع فيَّ بواسطة حضوري أيضاً عندكم**» (١ : ٢٦).

(ها) أنتم ترون أن هذه الآية تشرح معنى «أبقى مع». انظروا تواضعه. فإذ قال «لأجل تقدمكم»، يُظهر أن هذا كان لمنفعته هو أيضاً. وهذا أيضاً مـا يعمله عندما يكتب إلى أهل رومية «**أي لنتعزى بينكم**» (رو١ : ١٢)، إذ قد قال قبلاً «**لكي أمنحكم هبة روحية**» (رو١ : ١١).

وما معنـى «**لكي يزداد افتخاركم**»؟ هذا الافتخار كان رسـوخهم في الإيمان. لأن الحياة المستقيمة هي افتخار في المسيح. وهل تقول «**افتخاركم فيّ بواسطة حضوري أيضاً عندكم**»؟

فيجيـب بولس: نعم «**لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا. أم لسـتم أنتم أيضاً**» (١تـس٢ : ١٩)، لأجل «**أننا فخركم كما أنكم أيضاً فخرنا**» (٢كو١ : ١٤)، أي لكي يمكنني أن أفرح بكم فرحاً عظيماً.

كيـف تقول «**لكي يـزداد افتخاركـم**»؟ إنني سـأفتخر أكثر عندما تتقدمون.

«**بواسطة حضوري أيضاً عندكم**».

فماذا؟ هل حضر عندهم؟

ابحث أنت إن كان قد ذهب إليهم أم لا.

«**فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح**» (١ : ٢٧).

هــل ترون كيــف أن كل ما قاله كان هدفه تحويلهم إلى هذا الشــيء الوحيد وهو تقدمهم في الفضيلة؟

«**فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح**»

ماذا تعني كلمة «فقط»، سوى هذا الشيء وليس آخر سواه – أن يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي نسعى له؟ إن كان لنا هذا، فلن يصيبنا شيء محزن.

«**حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم**» (تابع ١ : ٢٧).

وهــذا يقولــه كما لو كان قــد غير قصده ولم يعد ينــوي أن يفتقدهم. فيقول: لو أن هذا حدث، فحتى في غيابي أســتطيع أن أفرح (إذ) «**أنكم تثبتون في روح واحد بنفس واحدة**» (تابع ١ : ٢٧). هذا هو الذي فوق كل شيء يوحد المؤمنين ويحفظ الحب سليماً «**ليكونوا واحداً**» (يو١٧ : ١١)، لأنه «**إن انقســمت مملكة علــى ذاتها لا تقدر تلــك المملكة أن تثبت**» (مر٣ : ٢٤). لأجل هذا الســبب فإن الســيد المســيح في كل موضع ينصح تلاميــذه كثيراً بأن يكونوا متفقين. والمســيح يقول«**بهذا يعرف الجميع**

أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض» (يو١٣ : ٣٥). فلا تتطلعوا مترقبين إياي، ومن ثم تنعسون انتظاراً لمجيئي وعندما ترون أنني لم آت تخورون. لأنه يمكنني ولو عن طريق الخبر أن أفرح كذلك.

ما المقصود «**في روح واحد**»؟

بنفس هبة النعمة، أي بالاتفاق والغيرة. لأن الروح هو واحد وهو يظهره، لأنه آنذاك يمكننا أن نثبت «في روح واحد» وأيضاً عندما يكون لنا كلنا «**روح واحد**».

انظر كيف أن نفوسهم رغم أنها كثيرة فقد دُعيت «نفس واحدة» وهذا كان منذ القديم، لأنه مكتوب «**وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة**» (أع٤ : ٣٢).

«**مجاهدين معاً لإيمان الإنجيل**» (تابع ١ :٢٧)

إنه يقصد بهذا ساعدوا بعضكم البعض في جهادكم لأجل الإنجيل.

«**غير مخوفين بشيء من المقاومين، الأمر الذي هو لهم بيّنة للهلاك وأما لكم فللخلاص وذلك من الله**» (١ : ٢٨).

حسناً قال مخوفين، لأن هذا هو ما يصيبنا من أعدائنا، فهم فقط يخيفون. لذلك هو يقول «غير مخوفين بشيء» مهما حدث سواء أخطار أو مؤامرات. لأن هذا هو نصيب القائمين، فإن العدو لا يمكنه أن يصنع لهم شيئاً بل يخيف فقط. لأنه كان من المحتمل أنهم انزعجوا جداً عندما عانى بولس شروراً بلا حصر كهذه، وهو يقول لهم: أنا أنصحكم

ليس فقط ألا تنزعجوا بل أيضاً ألا تخافوا، بل بالأحرى أن تزدروا بهم من كل قلوبكم، لأنه لو تصرفتم هكذا ستبرهنون في الحال بهذه الوسيلة على هلاكهم وخلاصكم. لأنه عندما يرون أنهم عاجزون عن إخافتكم رغم مؤامراتهم التي لا تُحصى فسيعتبرون هذا دليلاً على هلاكهم. لأنه عندما لا يسود المضطِهدون على المضطهَدين منهم، والمتآمرون على من هم هدف لمؤامرتهم والمتسلطون على من هم خاضعين لسلطانهم، ألا يدل هذا على أن هلاكهم وشيك وأن قوتهم لا شيء وأنهم هم الأضعف؟

وهو يقول «**وذلك من الله**» (تابع ١ :٢٨).

«**لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله**» (١ : ٢٩).

مرة أخرى يعلّمهم الإتضاع بأن يحيل كل شيء إلى الله، فيقول إن الآلام لأجل المسيح هي نعمة وعطية النعمة هي هبة مجانية. إذاً فلا تخزوا من هبة النعمة، لأنها مدهشة أكثر من إقامة الموتى أو صنع المعجزات، لأنه هناك أنا مدين، أما هنا فالمسيح مدين لي. لذلك يلزمنا ليس فقط ألا نخزى بل أيضاً أن نفرح أن لنا هذه الهبة. إنه يدعو الفضائل هبات، لكن ليس بنفس الطريقة مثل الأشياء الأخرى، لأن تلك الأشياء هي من الله كلياً، لكننا في هذه لنا (أي لإرادتنا) نصيب. لكن حيث إن الدور الأعظم هنا أيضاً هو لله، لذلك فقد نسبه كله له، ليس لكي يلغي إرادتنا

الحرة، بل ليجعلنا متضعين ومهيئين بطريقة صحيحة.

«**إذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه فيّ**» (١ : ٣٠)

يقدم بولس نفسه لهم مثالاً. وهنا أيضاً يرفعهم بأن أظهر لهم في كل موضع أن جهادهم كان مثل جهاده ونضالهم كان مثل نضاله، وأنهم اتحدوا معه في تحمل التجارب. إنه لم يقل «**الذي سمعتموه**» بل قال «**الذي رأيتموه**» لأنه جاهد أيضاً في فيلبي. وبالحق هذه فضيلة فائقة. لذلك عند كتابته لأهل غلاطية قال أيضاً «**أهذا المقدار احتملتم عبثاً إن كان عبثاً**» (غلا٣ : ٤). وأيضاً عند كتابته إلى العبرانيين قال «**ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُنرتم، صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين (أي مُشهّر بكم) بتعييرات وضيقات ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصرّف فيهم هكذا**» (عب١٠ : ٣٢، ٣٣). وأيضاً في كتابته إلى المكدونيين، أي إلى أهل تسالونيكي قال «**لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول كان لنا إليكم**» (١تس١ : ٩). وأيضاً «**لأنكم أنتم أيها الإخوة تعلمون دخولنا إليكم أنه لم يكن باطلاً**» (١تس٢ : ١) وبنفس الطريقة يشهد لنفس الأشياء لهم كلهم من أتعاب وجهاد. لكنكم لن تجدوا الآن مثل هذه الأشياء بيننا، فالآن يكون كثيراً لو أن واحداً عانى القليل من الخسارة في ممتلكاته بمفرده. بينما من جهة ممتلكاتهم يشهد بولس أيضاً لأعمالهم العظيمة ،فيقول للبعض «**لأنكم قبلتم سلب أموالكم بفرح**» (عب١٠ : ٣٤)، ولآخرين يقول «**لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين**» (رو١٥ : ٢٦)، ولغيرهم يقول «**غيرتكم قد حرضت الأكثرين**» (٢كو٩ : ٢).

هـل ترون المدح الذي كان لأنـاس ذلك العصر؟ لكننا نحن لا نحتمل القليـل من الصفعات أو اللكمات أو الإهانة أو فقدان ممتلكاتنا. هم كانوا تلقائيين في غيرتهم وكلهم جاهدوا كشهداء، بينما نحن قد فترت محبتنا للمسـيح. وأنا مُجبر أيضاً أن ألوم أموراً حاضرة، فماذا سـأفعل؟ إن هذا يحدث رغماً عني. لو كنت أسـتطيع أن أزيلها بصَمْتي عن الأشياء التي عُملت وركوني إلى السـكوت لكان يليق بـي أن أكون صامتاً. لكن لو أن العكس حدث، ولم تتم إزالة هذه الأعمال، بل آلت إلى حالة أكثر سوءاً فنحن مُجبرون على الكلام. لأن الذي يوبخ الخطاة لن يتيح لهم التمادي حتى وإن لم يفعل شيئاً آخر. لأنه لا توجد نفس وقحة ومتهورة لا ترجع وتعدل عن المغالاة في أفعالها الشريرة عند سماعها من يوبخها باستمرار. حتى في النفس الوقحة هناك بعض من الحياء. لأن الله قد بذر في طبيعتنا بـذار الحياء، إذ أن الخوف غير كافٍ ليأتي بنا إلى الصواب، لذلك هو أعد أيضاً طرقاً كثيرة لتجنب الخطية. ومنها على سبيل المثال : توجيه الملامة للإنسان[١]، الخوف من القوانين المشروعة، محبة الصيت الحسن، الرغبـة في تكويـن صداقـات[٢]، لأن كل هذه قنوات لتحاشـي الخطية. إن (الصـلاح) الـذي لم يُعمل لأجل الله، كثيراً ما عُمل بسـبب الخزي والخجل، والذي لم يُعمل لأجل الله عُمل لأجل الخوف من البشر.

وما نسـعى إليه هو أنه : أولاً ألا نخطئ، وبعد ذلك سـننجح في عمل هـذا (تنفيـذ وصايا الله) لأجل الله، وإلا لماذا نصـح بولس أولئك الذين كانوا على وشك أن يجعلوا أعداءهم في متناول أيديهم (أي ينتقموا منهم)

١- يقصد ذهبي الفم هنا الخوف من فضيحة توجيه لائحة اتهام على الملأ.

٢- يقصد هنا تحاشي العداوات وما يترتب عليها من خطايا.

ليس بواسطة خوف الله بل بدافع الانتظار للنقمة[٣]؟ ويقول بولس الرسول «**لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه**» (رو١٢ : ٢٠) لأن هذه هي رغبة بولس الأولى: ينبغي أن نمارس فضيلتنا (عملياً). إذاً كما قلت توجد فينا لمسة حياء. نحن لدينا عواطف طبيعية حسنة كثيرة تؤدي إلى الفضيلة، كلنا كبشر نتحرك نحو الشفقة[٤] طبيعياً، وليس هناك شيء آخر يلازم طبيعتنا إلا الشفقة فقط. من أين يعقل لأحدٍ أن يستفهم لماذا هذه البذار قد غُرست في طبيعتنا فوق كل شيء إذ بها نذوب لدموع الآخرين وبها نتحول إلى الرحمة ونكون مستعدين للشفقة، بل إن الشفقة مغروسة في أعماق طبيعة كل واحد مهما كان عنيفاً وقاسياً. وما العجب في هذا؟ نحن نشفق على الوحوش، فهذا الفيض من الشفقة مغروس في أعماقنا. لو رأينا شبل الأسد (ينزف دماً) فنحن إلى حد ما نتأثر، فكم بالأولى شخص من جنسنا. انظر كم من مشوهين كثيرين هناك! وهذا يكفي لأن يقودنا إلى الشفقة. لا شيء يرضي الله كثيراً مثل الرحمة. لذلك كان الكهنة والملوك والأنبياء يُمسحون بهذا، لأنه كان لهم في الزيت نوع من محبة الله للإنسان، وهم تعلموا أيضاً أن الرؤساء ينبغي لهم مشاركة أعظم في الرحمة. لقد أظهرت أن الروح (القدس) يأتي للبشر (يحل عليهم) عن طريق الرحمة لأن الله شفوق وعطوف على الإنسان. لأنه مكتوب «أنت ترحم الكل لأنك قادر على عمل كل الأشياء» (حكمة سليمان ١١ : ٢٤ بحسب النص). لأجل هذا السبب قد دُهنوا بالزيت وهو (أي الله) قد

٣- انظر (رو١٢: ١٩) «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب».

٤- في كل ما يأتي المقصود بالشفقة الرحمة ولذا لزم التنويه.

عيّن الكهنوت رحمة منه. والملوك مُسحوا بالزيت، ولو أراد أحد أن يمتدح الرئيس فلا يمكنه أن يذكر شيئاً يليق به مثل الرحمة. لأن الشفقة من خصائص السلطة.

اعتبر أن العالم أُقيم على الشفقة (أي بدافع منها)، وبعد ذلك اقتد بآلهك. «رحمة الإنسان على قريبه، وأما رحمة الرب فهي على كل ذي جسد» (بن سيراخ ٨ : ١٣). كيف أن رحمة الرب هي «على كل ذي جسد»؟

أنت تقصد الجميع سواء كانوا خطاة أو أبراراً، كلنا نحتاج لرحمة الله، وكلنا نتمتع بها حتى لو كان هذا الشخص هو بولس أو بطرس أو يوحنا.

(وتأييداً لكلامي) اسمع لكلماتهم إذ لا حاجة هناك لكلماتي، فماذا يقول هذا الطوباوي (بولس)؟

«**ولكني رُحمت لأني فعلت بجهل**» (١تي١ : ١٣).

فماذا؟ هل بعد ذلك لم يكن هناك احتياج للرحمة بالنسبة له؟ اسمع ما يقوله «**بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي**» (١كو١٥ : ١٠). وعن أبفردوتس يقول «**فإنه مرض قريباً من الموت، لكن الله رحمه، وليس إياه وحده بل إياي أيضاً لئلا يكون لي حزن على حزن**» (في٢ : ٢٧). وأيضاً يقول «**إننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون**

متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي» (٢كو١: ٨-١٠). وأيضاً قوله «**فأنقذت من فم الأسد وسينقذني الرب**» (٢تي٤: ١٧، ١٨). وسنجده في كل موضع يفتخر بأنه قد نجا برحمة الله. وبطرس أيضاً صار هكذا عظيماً، لأن الله قد أظهر له الرحمة. اسمع المسيح يقول له «**هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفني إيمانك**» (لو٢٢: ٣١، ٣٢). ويوحنا أيضاً صار هكذا عظيماً من خلال الرحمة وبالاختصار صاروا كلهم هكذا. اسمع المسيح عندما يقول «**ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم**» (يو١٥: ١٦). لأننا كلنا نحتاج لرحمة الله كما هو مكتوب «**رحمة الرب هي على كل ذي جسد**» (سيراخ١٨: ١٣).

لكن إن كان هؤلاء الناس (المجدون) احتاجوا لرحمة الله، فماذا ينبغي للإنسان أن يقول عن بقية الناس؟ أخبرني لماذا يشرق شمسه على الأشرار والصالحين (مت٥: ٤٥)؟ لو أنه منع المطر لمدة عام ألا يهلك الكل؟ وماذا لو أنه جعل المطر فائضاً؟ ماذا لو أمطر ناراً؟ ماذا لو أرسل الجراد[٥]؟ لكن ماذا أقول؟ لو كان سيفعل هذا كما عُمل من قبل (الجفاف أو الطوفان) أما كان يهلك الكل؟ لو كان سيزلزل الأرض أما كان يهلك الكل؟ إنه من المناسب القول الآن «**ما هو الإنسان حتى تذكره**» (مز٨: ٤). لو كان له فقط أن يهدد الأرض (بكارثة كونية) لصار كل البشر في مقبرة واحدة. إنه مكتوب «**هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تُحسب**» (إش٤٠: ١٥). لقد كان سهلاً على الله أن يلاشي كل الأشياء ويصنعها

٥- العجيب أن الجراد اجتاح مصر وليبيا وهي ليست من المناطق المعتادة لاجتياح جحافل وأسراب الجراد الأحمر.

من جديد كسهولة قلبنا للميزان (لتنظيفه من الغبار). إذاً الذي له مثل هذا السلطان علينا ويرانا نخطئ كل يوم ومع ذلك لا يعاقبنا، كيف يحتملنا هو إلا برحمته؟ والبهائم أيضاً توجد برحمته «**أنت يا رب تحفظ الناس والبهائم**» (مز٣٦: ٦ بحسب النص). إنه تطلع إلى الأرض وملأها بالكائنات الحية. ولماذا؟ من أجلك.

ولماذا خلقك؟

من فيض صلاحه خلقك.

لا يوجد شيء أفضل من الزيت. إنه سبب النور، وهناك أيضاً الرحمة[٦] هي سبب النور (الروحي). فإن أظهرت شفقة لقريبك «**حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك**» (إش٥٨: ٨) كقول النبي. وكما أن الزيت الطبيعي يحوي النور[٧]، فهكذا الرحمة (الصدقة) تمنحنا نوراً عظيماً وعجيباً. وبولس أيضاً ذكر كثيراً صنع هذه الرحمة. اسمعه في أحد المواضع يقول «**غير أن نذكر الفقراء**» (غل٢: ١٠)، وفي مكان آخر يقول «**وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً**» (١كو١٦: ٤). اقلب صفحات الرسائل في أي موضع شئت، ستراه متلهفاً لهذا الموضوع. وأيضاً «**وليتعلم من لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة**» (تي٣: ١٤). وأيضاً «**أن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس**» (تي٣: ٨). اسمع شخصاً أخر يقول «**الصدقة تنجي من الموت**» (طو١٢: ٩). لو أزلت الشفقة (أي الرحمة) «**فمن يا**

٦- إن كلمة الزيت والرحمة متقاربتان في الحروف والنطق في اللغة اليونانية التي يتكلم بها ذهبي الفم وهو هنا يلعب على وتر هذا التشابه المذكور.

٧- معروف بالطبع أن المصابيح كان يتم ملؤها آنذاك بالزيت وهذا ما يعنيه ذهبي الفم هنا.

رب يثبــت» (مز١٣٠ : ٣). وقيل لو دخلت «في المحاكمة مع عبدك (لن يتبرر قدامك حي)» (مز١٤٣ : ٢). «شـــيء عظيم هو الإنســـان» (أم٢٠ : ٦ بحسب النص). لماذا؟ «وشيء مُكرم هو الإنسان الرحوم» (تابع أم٢٠ : ٦). لأن هـــذه هي الصفة الحقيقية للإنســـان أن يكون رحوماً بل بالأولى صفة الله هي إظهار الرحمة.

هـــل ترى كم قويـــة هي رحمة الله؟ هذه الرحمة صنعت كل شـــيء، هذه الرحمـــة كونت العالم، هذه الرحمة صنعت الملائكة، وكل هذا كان من خلال الصلاح المحض. لهذا الســـبب أيضاً هدد بجهنم لكيما ندرك الملكوت، وســـندرك الملكوت من خلال الرحمة. لماذا خلق الله كل هذه الكائنـــات الكثـــيرة؟ ألم يكن هذا بصلاحه؟ ألم يكن لمحبته للبشـــر؟ لو ســـألت لماذا تلك الأشـــياء، ســـتجد إجابتك دائماً في صلاح الله. فلنظهر رحمة لأقربائنا (في البشرية عموماً) حتى يُظهر الله لنا رحمة. إن أعمال الرحمة لا نظهرها لهم بقدر ما ندخر منها رصيداً لأنفسنا ضد ذلك اليوم الرهيب. عندما يكون لهيب النار عظيماً، فهذا الزيت (الرحمة) هو الذي يطفئه، وهو الذي يجلب لنا النور. وهكذا بهذه الوســـيلة سننجو من نار جهنم. إذ من أين سيشـــفق علينا ويرحمنا؟ الرحمة تأتي من الحب! لا شـــيء يغيظ الله كثيراً مثل أن تكون قاســـي القلب. «إنســـان أُحضر إليه كان مدين بعشرة آلاف وزنة فتحرك بالشفقة وعفا عنه. وكان مديناً لهذا الإنســـان رفيق له عليه مئة فلس، فأمســـك بخناقه. لذلك أســـلمه سيده إلى المعذبـــين حتى يوفي الفلـــس الأخير». ليتنا عنـــد سماعنا هذا الكلام أن نكـــون رحومين لمن هم مدينون لنـــا بالمال أو بالخطايا. ليت لا يتذكر

أحد الشـــرور، إن كان على الأقل لا يرغب في أذية نفســـه، لأنه لا يكدر الآخر بقدر ما يكدر نفســـه. لأنه (أي الله) ســـينتقم (لك) منه، أما إذا لم يتصـــرف هكذا، بل انتقمت أنت لنفســـك (ولم تنتظر انتقام الله)، فهل تطلـــب الملكـــوت بينما أنت لم تغفر لقريبك خطايـــاه؟ فلنغفر للكل لئلا يحدث هذا لنا حتى يغفر الله لنا خطايانا، وهكذا نحصل على الخيرات المنتظرة بنعمة ورأفة ربنا يســـوع المســـيح الذي له مع الآب والروح لقدس المجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الخامسة

(فيلبي٢ : ١-٤)

فَإِنْ كَانَ وَعْظٌ مَا فِي الْمَسِيحِ. إِنْ كَانَتْ تَسْلِيَةٌ مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَاءٌ وَرَأْفَةٌ، فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً، وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاً وَاحِداً، لاَ شَيْئاً بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضاً. (في٢ : ١-٤).

لا يوجد من هو أفضل وأكثر حناناً من المعلم الروحي، فمثل هذا الإنسان يفوق حنانه حنان أي أب طبيعي. انظر فقط كيف أن هذا الطوباوي يتوسل إلى أهل فيلبي فيما يختص بالأشياء التي كانت تؤول لمنفعتهم. ماذا يقول في نصحه لهم من جهة الاتفاق الذي يسبب كل الخيرات؟ انظر كيف باجتهاد وحمية وبتعاطف كثير يتحدث قائلاً «**فإن كان وعظ ما في المسيح**» أي إن كان لكم تعزية في المسيح، كما لو كان يقول: لو تعملون أي اعتبار لي، لو كان لكم أي اهتمام بي، لو نلتم أي خير على يدي - افعلوا هذا. نحن نستخدم هذا النمط من الاجتهاد

عندما نطلب أمراً نفضّله فوق كل شيء آخر. لأنه لو لم نكن نفضّله على كل شيء آخر، ما كنا نرغب في نواله في مكافأتنا عن كل الأشياء.

نحـــن في الواقع نفكر الناس بمطالبنا الجســدية، فمثلاً لو كان الأب يقــول (لابنــه): لو كنت تتذكر الاكرام الــذى حظيت به منى (كل هذه السنين)، لو كان لديك أي ود نحوي، لو كنت تتذكر أننى أطعمتك، لو كنت تتذكر عطفي عليك فلا تكن في عداوة مع أخيك، أي أنني أســألك المقابل لكل هذه الأشــياء. لكن بولــس لم يتصرف هكذا، فهو لم يذكّرنا بشــيء جسدي، بل كان ما ذكّرنا به هو إحسانات روحية. أي لو أردتم أن تعطوني راحة، أو عزاء حب، لو أردتم أن تظهروا شــركة في الروح، لو كان لكم أحشاء ورأفة فتمموا فرحي.

«**إن كانت أحشاء ورأفة**».

إن بولــس يتحدث عن اتفاق تلاميذه كرأفــة نحوه، وهكذا يُظهر أن الخطر كان شديداً لو كانوا بغير اتفاق. لو استطعت أن أحصل على راحة منكم، لو اســتطعت أن أحصل على أية تعزية من حبكم، لو اســتطعت أن أشترك معكم في الروح، لو أمكن أن تكون لي رفقة معكم في الرب، لو أمكن أن أجد راحة وشــفقة على أيديكم، فأظهروا بحبكم، المقابل لكل هذا. كل هذا قد ربحته، لو أحببتم بعضكم البعض.

«**فتمموا فرحي**» (٢ : ٢)

لكي لا يبدو الإرشاد (النصح) وكأنه قد أُسدي لمن لا يزالوا ناقصين،

انظر كيف أنه لم يقل «**فرّحوني**» بل قال «**تمموا فرحي**»، أي لقد بدأتم بغرس الفرح فيّ، لقد أعطيتموني بالفعل قدراً من الطمأنينة، لكنني أرغب في الوصول إلى الكمال.

قل ماذا تريد؟ هل ننجيك من المخاطر؟ هل نسدّد لك شيئاً من احتياجاتك؟

ليس هكذا، بل ما أريده هو «**أن يكون لكم فكر واحد ولكم محبة واحدة**» (٢ : ١).

انظروا كيف يكرر نفس الشيء بسبب محبته العظيمة «حتى تفتكروا فكراً واحداً، أو بالأحرى حتى تكونوا متفقين» لأن هذا أكثر من أن يكون لهم فكر واحد.

«**ولكم محبة واحدة**»

أي لا تدعوا الأمر فقط من جهة الإيمان وحده، بل أيضاً في كل الأمور الأخرى. لأنه قد يكون لنا الفكر الواحد ولكن بدون المحبة.

«**ولكم محبة واحدة**» أي تَحبُ وتُحَبُ على السواء.

لا تتمتع بحب كثير وتُظهر حباً أقل لكي لا تكون جشعاً حتى في هذا الأمر. بل لا تدع نفسك تعاني من هذا.

ثم أضاف قوله «**بنفس واحدة**» أي مخصصين بنفس واحدة، أجساد الكل، ليس في الجوهر لأن هذا مستحيل، بل في الغرض والقصد. لتنبع

كل الأشياء كما من نفس واحدة.

ما المقصود «**بنفس واحدة**»؟

إنه يوضح هذا الأمر عندما يقول «**مفتكرين شيئاً واحداً**» (تابع ٢ : ٢). ليت ذهنكم يكون واحداً كما لو من نفس واحدة.

«**غير عاملين شيئاً بتحزب**» (٢ : ٣).

أخـــيراً يطلب هذا منهم ويخبرهم عن الطريقة التي يتم بها هذا «غير عاملين شيئاً بتحزب أو بُعجب (أي بانتفاخ ومجد باطل) فهذا كما أقول دائماً هو ســبب كل الشــرور. من هنا تأتي الحروب والمنازعات. من هنا تأتــي الغيرة والخصومات. إنه مــن هنا يبرد الحب، عندما نحب مديح الناس، عندما نكون عبيداً للإكرام الذي يأتي من كثيرين، لأنه لا يمكن للإنســان أن يكون عبداً للمدح (الذي يأتي من الناس) ويكون أيضاً عبداً حقيقياً لله.

فكيف ســنهرب مــن المجد الباطل (العُجــب)؟ لأنك لم تخبرنا بعد بطريقة الهروب. استمع إذاً لما يلي ذلك:

«**بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم**» (تابع ٢ : ٣)

كم تمتلىء هذه الكلمة الشاملة الجامعة للخلاص التي قدمها في هذه الآيــة بحكمة حقيقية. إنه يقصد: لو اعتبرت أن الآخر أعظم من نفســك وأقنعــت ذاتك بهذا. بــل وأكثر من هذا، إذا لم تقل هذا فقط، بل كنت مقتنعــاً به جداً، حينئذ تقدم أنت له الإكرام، وإن قدمت له الإكرام فلن

تستاء عند رؤيتك الآخرين يكرمونه. فلا تظنه مجرد أعظم من نفسك بل أفضل، حيث أن الأفضل يعني سمواً أعظم جداً، ولذلك لن تظنه شـيئاً غريبـاً أو مؤلماً لو رأيته مُكرّمـاً. بل حتى لو عاملك بازدراء، احتمل هذا بنبلٍ لأنك قد اعتبرته أعظم من نفسـك. مع أنه يسـبك، اخضع له. مع أنه يسئ إليك، احتمله في صمت. لأنه ما أن تتيقن النفس تماماً أن الآخر أعظم، فإنها لن تغضب أبداً من سـوء معاملته ولا حتى تحسده، لأن لا أحد يحسد من هو أسمى منه، إذ كل ما هو سامي ينتمي له.

إذاً هو هنا يعلّم أحد الأطراف أن يكون فكره هكذا. لكن عندما الآخر أيضـاً الذي يتمتع بمثل هذا الإكرام منـك يتأثر هكذا من ناحيتك، فإن جداراً (أو سـوراً) مضاعفاً من الحلم سـوف يقام بينكما (انظر في٤ : ٥). إذ عندمـا تعتبره هكذا جديراً بالإكرام وهو بالمثـل يعتبرك هكذا جديراً بالإكـرام، فـلا يمكن لشـيء مؤلم أن ينشـأ بينكما، لأنـه إن كان هذا التصرف عندما يظهره أحدهما يكفي لملاشاة كل نزاع، فمن يكسر السلام عندما يظهره كلاهما؟ ولا حتى الشيطان نفسه يستطيع هذا.

إن الدفاع (عن السـلام في العلاقات مـع الآخرين) ثلاثي (الجدران) ورباعـي بل ومتعدد، لأن الرأفة الإنسـانية هي أسـاس كل الخيرات، ولكي تتعلم هذا، اسـتمع للنبي وهو يقول «**لأنك لا تسـر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسـرة. القلب المنكسـر والمنسـحق يا الله لا تحتقره**» (مـز٥١ : ١٦، ١٧). ليس مجرد التواضع، بل التواضع الشـديد. كما في حالة الأجساد ما هو مكسور (من المرض) لن يقوم ضد ما هو متين (سـليم)، بل مهما كانت الأمراض التي

تعاني منها هذه الأجساد (المنَهكة من الأمراض) ذاتها، فإنها ستختار الموت عن أن تهجم على الآخر (السليم)، كذلك أيضاً النفس (المنكسرة) حتى لو عانت من المرض (الإساءة)، فإنها ستختار دائماً أن تموت عن أن تنتقم لنفسها بالهجوم (على من أساء إليها).

إلى متى نتباهى هكذا بطريقة موجبة للسخرية؟

لأنه كما نضحك عندما نرى الأطفال ينتصبون وينظرون بغطرسة أو عندما نراهم يمسكون بالحجارة ويرمونها، هكذا أيضاً غطرسة الناس تنتمي لعقلية صبيانية وذهن غير ناضج. «لماذا يتكبر التراب والرماد؟» (سير١٠ : ٩). هل أنت متكبر أيها الإنسان؟ ولماذا؟ أخبرني ما هو الربح (من وراء هذا التكبر)؟ من أين لك أن تتكبر على من هم من نفس جنسك؟ ألا تشاركهم نفس الطبيعة؟ ونفس الحياة؟ ألم تنل إكراماً مساوياً (لهم) من الله؟

لكن هل أنت حكيم؟ ينبغي أن تكون شاكراً لا أن تكون متكبراً. إن الغطرسة هي أول أعمال نكران الجميل لأنها تنكر هبة النعمة. الذي يتكبر، فإنه يتكبر كما لو كان قد تفوق بقوته الذاتية، والذي يظن أنه هكذا متفوق (بقوته الذاتية)، هو غير شاكر لمن أسبغ عليه هذا الشرف. هل لك أي فضل؟ كن شاكراً لمن أعطاه لك.

استمع لما قاله يوسف وما قاله دانيال. إذ عندما أرسل الملك ليوسف وفي محضر كل حاشيته سأله بخصوص الأمر الذي كان المصريون أكثر الناس براعة فيه، تخلى عن مجال منافستهم، عندما كان على وشك أن

يسـحب منهم كل شيء وتخلى عن ظهوره أحكم من المنجمين والسحرة والعرافـين وكل حكماء ذلك الزمان وعن كونه مجرد شـاب في العبودية والأسـر، فمـاذا قـال عندما جاء أمام فرعـون؟ هل قال: نعـم أنا أعلم التفسـير؟ بل ماذا قال؟ بينما (حرفياً عندما) لم يلزمه أحد، قال بدافع من روحه النبيلة «**أليست لله التعابير؟**» (تك٤٠: ٨).

انظـر كيف أنه مجّد في الحال ربه، لذلك فإنه قد تمجد. وهذا أيضاً ليس أمراً زهيداً. لأن الذي أظهره الله له كان شيئاً أعظم جداً مما لو تفوق هو نفسـه (في مجال تفسـير الأحلام). لأنه بيّن أن كلماته كانت جديرة بالتصديـق وكانت برهاناً عظيماً جداً علـى ألفته مع الله. لأنه لا يوجد شيء أعظم مثل أن تكون صديقاً حميماً لله. والكتاب يقول «**لأنه إن كان إبراهيـم قد تبرر بالأعمال فلـه فخر، ولكن ليس لدى الله**» (رو٤: ٢). لأنـه إن كان الـذي مُنح نعمة يجعل افتخاره بـالله في أنه محبوب منه لأن خطاياه قد غُفرت، أيضاً الذي يصنع لله شيئاً يفتخر به، لكن ليس أمام الله كما الآخر (لأن افتخارنا هو برهان على ضعفنا الشديد)، فالذي قـد نال حكمة من الله (وليس فقط غفراناً)، كم يكون جديراً بالإعجاب؟ لقـد مجد الله وتمجد منه، لأن الله يقول «**إنني أكرم الذين يكرمونني**» (١صم٢: ٣٠).

وأيضاً استمع لدانيال والذي لم يكن أحد أحكم منه (في عصره) والذى يقول الله عنه «**هل أنت أحكم من دانيال؟**» (حز٢٨: ٣ بحسب النص). فدانيال هذا عندما رأى أن كل الحكماء في بابل وأيضاً المنجمين والسحرة والمعزمين، لن يتوقف الأمر عند سجنهم بل سيتم قتلهم جميعاً، تقدم إلى

الملك وأعد الحل لسؤاله ، ولم يأخذ الكرامة لنفسه بل نسب الأمر كله لله وقال «**أما أنا أيها الملك فلم يُكشف لي هذا السر لحكمة فيّ أكثر من كل الأحياء**» (دا ٢ : ٣٠). و«**حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر أن يقدموا له تقدمة وروائح سرور**» (دا ٢ : ٤٦). ألا ترى تواضعه؟ ألا ترى روحه النبيلة؟ ألا ترى عادة المسكنة هذه؟

اسمع الرسولين وهما يقولان «**لماذا تشخصون إلينا كإننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي**» (أع٣ : ١٢)، وكذلك «**نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم**» (أع١٤ : ١٥). فإن كانوا هكذا قد رفضوا الإكرام المقدم لهم، وهم لسبب تواضعهم وقوة المسيح صنعوا أعمالاً أعظم من أعمال المسيح (انظر يو١٤ : ١٢)، ألا نفعل هكذا نحن التعساء والبؤساء الذين لا يمكننا طرد البعوض فكم بالأحرى الشياطين؟ نحن الذين لا قوة لنا لإفادة إنسان واحد، فكم بالأحرى العالم كله، ومع ذلك نظن أن الشيطان نفسه لا يبارينا في هذا المجال.

لا يوجد شيء هكذا غريباً على نفس المسيحي مثل التكبر، أقول الكبرياء لا الجسارة أو الشجاعة، لأن هذه من نفس الجنس، لكن هذه شيء وتلك شيء آخر، كذلك أيضاً التواضع شيء والدناءة والتملق والمداهنة شيء آخر.

إن أردتم فسوف أعطيكم أمثلة لهذه الصفات. لأن هذه الأشياء المتناقضة يبدو أنها موضوعة بجانب بعضها بطريقة ما كما الأشواك للورد والقمح والزوان (حرفياً الزغل). لكن بينما يسهل خداع الأطفال،

فإن الذين هم رجال بالحق والمتمرسون في الزراعة الروحية يعرفون كيف يفصلــون حقاً ما هو جيد عما هــو ردئ. دعوني أضع أمامكم أمثلة لهذه الصفات من الكتاب.

ما هــو النفاق والدناءة والمداهنة؟ لقد تملق صيبا داود تملقاً غير ملائم ونمَّ ســيده (مفيبوشــيث) كذباً (٢صم١٦ : ١–٣). أخيتوفل تملق أبشالوم بالأكثر (٢صم١٧ : ١–٤). لكن داود لم يكن هكذا، بل كان متواضعاً. لأن المخادعين متملقون كما عندما يقول «**أيها الملك عش إلى الأبد**» (دا ٢ : ٤). وأيضاً أي نوع من المنافقين يكون السحرة.

ســنجد في حيــاة بولس الرســول الكثير من الأمثلة في ســفر الأعمال لنقدمها. فعندما تنازع مع اليهود لم يتملقهم، بل كان متضعاً (لأنه عرف كيف يتحدث بشجاعة) كما عندما يقول «**أيها الرجال الإخوة، مع أني لم أفعل شيئاً ضد الشعب أو عوائد الآباء أسلمت مقيداً من أورشليم إلى أيــدي الرومانيين**» (أع٢٨ : ١٧). وكون هــذه الكلمة ناتجة عن إتضاع، اسمــع كيف يوبخهم بعد ذلك بقوله «**حســناً كلم الــروح القدس آباءنا بإشــعياء النبي قائلاً اذهب إلى هذا الشــعب وقل ستسمعون سمعاً ولا تفهمون وستنظرون نظراً ولا تبصرون**» (أع٢٨ : ٢٦).

هل ترون شجاعته؟ انظروا أيضاً شجاعة يوحنا المعمدان أمام هيرودس عندما قال له «**لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك فيلبس**» (مر ٦ : ١٨). هذه كانت جسارة، لقد كانت شجاعة!

لم تكن هكذا كلمات شمعي عندما قال لداود «**أخرج، أخرج يا رجل**

الدماء» (٢صم١٦: ٧)، ومع أنه هو أيضاً تكلم بجسارة، لكن هذه لم تكن شجاعة بل وقاحة وقلة حياء ولساناً بلا لجام. وإيزابل أيضاً وبخت ياهو عندما قالت «**يا قاتل سيده**» (٢مل٩: ٣١)، لكن هذه كانت وقاحة وليست شجاعة.

وإيليا أيضاً وبخ آخاب، لكن هذه كانت جسارة وشجاعة إذ قال «**لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك** (مكدرين إسرائيل)» (١مل١٨: ١٨). وأيضاً إيليا تكلم بجسارة مع الشعب كله وقال «**حتى متى تعرجون بين الفرقتين**» (١مل١٨: ٢٣). هكذا كان التوبيخ بجسارة وشجاعة. هذا أيضاً ما فعله الأنبياء، أما الكلام الآخر فكان وقاحة.

إن أردتم أن تروا كلمات فيها إتضاع وعدم مداهنة، فاسمعوا بولس وهو يقول «**وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم في منكم أو من يوم بشر، بل لست أحكم في نفسي أيضاً. فإني لست أشعر بشيء في ذاتي، لكني لست بذلك مبرراً**» (١كو٤: ٣، ٤). هذا نابع من روح الذي يصير مسيحياً. وأيضاً قوله «**أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يُحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين؟**» (١كو٦: ١).

أتريدون رؤية تملق اليهود الأغبياء؟

اسمعوهم وهم يقولون «**ليس لنا ملك إلا قيصر**» (يو١٤: ١٥).

أتريدون رؤية التواضع؟

اسمع بولس أيضاً عندما يقول «**لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح**

يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (٢كو٤ : ٥).

أتريـــدون رؤية كلاً مـــن التملـــق والوقاحة؟ الوقاحـــة في حالة نابال (١صـــم٢٥ : ١٠)، والتملق في حالـــة أهل زيف (١صـــم٢٣ : ٢٠)، الذين تعمدوا خيانة داود.

أتـــودون رؤية الحكمة (١صم٢٦ : ٥-١٢) وليـــس التملق؟ تأملوا داود عندمـــا كان شـــاول في متناول يـــده ولم يقتله. هل ترون نفـــاق من قتلوا إيشبوشث الذين قتلهم داود أيضاً؟

ولتلخيـــص كل هذا نقول إن الوقاحة تظهر عندما يهيج المرء ويســـب أو يســـئ لغيره بغير مبرر، إما بأن ينتقم لنفســـه أو يهينه ويظلمه. لكن الشـــجاعة والجسارة هي عندما نتجاسر على مواجهة الأخطار والميتات، ونزدري بكل الصداقات والعداوات من أجل ما يرضي الله.

وأيضـــاً تكـــون الوضاعة والتملق عندما نتودد لآخـــر ليس لأجل غاية مستقيمة، بل لكي نحصل منه على شيء من أمور هذه الحياة (الفانية). أما التواضع فهو عندما يعمل المرء هذا من أجل الأشياء التي ترضي الله، فينزل عن مستواه الاجتماعي ليؤدي عملاً عظيماً ويثير الإعجاب. طوبى لنـــا لو علمنا هذه الأشـــياء وعملناها . لأنـــه لا يكفي لنا أن نعرفها فقط، فالكتاب يقول «**لأن ليس الذين يســـمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذيـــن يعملـــون بالناموس هم يبررون**» (رو٢ : ١٣). نعـــم المعرفة ذاتها تدين، عندما تكون بدون فعل أعمال الفضيلة.

لذلك حتى نفلت من الدينونة، ليتنا نجدّ في إثر ممارسة وصايا الله، لكيما نحصل على الخيرات الموعودة لنا بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح آمين.

العـظة السـادسة

(فيلبي٢ : ٥-٨)

فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ.(في٢ : ٥-٨).

إن ربنا يسـوع المسـيح عندما يحث تلاميذه على أعمال عظيمة فإنه يضع أمامهم نفسه والآب والأنبياء كأمثلة، كما عندما يقول «**لأنهم هكذا فعلـوا بالأنبياء الذين كانوا قبلكم**» (مت٥ : ١٢)، وأيضاً قوله «**إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم**» (يو١٥ : ٢٠)، وأيضاً قوله «**تعلموا مني لأنـي وديع ومتواضع القلب**» (مت١١ : ٢٩)، وأيضاً «**كونوا رحماء كما أن أباكم** (السماوي) **أيضاً رحيم**» (لو٦ : ٣٦).

هـذا أيضاً ما صنعـه الطوباوي بولس، ففي حثـه لهم على التواضع قدم لهم المسـيح. وهـو لا يفعل هذا هنا فقط، بل أيضـاً عندما يتحدث عن المحبة تجاه الفقـير، يتكلم بنفس الطريقة إذ يقول «**فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسـوع المسـيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا**

أنتم بفقره» (٢كو٨: ٩). لا شيء يثير النفس العظيمة والمتفلسفة حتى تعمل الأعمال الصالحة مثل معرفتها أنها تتشبه بالله. أي تشجيع معادل لهذا؟ لا شيء.

وهذا يعلمه بولس جيداً، لذلك عندما يحثهم على التواضع يتوسل إليهم أولاً، وبعد ذلك يقول ليرهبهم «**حتى تثبتوا في روح واحد**» (في١: ٢٧)، ويقول أيضاً «**الأمر الذي هو لهم بيّنة للهلاك وأما لكم فللخلاص**» (في١: ٢٨). وأخيراً يقول هذا «**فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح أيضاً. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس**» (في٢: ٥-٧).

أتوسل إليكم أن تصغوا وتستنهضوا أنفسكم. لأنه كما أن السيف الحاد ذي الحدين، حيثما يسقط يقطع بسهولة كل شيء يصادفه، لأنه حاد من كل جانب ولاشيء يمكنه أن يحتمل حدته، هكذا أيضاً كلام الروح (انظر عب٤: ١٢؛ رؤ١: ١٦)، إذ بهذه الكلمات صرع (الروح القدس) أتباع آريوس السكندري وبولس الساموسطي ومارسيليوس الغلاطي وسابيليوس.. وبالاختصار كل الهراطقة.

إذاً أفيقوا أنفسكم لتنظروا منظراً هكذا عظيماً، جيوشاً كثيرة جداً تسقط بضربة واحدة، لئلا تفلت منكم روعة هذا المنظر. لأنه إن كانت المركبات التي تتنافس في سباق الخيل لا يوجد شيء ممتع أكثر من أن يصطدم أحدهم بها ويقلبها مع سائقها، ثم يتقدم بمفرده إلى الهدف

وينهي السباق وسط التصفيق الحاد الذي يبلغ عنان السماء كما لو كان بتلك الفرحة والتصفيق يكتسح الأرض كلها، فكم بالأولى ستكون المسرة هنا أعظم عندما نهدم بنعمة الله في الحال ومعاً كل التجمعات والدسائس الشيطانية لكل هذه الهرطقات سوياً مع كل مدبريها؟.....[1]

اسمع للنبي أيضاً وهو يدعوه «**ملاك المشورة العظمى**» (إش٩: ٦ بحسب الترجمة السبعينية). فهل ملاك المشورة العظمى ليس هو نفسه عظيماً؟ الإله القدير (نفس العدد السابق) هل هو نفسه صغير وليس عظيماً؟ أية وضاعة وخسة تكون لهؤلاء الناس عندما يقولون إنه إله بدرجة أقل. إنني أكرر كلامهم مراراً لكيما تتجنبوهم أكثر. في اعتقادهم أنه لكونه إلهاً أقل لم ينتهز لنفسه فرصة أن يشابه الإله الأعظم! فأخبروني الآن، لو كان هو الأقل كما يقولون، أدنى من الآب في القدرة، فكيف يمكنه أن ينتزع لنفسه معادلة الآب (في القدرة)؟ لأن من له طبيعة أدنى لا يمكنه أن يقتحم مجال من هو أعظم. وعلى سبيل المثال لا يستطيع الإنسان أن يدّعي لنفسه إمكانية أن يصير معادلاً للملاك في الطبيعة، وحتى لو رغب الحصان، في أن يعادل الإنسان في طبيعته فلن يستطيع.

ولكن بالإضافة إلى كل هذا، سأقول هذا أيضاً. مالذى يقصده بولس بهذا المثال؟ بالتأكيد أن يقود أهل فيلبي إلى التواضع. فلأي غرض قدم هذا المثال؟ لأن من يريد أن يحث على التواضع لن يتكلم هكذا «**كن متواضعاً واعتبر نفسك أقل مما أنت عليه من كرامة فعلية، لأن من هو**

١- في الحقيقة اضطررت هنا لحذف عدة صفحات لم أترجمها لأن فيها يتحدث ذهبي الفم عن هرطقة سابيليوس وماركيان وماني وركز بالأكثر على بدعة آريوس وفند العديد من حججه، وهذا موضوع خارج عن نطاق شرح وتطبيقات الرسالة التي نحن بصددها.

عبد لم يقم ضد سيده، فاقتد به».

يمكن لأي شخص أن يقول إن هذا ليس أتضاعاً بل وقاحة.

تعلمــوا ماذا يكون التواضع يا من لكم كبرياء شـيطانية! فماذا يكون التواضع؟

هو أن تكون متضعاً بالذهن. من يضع ذاته هو المتضع بالذهن، وليس من هو وضيع أصلاً. انتبهوا إليّ لأشرح ما أقول: الذي هو متضع الذهن، عندما يكون في مقدوره أن يتكبر لم يفعل بل اتضع، أما الذي هو متضع لكونه لم يســتطع أن يكــون متكبراً فهو ليس متضعاً بعــد. فمثلاً لو أن الملك يُخضع نفسه لموظف عنده، فإنه يكون متضعاً لأنه نزل من مستواه الأعلى، لكن لو أن الموظف تصرف هكذا، فلن يكون متضعاً. كيف؟ لأنه لم يُخفض نفسه من أي مستوى عالي. لا يمكن أن تظهر العقلية المتضعة ما لم يكن في مقدورنا أن نعمل العكس. لأنه لو كان ضرورياً لنا أن نتضع ولو رغماً عن إرادتنا، فهذا الســمو لا يأتــي من الروح أو الإرادة بل عن ضرورة. إن هذه الفضيلة دُعيت العقلية المتضعة، لأنها هي أتضاع للذهن. هــل نظن أنه ينبغي لنا أن نمدحه علــى عدله من لم يكن في مقدوره أن يســلب خيرات الآخرين وبقي قانعاً بخيراتــه؟ لا أظن هذا. ولماذا؟ لأن مدح حرية الاختيار قد أُبطل عن ضرورة. إن كان الذي لم يكن في مقدوره أن يغتصب العرش ويصير ملكاً، وبقى مجرد مواطن عادي، فهل نمدحه على هدوئه؟ لا أظن. نفس القاعدة تنطبق هنا، لأن المدح أيها الحمقى لا يُعطى لمجرد الامتناع، بل لأداء الأعمال الصالحة، لأن الأعمال السابقة

هي في الواقع خالية من الملامة لكنها لا تشترك في المدح، بينما يليق ثناء الأعمال الأخرى. كذلك لاحظ أن المسيح يعطي الثناء على هذا الأساس عندما يقول «**تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني**» (مت٢٥ : ٣٤، ٣٥). لم يقل السيد المسيح «**لأنكم كنتم غير جشعين، لأنكم لم تسرقوا، فهذه أمور تافهة**»، بل قال لأنكم «**رأيتموني جوعاناً فأطعمتموني**». من على الإطلاق مدح أصدقاءه أو أعداءه بهذه الطريقة؟ لم يمُدح أحد أبداً هكذا ولا حتى بولس. لماذا نقول بولس؟ لأنه لا أحد أبداً قد مُدح ولو كان شخصاً عادياً كما تمدح المسيح لأنه لم يأخذ بالقاعدة[٢] التي لم تكن قانونه.

أن تبدي إعجابك لأعمال كهذه (أي تستحسن مثلاً من لم يسرق) فأنت تقدّم دليلاً على إثم كثير. لماذا؟ لأن هذا التصرف هو موضع ثناء من الأشرار لمن يسرق لو توقف عن السرقة، لكنه ليس كذلك بين الصالحين (انظر أف٤ : ٢٨ حيث قيل «**لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه**..»). لأن من لم يلتزم (طوعاً) بقاعدة (أن لا يسرق مثلاً) وبكرامة (مركز) لم يكن يستحقها (وغير مدعو لها)، فهل يكون جديراً بالمدح؟ أي غباء يكون هذا؟ أتوسل إليكم أن تصغوا، لأن المناقشة طويلة.

أيضاً من منا على الإطلاق سيحث على التواضع على أسس كهذه؟

٢- وهي عدم المدح لمن تحاشى صنع الشر، بل يُمدح فقط من عمل الخير.

الأمثلـة (المُعطاة) ينبغي أن تكون أعظم مـن الموضوعِ الذي نحث عليه، لأن لا أحد سـيتأثر بما هو غريب عن الموضوع. فمثلاً عندما أراد السـيد المسـيح أن يقودنا إلى تقديم الخير لأعدائنا، قدم مثالاً عظيماً بل قدم لنا مثال أبيه «**الذي يشـرق على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين**» (مت٥ : ٤٥). وعندما اقتادنا إلى تحمل الظلم قدم نفسـه مثالاً بقولـه «**تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب**» (مت١١ : ٢٩)، وأيضاً قولـه «**إن كنت وأنا السـيد والمعلم قد عملت هـذه الأعمال فكم بالأولى أنتم؟**» (انظر يو١٣ : ١٤).

انظر أيضاً ما يقوله بعد المثال «**بل بتواضع حاسـبين بعضكم البعض أفضل من أنفسـهم**». يقول الرسـول «حاسـبين» لأنه كما أنكم واحد في الجوهر والإكرام الذي يأتي من الله، فهذا يعني أن الشرف الذى تحصلون عليه هو نفس الشـرف الذى يناله كل واحـد. أما في حالة من هم أعظم وأقل، فإنه لم يقل «حاسـبين» بل قال «أكرموهم أكثر من أنفسـكم» كما يقول في موضع آخر «**أطيعوا مرشديكم واخضعوا لهم**» (عب١٣ : ١٧).

في ذلـك الموقف يكون الخضـوع ناتجاً عن طبيعة الحالة (التي تحكم العلاقة بين المرشد ومن يتلقى منه الإرشاد)، أما في هذا الموقف فهو راجع لحكمنا (وتقديرنا). فيقول الرسـول «**حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم**» كما فعل المسيح أيضاً (إذ أخلى ذاته بينما هو معادل للآب).

إن بولـس عندمـا يحض على الاتضـاع لم يقدم أبـداً الأقل كمطيع للأعظـم. لو كان يحث العبيد على طاعة سـادتهم لكان يمكنه أن يقول هكـذا، لكن عندما يحث الحر على طاعة (نظـيره) الحر، فلأجل ماذا

يمكنه أن يخضع خضوع عبد لسيده؟ هل هو خضوع الأقل للأعظم؟ لم يقل الرسول «**ليخضع الأقل للأعظم**» بل قال «**يا من أنتم متساوون في الكرامة اخضعوا**» «**حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم**». فلماذا لم يقدم ولو طاعة الزوجة كمثال فيقول «**كما تطيع الزوجة زوجها، هكذا أنتم أيضاً أطيعوا** (بعضكم البعض)». فإن كان لم يقدم (كمثال) الحالة التي فيها مساواة وحرية، لأن الخضوع في هذه الحالة طفيف، فكم بالأولى لا يقدم خضوع العبد (كمثال)؟

لقد قلت سابقاً أن لا أحد يمتدح إنساناً لمجرد امتناعه عن الشر ولا حتى يذكره أبداً. من يرغب في مدح إنساناً على العفة لن يمدحه لأنه امتنع عن الزنا، بل لأنه امتنع عن زوجته، لأننا لا نعتبر الامتناع عن الشر أمراً جديراً بالثناء إذ سيكون هذا مثيراً للسخرية.

قلت إن «**صورة العبد**» كانت صورة كاملة وليس بأقل من ذلك (أي ليست وهمية). كذلك فإن صورة الله تامة أيضاً وليست بأقل من ذلك. لماذا لم يقل «**الذي صُنع في صورة الله**» بل قال «**الذي إذ كان في صورة الله؟**» **هذا نفس المعنى مثل قوله** «**أكون الذي أكون**» (خر٣: ١٤).

إن (كلمة) «صورة» تتضمن عدم التغير بقدر ما هي صورة. يستحيل أن الأشياء ذات الجوهر الواحد يكون لها صورة شيء آخر (مخالف)، إذ لا إنسان له صورة ملاك ولا وحش له صورة إنسان. فكيف يكون للابن (صورة مختلفة عن الآب)؟

بالنسبة لحالنا، حيث إننا بشر مُكونين من طبيعة مركبة، الصورة

تنتمي إلى الجسـد، أما في حالة الطبيعة البسـيطة وغير المركبة بالكلية، فالصـورة تنتمي إلى الجوهر. لكن لـو جادلت بأنه لا يتحدث عن (الله) الآب لأن الكلمة اُستخدمت بدون أداة تعريف[٣]، فهذا هو المعنى المقصود في أماكن كثيرة رغم أن الكلمة اُستخدمت بدون أداة تعريف. ولماذا أقول في مواضع كثيرة؟ لأنه في هذا الموضع بالذات يقول «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» مسـتخدماً كلمة الله بدون أداة تعريف ولو أنه يتحدث عن الله الآب.

سـأضيف تفسـيراً من عندي لكني أخشى أن أُغرق أذهانكم، وبينما نتذكر ما قيل لدحض الهراطقة، فلنقتلع في غضون ذلك الأشـواك وبعد ذلك نلقـي البذار الجيدة عقـب اقتلاع البذور (الرديئـة). وقد أُعطيت الأرض راحـة قليلة لكي تنال بتخلصها من الشـر البذار الإلهية بفضيلة تامة.

فلنقدم الشـكر لله لما قيل، ولنتوسـل إليه أن يمنحنا الحذر والتحفظ من ذلك لكي نبتهج نحن وأنتم ويخزي الهراطقة. لنتوسل إليه أن يفتح فمنـا لما يتبع هذا لكي بنفس الحماس نقدم وجهات نظرنا. لنتضرع إليه أن يمنحنا حياة جديرة بالإيمان لكي نحيا لمجده ولكي لا يُجدف على اسمه بسببنا. لأنه مكتوب «**الويل لكم إذ بسببكم يُجدف على اسم الله**» (انظر إش٥٢ : ٥). لأنه لو كان لنا ابن (بالجسـد) وبسببه جُدف علينا، فإننا نلفظه علانية ونبتعد عنه ولن نقبله، فكم بالأولى الله عندما يكون له عبيد ناكرين للجميل يسبونه ويسيئون إليه، فإنه يبتعد عنهم ويبغضهم؟

٣- هذه الأمور تظهر بوضوح في النص اليوناني فقط.

ومن سـوى إبليس والشياطين سـيمتلكون من يبغضهم الله ؟ ومن تأخذه الشياطين، أي رجاء للخلاص يتبقى له وأي عزاء له في الحياة ؟

طالما نحن في يد الله فلا أحد يخطفنا منه (انظر يو١٠ : ٢٨)، لأن تلك اليد قوية، لكن عندما نسـقط بعيداً عن تلـك اليد وتلك المعونة، حينئذ نكون قد ضعنا، حينئذ نكون معرضين (للخطر) ومهيأين للسـقوط مثل «**حائط مائل وسـياج متداعي**» (مز٦٢ : ٣). عندمـا يكون الحائط ضعيفاً يسـهل للـكل أن يقوضوه. لا تظـن أن ما أنا مزمع أن أقوله يشـير إلى أورشـليم فقط، بل يشير إلى كل البشر. وماذا قيل عن أورشليم؟ [لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. نقبه ونقى حجارته وغرسـه كرم سـورق وبنى برجاً في وسـطه ونقر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً. والآن يا سـكان أورشليم ورجـال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يصنع أيضاً لكرمي وأنا لم اصنعه له لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً. فالآن أعرفكم ماذا اصنع بكرمي انزع سياجه فيصير للرعي اهدم جدرانه فيصير للدوس. واجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شـوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطـر عليه مطراً. إن كرم رب الجنود هو بيت إسـرائيل وغرس لذته رجـال يهوذا فانتظر حقاً فإذا سـفك دم، وعدلاً فإذا صراخ. (إش٥ : ١– ٧)[٤].] هذا الكلام قيل أيضاً عن كل نفس، لأنه عندما عمل الله للإنسان الذي يحبه كل ما هو ضروري له، وقد صنع الإنسـان شـوكاً بدلاً من العنب، فإنه سينزع سياجه ويهدم جدرانه، وسنصير للرعي (والدوس).

٤- مما هو جدير بالذكر أن اقتباسات ذهبي الفم من الترجمة السبعينية، لكن حينما أجده متقارباً في المعنى والمبنى مع النص البيروتي فإني تسهيلاً على القارئ أسجل النص البيروتي وهذا ما فعلته هنا.

واسمع ما يقوله نبي آخر في مراثيه «**لماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق. يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية**» (مز٨٠: ١٢، ١٣). إنه يتحدث في الموضع السابق عن ميديه وبابل (اللتين داستا أورشليم)، هنا لم يقل عنهما شيئاً، لكن الخنزير ووحش البرية هو إبليس وكل جنوده لأن الشراسة والنجاسة هما من ميوله. لأن الكتاب عندما أراد أن يرينا ضراوته يقول «**كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو**» (١بطه: ٨). وعندما يريد الكتاب إظهار طبيعته السامة والمميتة والمهلكة يدعوه حية وعقرباً فيقول «**لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو**» (لو١٠: ١٩). وعندما يريد أن يمثّل قوته والسم الذي له يدعوه تنيناً كما يقول «**هذا التنين الذي خلقته ليلعب فيه**»[٥] (مز١٠٤: ٢٦). والكتاب في كل موضع يدعوه تنيناً وحيّة متحوية وأفعى (صِلْ) (انظر مز٧٤: ١٣، ١٤). إنه حيوان من ثنيات كثيرة ومتغير في حيله، وقوته عظيمة وهو يحرك كل الأشياء ويزعج كل الأشياء ويقلبها رأساً على عقب (إش٢٧: ١؛ ٥١: ٩؛ حز٢٩: ٣؛ ٣٢: ٢). لكن لا تخش ولا تخف، انظر فقط، فإنه سيكون كعصفور، إذ يقول الكتاب «وتدوسون على الحيات والعقارب» لو شئنا سيجعله الله مدوساً تحت أقدامنا.

انظر أي احتقار بل أي بؤس أن نرى من قد أُعطي لنا أن ندوسه تحت أقدامنا واقفاً الآن فوق رؤوسنا. ومن أين يكون هذا؟ من ذواتنا. لو اخترنا يصبح هو عظيماً، ولو أردنا يصبح هو ضعيف القوة. لو انتبهنا

٥- يبدو لي أن هذا اختيار غير موفق للشاهد ولو كان قد عرض الآية «وظهرت آية أخرى في السماء هوذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس و عشرة قرون و على رؤوسه سبعة تيجان (رؤ١٢: ٣)، أو الآية «فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس و الشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض و طرحت معه ملائكته» (رؤ ١٢: ٩)، لكان أفضل.

لأنفسنا ووقفنا مع ملكنا فإن إبليس سوف يسحب نفسه ولن يكون أقوى (حرفيـــاً أفضل) من طفل صغير في حربه معنا (ضدنا). عندما نقف بعيداً عن ملكنا، فإنه ينتفخ بشـــدة ويطلق أصواتاً مرعبة ويصرّ بأســـنانه لأنه يجدنـــا بدون معونتنا العظمى. لن يقترب إلينا إلا إذا سمح الله له، لأنه إن كان لم يجـــرؤ علـــى الدخول في قطيع الخنازير إلا بســـماح الله، فكم بالأولى نفوس الناس. لكن الله يسمح له إما بتأديبنا أو قصاصنا أو بجعلنا مرضيين أكثر كما في حالة أيوب. هل ترى أنه لم يأت إليه ولا جرؤ على الاقتراب منه بل ارتعب وارتجف؟

ولماذا أتكلم عن أيوب؟ عندما قفز على يهوذا، لم يجرؤ على الإمساك به كلياً إلا بعد أن بتره المسيح من الجماعة المقدسة. في الواقع لقد هاجمه من خارج، لكن لم يجرؤ على دخوله إلا عندما رآه قد قُطع من القطيع المقـــدس، فهجم عليه بشراســـة أكثر مما للذئـــب ولم يتركه إلا بعد قتله بموت مضاعف.

إن هذه الأشياء قد كتبت لإنذارنا. ما المنفعة من معرفتنا أن واحداً من الاثنى عشـــر كان خائناً؟ ما المنفعة؟ ما الربح؟ إنه ربح كثير. لأنه عندما نعلم من أين وصل إلى هذه المشورة المميتة، نكون على حذر حتى لا نعاني نحـــن أيضاً مصيره. من أين وصل هو إلى هذا؟ من محبة المال، فهو كان لصاً، ولأجل ثلاثين من الفضة خان سيده. كان يهوذا سكراناً جداً بهذا الهوى حتى خان رب العالم لأجل ثلاثين من الفضة. أي شيء يمكن أن يكون أســـوأ من هذا الجنون؟ إن المســـيح الذي لا شيء يعادله أو يساويه إذ «**كل الأمم كلا شـــيء قدامه**» (إش٤٠: ١٧)، سلّمه يهوذا بثلاثين من

الفضــة. في الواقــع إن محبــة المال لها قوة فظيعــة، ومرعبة فهي تضع النفس خارجاً عن طورها. لا يخرج الإنسان عن طوره بالسُكر مثلما بحبه للمال، ولا يخرج عن طوره بالجنون والعته مثلما في محبته للمال.

أخبرني لماذا خانه؟

إنه دعاك يا يهوذا عندما كنت إنساناً مغموراً وغير معروف، وجعلك واحداً من الاثني عشــر وأعطاك نصيباً في تعليمه ووعدك بأشــياء حسنة لا تُحصــى وجعلــك تصنع معجزات وكنت مشــاركاً لنفس المائدة ونفس الرحلات ونفس الصحبة ونفس المعاملة مثل الباقين. ألم تكن هذه أشياء كافية لردعك؟ لأي ســبب خنته؟ لماذا أسلمته أيها الشرير؟ بل أي خير لم تنله على يده؟ إنه علم ما يدور في ذهنك ومع ذلك لم يتوقف عن القيام بمسئوليته (من نحوك).

لقد قال لك مراراً «**واحد منكم يسـلمني**» (مت٢٦ : ٢١)، ومراراً أشار إليك، ومع ذلك أبقى عليك، ورغم أنه علم أنك أنت الذي ستســلمه لم يطــردك من الجماعة. وهو أيضاً احتملك وأكرمك وأحبك كتلميذ حقيقي وكواحد من الاثني عشــر وأخيراً أخذ منشــفة واتــزر وبيديه الطاهرتين غسل رجليك النجستين، وبالرغم من هذا لم ترتدع. كنت تسرق من مال الفقــراء ومع ذلك احتملك حتى لا تنزلق إلى خطية أعظم. لا شــيء (من كل هــذا) أقنعك (وردعك). أما كنت تتغيّر بهــذا العطف نحوك وبهذه الأعاجيب وهذه التعاليم لو كنت وحشــاً أو حجراً؟ ومع أنك كنت هكذا متوحشاً، لكنه دعاك أيضاً وبأعمال عجيبة اجتذبك أنت الذي كنت عديم الإحساس أكثر من الحجر. لكن لا شيء من كل هذا جعلك أفضل.

ربما قد تندهش لمثل هذا الحمق الذي للخائن، لذلك فإن الذى تسبب فى سقوطه مخيف. لقد صار هكذا من الطمع، من محبة المال. اقطع هذا الهـوى، لأنه يلد هذه الأمراض، إنه يجعلنـا غير أنقياء وجاهلين بالله رغم أننا ننال على يديه آلاف الإحسـانات. إنني أتوسـل إليك، اقطع هـذا الداء، إنـه ليس داءً عادياً، إنه يعرف كيف يلد ألف ميتة مهلكة. لقد رأينا مأسـاته. لنخف لئلا نسـقط نحن أيضاً في نفس الشـباك. لأن هذا مكتوب حتى لا نعاني نحن أيضاً من نفس البلايا. لذلك سـرده كل الإنجيليين حتى يردعونا. فلنهرب (بعيداً) عنه.

إن الطمع ليس عبارة عن حب مال كثير فقط، بل هو حب المال بصفة عامـة. إنه طمع خطـير أن نرغب في أكثر مما نحتاج. هل كانت وزنات ذهب (كثيرة) هي التي دفعت (حرفياً أقنعت) الخائن (لتسـليمه)؟ لقد خان سـيده لأجل ثلاثين من الفضة. ألا تذكر ما قلته من قبل إن الطمع لا يظهر في أخذ الكثير، بل بالأحرى في أخذ أشياء تافهة؟ انظر كم هي بشعة تلك الجريمة التي اقترفها لأجل قليل من الذهب، لا ليس للذهب، بل لقطع فضية. لا يمكن أبداً لإنسـان طماع أن يرى وجه المسـيح! هذا واحد من الأشياء المستحيلة. إنه أصل كل الشرور. وإن كان الذي له شر واحد قد سـقط من ذلك المجد، فأين سـيقف الذي يحمل معه أصل كل الشرور؟ من هو عبد للمال لا يمكن أن يكون عبداً حقيقياً للمسيح. المسيح نفسه قد أعلن أن هذا الشيء مستحيل. فهو يقول «**لا يقدر أحد أن يخدم سـيدين. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**» (مت٦ : ٢٤). لأن المال يضع علينا أوامر مضادة (لوصايا المسـيح). فالمسـيح يقول «**أشفق على الفقير**»

والمال يقول «**حتى لو كان عارياً جرده مما له**». يقول المسيح «**أفرغ نفسك ممـا لـك**» والمال يقول «**خذ أيضاً ما هو ليس لـك**». هل ترى التضاد؟ ؟ كيف لا يمكن أن يطيع الإنسان كليهما بسهولة، بل لابد له أن يحتقر أحدهما؟ فهل يحتاج هذا إلى دليل؟ كيف ذلك؟ ألا نرى في كل عمل أن المسيح يُحتقر والمال يُكرم؟ ألا ترى أن الكلمات نفسها مؤلمة فكم بالأولى الفعل ذاته؟ لكنه لا يظهر هكذا مؤلماً في واقعه لأننا مصابون بالمرض. لو أن النفس متطهرة ولو قليلاً من المرض طالما إنها باقية هنا (في الكنيسة) يمكنها أن تُحسن الحكم، لكن عندما ترحل إلى موضع آخر وتُصاب بالحمى وتنهمك في لذة الشيء فإنها تفقد رؤيتها الواضحة وتحكم حكماً فاسداً. المسيح يقول «**كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً**» (لو١٤: ٢٣)، والمال يقول «**انهب الخبز من الجائع**». المسيح يقول «**اكس العريان**» (إش٥٨: ٧)، والمال يقول «**لا تشفق على الذين هم لك ولو رأيت أباك وأمك في عوز ازدري بهما**».

أنا أعلم أن كثيرين يسمعون هذا الكلام ويتألمون، وأنا لست أقوله وأنا غير متألم. لكن لماذا اضطر لقول هذا الكلام؟ إنني أود أن يكون الكلام المختص بالملكوت هو حديثي الدائم ويكون أيضاً كلامي عن الراحة وماء الراحة والمراعي الخضراء كما يقول الكتاب «**في مراع خضر يسكنني. على ماء الراحة يوردني**» (مز٢٣: ٢). كنت أود الحديث عن الموضع الذي منه «**يهرب الحزن والتنهد**» (إش٥١: ١١). كنت أود الحديث عن مسرات كوننا مع المسيح ولو أنها مسرات تفوق كل تعبير وفهم، لكنني كنت سأتحدث عنها على قدر قوتي. لكن ما عساي

أفعل؟ يستحيل الكلام فيما يختص بمملكة لمن هو محموم ومريض إذ يلزمنا الحديث عن الصحة (والشفاء من المرض أولاً). لا يمكننا الحديث عن التكريم لمن أُحضر إلى المحاكمة، لأن رغبته في ذلك الوقت قاصرة على الفكاك من الحكم والعقوبة والقصاص فإذا لم يصنع له هذا، فكيف سيتحقق الآخر؟ إنني لأجل هذا السبب أداوم الحديث عن هذه الأمور لكيما نعبر في الحال إلى المواضيع الأخرى. لأجل هذا السبب يهدد الله بجهنم لكي لا يسقط أحد فيها ولكي نحصل على الملكوت. لأجل هذا السبب نحن أيضاً نذكر جهنم دوماً حتى ما ندفعكم تجاه الملكوت، و عندما نكون قد هذبنا أذهانكم بالخوف يمكننا أن نأتي بكم إلى التصرف بما يليق بالملكوت. لذلك لا تستاءوا من ثقل كلماتي، لأن ثقل الكلمات يعطي الفرصة لنفوسنا لتفر من الخطية. لذلك ليتنا لا نهرب من ثقل الكلام ولا من الضرب الذي يسببه، فإن الضرب لا يوضع على الإنسان حتى يكسر النفس إلى أجزاء بل ليقوّمها. نحن بنعمة الله نعرف كيف نضرب الضربة التي لا تهشم الإناء بل تهذبه (تصقله) وتقوّمه وتجعله أهلاً لاستخدام السيد (الرب) وتقدمه متلألئاً في المتانة ومصنوعاً بمهارة أمام يوم نهر النار وتقدمه بدون الحاجة إلى كومة الحريق (المعدة لإبليس وجنوده). لأنه إذا لم نعرض أنفسنا للنار هنا، فإنه يلزمنا الاحتياج أن نُحرق هناك، ولا يمكن أن يكون بخلاف ذلك «**لأنه بنار يُستعلن يوم الرب**» (١كو٣: ١٣). من الأفضل لكم أن تحترقوا قليلاً بكلماتنا عن أن تحترقوا إلى الأبد في ذلك اللهيب. ينبغي بالحق أن نُقنع من الأسفار المقدسة، لكن حيث أن البعض يناقش (ويحاجج) فإننا قدمنا عدة براهين لهذا السبب. ولاشيء يمنع أن أذكرها الآن. فما هي؟

الله عادل، وكلنا نعترف بهذا سواء كنا يونانيين أو يهوداً، هراطقة أو مسيحيين. لكن كثيراً من الخطاة ماتوا دون عقوبة (أرضية)، بينما أبرار كثيرون ماتوا بعد أن عانوا من أشياء محزنة كثيرة. فلو كان الله عادلاً (وهو حقاً عادل) فأين سيكافئ بالخير واحداً وبالعقوبة آخر، إن لم يكن هناك جهنم وإن لم تكن هناك قيامة؟ لذلك رددوا لهذا السبب دوماً لهم ولأنفسكم، فلا يتيح لكم هذا عدم تصديق موضوع القيامة، وكذلك ينتبه غير المؤمنين بالقيامة لحياتهم بكل حرص حتى ينالوا السعادة الأبدية التي نتمنى أن نكون كلنا جديرين بها بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس المجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة السابعة

(فيلبي٢ : ٥-١١)

فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ. (في٢ : ٥-١١).

لقد ذكرت وجهات نظر الهراطقة[1] ويليق بنا الآن أن نذكر وجهة نظرنا. هم قالوا إن الكلمات «**لم يحسب خلسة**» هي كسب غير شرعي، ونحن برهنا أن هذا الكلام عادم وسقيم تماماً، لأن لا أحد سيحث آخر على التواضع على أسس مثل هذه ولا أحد يمدح الله بهذه الطريقة أو حتى يمدح إنساناً، فما هو المعنى أيها الأحباء؟ انتبهوا لما أقوله الآن.

حيث إن كثيراً من الناس يظنون أنه عندما يكونون متضعين فإنهم

١- يقصد بهذا ما ذكره في العظة السابقة والذي قمنا بحذفه لأنه لا يفيد القارئ العادي روحياً.

سيحرمون من حقهم الواجب ويتم احتقارهم، ولكي يزيل بولس هذا الخوف ويبين أنه لا يجب أن نتأثر هكذا (بالمفاهيم الخاطئة)، يقول إن الله الابن الوحيد، الذي كان في صورة الله ولم يكن أبداً أقل من الآب بل كان معادلاً له «**لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله**».

والآن اعلموا ماذا يعني هذا الكلام. إن ما يسرقه الإنسان ويأخذه رغم أنه ليس من حقه فإنه لا يجرؤ أن يتخلى عنه لئلا يفقده ويسقط من ملكيته بل يظل ممسكاً به دوماً. إن الذي يملك قدراً من الكرامة الطبيعية لا يخشى أن ينزل عن (مستوى هذه) الكرامة، لكونه متأكداً أن لا شيء من هذا النوع (التحقير) سيحدث له. وكمثال فإن أبشالوم اغتصب الحكم ولم يجسر بعد ذلك على التخلي عنه. فلنأخذ أيضاً مثالاً آخراً. لو أخذ إنسان أي شيء عنوة فإنه يتمسك به بشدة لأنه لو سلّمه لغيره سيفقده في الحال.

فماذا لنا أن نقول؟ نقول إن الابن لم يخش أن يتنازل (حرفياً ينزل) عن حقه (الطبيعي) لأنه لم يعتقد أن الألوهية شيء يُغتصب. إنه لم يكن يخشى أن يجرده أحد من هذه الطبيعة أو ذلك الحق (الطبيعي)، لذلك هو أخلى نفسه واثقاً أنه سيأخذه ثانية. لقد أخفاها عالماً أنه ما كان يُجعل أدنى[٢] بتصرفه هكذا. لهذا السبب لم يقل بولس إنه «لم يختطف» بل قال «**لم يحسب خلسة**». إنه لم يملك هذه المنزلة بالاغتصاب، بل كانت حقاً طبيعياً له وليست شيئاً مُنعماً به عليه، بل هي دائمة ومصونة له. لذلك لم يخش أن يأخذ صورة من هو أدنى. إن مغتصب المُلك يخشى

٢- أي يصير في مستوى أقل من مركزه.

أن يترك الرداء الأرجواني (ولو في الحرب، بينما الملك (الشرعي) يفعل هذا بمنتهى الأمان. لماذا هذا؟ لأنه ممسك بالسلطة (شرعاً) وليس عن طريق الاغتصاب.

لم يرفض السيد المسيح أن يخلي ذاته (من مجد الألوهية) كمن هو مغتصب لها حيث إنها له بالطبيعة، فلا يمكن أن تنُزع منه لذلك أخفاها. لم يغتصب هو هذه المساواة مع الله بل هي له بالطبيعة، لذلك «**هو أخلى ذاته**». أين هم الذين يؤكدون أنه كابد إكراهاً وأنه كان مُخضعاً؟ فالكتاب يقول «**إنه أخلى ذاته ووضع نفسه وصار طائعاً حتى الموت**». كيف أخلى ذاته؟ بأن أخذ «**صورة عبد صائراً في شبه الناس ووجد في الهيئة كإنسان**».

إنه مكتوب «**أخلى نفسه**» إشارة إلى النص القائل «**حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم**» لأنه لو كان مخضعاً ولم يختر هذا بمحض إرادته ومشيئته الحرة، ما كان هذا يُعتبر عمل تواضع. لأنه لو كان عليه أن يتصرف هكذا وهو لا يعلم لكان هو ناقصاً. إن لم يكن يعلم هذا لكان قد انتظر حتى وقت التنفيذ، إذاً هو لم يكن يعرف التوقيت. لكن لو علم أن عليه أن يتصرف هكذا ومتى يلزم هذا فلماذا أذعن أن يكون خاضعاً؟

فيجيبون: ليبين سمو الآب.

لكن هذا لا يبين سمو الآب، بل يبين تدنيه (أي تدني الابن عن الآب). ألا يكفي اسم الآب ليبين أفضلية الآب؟ لأنه ما عدا الأبوة

(كصفــة) فالابن له نفس الصفات كلها. لأن هذه الصفة (الأبوة) لا يمكن أن تعبر من الآب إلى الابن.

فماذا يقول الهراطقة؟

إنهم، (أقصد بهم الماركيانيين) يقولون: انظر إنه لم يصر إنساناً.

لكن لماذا (تقولون هذا)؟

لأنه كان «**صائراً في شبه الناس**».

لكن كيف يمكن لأحد أن يكون «**صائراً في شبه الناس**»؟ هل بأن يرتدي خيالاً؟ لكن هذا طيف وليس أبداً شــبه إنســان، لأن شــبه الإنسان هو إنســان آخر غيره. وبماذا تجيب على يوحنــا عندما يقول «**الكلمة صار جســداً**» (يو١ : ١٤). بل بولس الطوباوي نفســه يقول في موضع آخر «**في شبه جسد الخطية**» (رو٨ : ٣).

«**وإذ وجد في الهيئة كإنسان**» (في٢ : ٨).

يقــول الهراطقة: أنظــر إنه يقــول «**في الهيئة**» و«**كإنســان**». أن تكون «**كإنســان**» وأن تكون إنســاناً «**في الهيئة**» ليس معنــاه أن تكون بالفعل إنساناً أن تكون إنساناً في الهيئة ليس معناه أن تكون إنساناً بالطبيعة.

انظر بأية مهارة أنا أرسي ما يقوله أعداؤنا لأن هذا نصر باهر وكسب عظيــم عندمــا لا نخفي ما يبدو أنه حججهم القوية. لأن هذا خداع أكثر منه انتصار.

فمـــاذا يقولون؟ دعوني أكرر حججهم. أن تكون إنســـاناً، في الهيئة ليس هو أن تكون إنســـاناً بالطبيعة، وأن تكون كإنســـان وفي هيئة إنسان فليس معنى هذا أن تكون إنساناً. وهكذا أن تأخذ شكل العبد ليس معناه أن تأخذ طبيعة العبد.

إذاً هنـــا يوجـــد عدم ثبات، فلماذا لا تحلـــون أولاً هذه المعضلة؟ لأنه كما تظنون أن هذا يناقضنا، كذلك نحن نقول إن القول الآخر يناقضكم.

إنه لم يقل «**كصورة عبد**» ولا قال «**في شـــبه صورة عبد**» ولا قال «**في هيئـــة صورة عبد**» بـــل قال «**آخذاً صورة عبدٍ**». فمـــاذا يكون هذا؟ لأنه يوجد تناقض.

لا يوجد أي تناقض. حاشـــا لله! إنـها حجتهم المثيرة للسخرية. فهم يقولون: إنه أخذ صورة العبد عندما منطق نفســـه بالمنشـــفة وغسل أرجل تلاميذه.

هـــل هذه هي صورة العبد؟ لا، فهذه ليســـت صورة العبد بل عمله. عمل العبد شـــيء، وأن تأخذ صورة العبد شـــيء آخر لماذا لم يقل إنه قام بعمـــل العبد، الأمر الـــذي كان أوضح؟ لكن الكتـــاب لم يضع أبداً كلمة «**عمل**» بدلاً من كلمة «**صورة**» لأن الفرق عظيم بين الكلمتين. لأن الصورة تجســـم الطبيعة بينما «**عمل**» تجســـم فعلاً (يتم تأديته). ونحن أيضاً في الكلام العادي لا نستخدم أبداً كلمة «**صورة**» على أنـها «**عمل**». وبالإضافة إلى هذا بحســـب منطقهـــم إنه ولا حتى أخذ عمل عبـــد ولا حتى منطق نفســـه، لأنه إن كان الأمر كله مجرد خيال، فلن تكن هناك حقيقة. إن

لم تكــن له يدان حقيقيتان فكيف غســل أقدامهم؟ إن لم يكن له حقوان حقيقيان فكيف منطق ذاته بمنشفة؟ وأي نوعٍ من اللباس كان يلبس؟ لأن الكتاب يقول «**وأخذ ثيابه**» (يو١٣ : ١٢). إذاً ولن يكون العمل قد تم، بل كان الأمر كله خداعاً ولا حتى هو غســل أرجل تلاميذه، لأنه إن كانت تلك الطبيعة غير المادية لم تظهر، فهو إذاً لم يكن في الجسد. فمن الذي غسل أرجل التلاميذ؟

إن الكتــاب يقول إنه «**أخلى نفســه**». أخبرني كيف أخلى نفســه؟ مــاذا كان إخلاؤه؟ مــاذا كان تصاغره (تواضعه)؟ هــل كان لأنه أجرى معجــزات؟ لكن بولس وبطرس عملا معجزات، حتى هذا الأمر لم يكن وقفاً على الابن فقط. فما هو معنى «**صائراً في شــبه الناس**»؟ إن له أشياء كثــيرة تنتمي لنا وأشــياء أخرى لا تنتمي لنا. فمثــلاً هو لم يولد نتيجة زواج ولم يخطئ. هذه تنتمي له وليس لإنســان. لم يكن هو ما في الظاهر (لنا) فقط، بل كان أيضاً (هو) الله. كان يبدو أنه إنســان (وحسب) لكن لم يكن يشبه جموع الناس، لأنه كان يشبههم في الجسد. لذلك هو يقصد أنه لم يكن مجرد إنســان، فقال «**في شــبه الناس**». لذا لئلا عندما تسمع أنه أخلى نفســه، تظن أن شيئاً من التغيير والتدني والخسارة قد حدث هنا، فإنه يقول (ما معناه): بينما هو بقيٍ على ما كان عليه (من ألوهية) فإنه أخذ ما لم يكن له، وإذ صار جســداً، بقى إلهاً من حيث إنه كان الكلمة (يو١ : ١٤).

إذاً في هذا كان مثل (شــبه) إنســان، ولأجل هذا السبب يقول بولس «**في الهيئة**» ليس بأن طبيعته انحطت، وليس بأن أي تشــويش نشــأ،

بل هو صار إنساناً في الهيئة. لأنه عندما قال إنه «**أخذ صورة عبد**» فإنه تجاسر على قول هذا القول (إذ وجد في الهيئة كإنسان) أيضاً، إذ رأى أن القول الأول (أخذ صورة عبد) سيبكم المعترضين. لأنه عندما يقول «**في شبه جسد الخطية**» لا يقول إنه لم يكن له جسد، بل إن ذلك الجسد لم يخطئ، بل كان مشابهاً لجسد الخطية. مشابهاً في ماذا؟ مشابهاً في الطبيعة وليس في الخطية، وبناء على ذلك كانت نفسه مشابهة للنفس الخاطئة.

إذاً كما في الحالة السابقة فإن تعبير المشابهة أُستخدم لأنه لم يكن مساوياً في كل شيء، كذلك أيضاً هنا يوجد تشابه، لأنه لم يكن مساويا في كل شيء مثل كون ولادته تمت بغير زواج وكونه بلا خطية وكونه لم يكن مجرد إنسان. وحسناً قال بولس «كإنسان» لأنه لم يكن إنساناً ضمن كثيرين، بل كان واحداً من بين كثيرين. إن الكلمة الذي هو الله لم ينحط إلى إنسان ولا تغير جوهره، بل ظهر كإنسان ليس ليخدعنا بشبح، بل ليعلمنا التواضع. لذلك عندما يقول «كإنسان» فهذا هو ما يقصده (تعليمنا التواضع)، إذ يدعوه إنساناً أيضاً في موضع آخر عندما يقول «**يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح**» (١تي٢ : ٥).

على هذا النمط يوجد الكثير لنقوله ضد هؤلاء الهراطقة. ينبغي لي أن أتحدث الآن ضد من ينكر أنه أخذ نفساً (بدعة أبوليناريوس). لو أن «**صورة الله**» هو إله كامل، كذلك فإن «**صورة العبد**» هي «**عبد كامل**». وأيضاً ضد الآريوسيين. هنا فيما يختص بلاهوته، لا نعود نجد تعبير

«**هو صار**»، «**هو أخذ**» بل نجد «**أنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس**». أما فيما يختص ببشريته، نجد أنه «**أخذ، صار**» هو صار إنساناً، هو أخذ شكل العبد، هو كان في البدء. لذلك ليتنا لا نخلط أو نقسّم الطبائع. يوجد إله واحد، يوجد مسيح واحد، ابن الله. وعندما أقول «**واحد**» أعني اتحاداً وليس اختلاطاً، الطبيعة الواحدة لم تتحلل إلى الأخرى بل كانت متحدة بها.

«**وضع نفسه وأطاع حتى الموت وموت الصليب**» (تابع في٢ :٨)

ربما هناك من يقول: انظروا إنه صار مطيعاً اختيارياً، إنه لم يكن مساوياً لمن أطاعه.

يا لكم من معاندين وغير حكماء!

إن هذا التصرف لا يقلل أبداً من مكانته. لأننا نحن أيضاً نصير مطيعين لأصدقائنا ومع ذلك فهذا لا يؤثر على تساوينا معهم. إنه صار مطيعاً كابن لأبيه، ولم يسقط بذلك في حالة العبودية، بل بهذا التصرف بالذات حفظ بنوته الفريدة بهذا التكريم العظيم للآب. إنه أكرم الآب (بطاعته له) ليس لكي تزدروا به، بل لكي بالأولى تُعجبوا به وتتعلموا من هذا التصرف أنه بإكرامه للآب، كان فوق كل شيء آخر ابناً حقيقياً. لم يكرم أحد الله هكذا. كما كان سموه، هكذا تطابق مع سموه التواضع الذي مارسه. وكما هو أعظم من الكل، ولا يوجد أحد مساو له، كذلك هو في تكريمه لأبيه، فاق الكل، ليس عن إلزام ولا كرهاً، بل هذا أيضاً جزء من سموه.

بل إن الكلمات تجعلني عاجزاً (عن التوصيف الصحيح). بالحق إنه أمر عظيم لا يُعبّر عنه أنه صار عبداً، وكونه جاز الموت هو شيء أعظم، بل لا يزال هناك شـيء أعظـم وأكثر غرابة، لماذا؟ ليسـت كل الميتات متشابهة، إذ يبدو أن موته كان أكثر الميتات الفاضحة، إذ هو موت مملوء خزياً ولعنة لأنه مكتوب «**ملعون كل من عُلّق على خشـبة**» (غلا٣: ١٣؛ تث٢١: ٢٣). لأجل هذا السبب فإن اليهود أيضاً اشتاقوا جداً لقتله بهذه الطريقـة، ليجعلـوه تعييرا، حتى إذا لم يبتعد عنه أحد بسـبب موته، فعلـى الأقل فـإن طريقة موته تجعله يتراجع (عـن تبعيته). لأجل هذا السـبب صُلب معه لصان وهو في الوسط حتى يشاركهما سمعتهما الردية ولكـي يتم قول الكتـاب «**وأحصي مع أثمـة**» (إش٥٣: ١٢)...[٣] «**لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْـمٍ . لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.**(في٢: ٩-١١). »

فلنسـأل الهراطقة: لو أن هذا قيل عن واحد لم يتجسـد، لو قيل عن الله الكلمة (قبل تجسده)، فكيف رفّعه الله؟ هل كما لو كان أعطاه شيئاً أكثر مما هو له قبلاً؟ إذاً (لو نال شيئاً لم يكن له قبلاً) لكان هو ناقصاً في هـذه النقطة وجُعل كاملاً لأجلنا. لأنه لو لم يكن قد عمل أعمالاً صالحة لنا، لما كان قد نال هذا الإكرام (المذكور هنا)!

«**وأعطاه اسماً**»

يقول الهراطقة: انظر ها أنت نفسك تقرّ أنه قد أعطاه اسماً. إذاً فهو

٣- تم هنا حذف فقرة فيها استرسال على نفس الكلام السابق.

كان بلا اسم!

لكن كيف، لو أنه ناله كما يليق به، هل يوجد هنا ما يدل على أنه ناله بالنعمة وكهبة؟ وكون أنه «**اسماً فوق كل اسم**» فلنرى من أي نوع هذا الاسم؟ يقول النص «**لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة**».

يفسر الهراطقة الاسم على أنه مجد. إذاً هذا المجد هو فوق كل مجد، وبالاختصار هذا المجد هو أن يسجد له الكل!

لكنكم جعلتم أنفسكم بعيدين جداً عن عظمة الله يا من تظنون أنكم تعرفون الله كما يعرف هو نفسه، ومن هذا يتضح كيف أنكم منحرفون جداً عن أفكار الله الصحيحة. وهذا يتضح من هنا. أخبروني هل هذا مجد؟ لذلك قبل خلق البشر والملائكة ورؤساء الملائكة لم يكن هو في مجده. هل يكون هذا هو المجد الذي فوق كل مجد (لأن هذا هو الاسم الذي «**فوق كل اسم**»)، فمع أنه كان في مجده من قبل، لكن كان في مجد أدنى من هذا. إذاً لأجل هذا فقد صنع الأشياء الكائنة حتى يُرفع إلى المجد، ليس من ذات صلاحه، بل لأنه احتاج المجد منا!

ألا تنظر حماقتهم؟ ألا تنظر عدم تقواهم؟ إن كانوا قد قالوا هذا عن ذاك الذي تجسد، لهذا السبب كان الله مُحقاً إذ سمح الله الكلمة أن يقال هذا عن جسده. إن هذا الكلام لا يمس طبيعته الإلهية، لكنه يتفق تماماً مع التدبير.

ماذا تعني عبارة «**ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض**»؟

إنها تعني العالم كله والملائكة والبشر والشياطين، أو تعني كلاً من الأحياء الأبرار والخطاة.

«ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في٢ : ١١).

أي أنه يجب على الكل أن يقول هذا. وهذا مجد للآب.

هل ترون كيف أنه عندما يتمجد الابن، فإن الآب كذلك يتمجد؟ كذلك أيضاً عندما يُزدرى بالابن، يُزدرى بالآب كذلك. إن كان هذا هو الحال معنا حيث الفرق عظيم بين الآباء والأبناء (لأنهم ليسوا واحداً من حيث الكيان)، فكم بالأولى من جهة الله حيث لا فرق (بين الآب والابن من حيث الكيان) يحدث أن الإكرام والإهانة تعبر من الواحد للآخر. إن خضع العالم للابن فهذا مجد للآب. وكذلك عندما نقول إن الابن كامل وغير محتاج لشيء وليس أدنى من الآب فهذا مجد للآب الذي ولد مثل هذا الابن. هنا أيضاً دليل عظيم على قوته وصلاحه وحكمته أنه ولد من هو ليس أدنى منه أبداً لا في الحكمة ولا في الصلاح. عندما أقول إنه ولده فهو ليس أقل منه في الجوهر بل مساو له وليس من جوهر آخر، ففي هذا أيضاً أُعجب من الله لقوته وصلاحه وحكمته أنه أظهر لنا من نفسه آخراً مثله تماماً فيما عدا أنه ليس الآب.

لذلك ليتنا نؤمن بمجده، ليتنا نحيا لمجده، لأن الواحدة لا فائدة لها بدون الأخرى، فعندما نمجده بالحق دون أن نعيش بالحق، إذاً فنحن على الأخص نهينه لأننا اعتبرناه معلماً وسيداً لنا ومع ذلك نحتقره ولا

نخــاف البتة من منــبر الدينونة المخيف ذاك. ليس بمســتغرب أن غير المؤمنين يعيشــون في النجاســة، فهذا أمر لا يستحق مثل هذه الدينونة. لكن أن يعيش المســيحيون الذين شــاركوا في مثل هذه الأسـرار العظيمة والذين اســتمتعوا بمجد عظيم جداً هكذا في النجاســة، فهذا أسوأ شيء وهو أمر غير محتمل (على قلب الله).

إذ أخبرني: كان السيد المسيح مطيعاً إلى المنتهى، لذلك هو نال الإكرام الــذي من فــوق، لقد صار عبداً بينما هو رب الكل رب كل الملائكة وكل الآخريــن. لذلك ليتنا نحن أيضاً لا نفترض أننا نزلنا عما يحق لنا عندما نضع أنفســنا، لأنه هكذا سُنرفع بالأكثر وآنذاك سنصبح محط الإعجاب عن جدارة....[٤]

أنه لا يمكن لنا أن نحصل على المجد بأية طريقة أخرى سوى بالهرب منه، فطالما نحن نجدّ في إثره يهرب هو منا، لكن عندما نهرب منه فإنه يتعقبنا. لو أردت أن تتمجد لا تشــتهِ المجد، وإن أردت أن تكون سامياً لا تجعل نفسك سامياً. لا تمجد ذاتك حتى يمجدك آخر، إذ الذي يمجد نفسه لا يمجده آخرون، والذي يضع نفسه بنفسه لا يضعه آخرون (بأن يذلوه). إن الكبرياء شر عظيم، ومن الأفضل للإنسان أن يكون أحمق عن أن يكــون متكبراً. اسمع للحكيم يقول «**أرأيــت رجلاً حكيماً في عيني نفسه، الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به**» (أم٢٦: ١٢).

هــل ترى كيف أنه لم يكن اعتباطاً أنني قلت إن الشــر الذي أتحدث

٤- هنا للاختصار تم حذف فقرة يستطرد فيها ذهبي الفم عن الشيطان الذي رفع نفسه فلُعن، وأبشالوم الذي تجبر فهلك، بينما داود المتضع نجا، وتكلم أيضاً عن الفريسي الذي أهلكته كبرياؤه بينما العشار نجا بتواضعه.

عنه (الكبرياء) هو أسوأ من الحمق، لأنه مكتوب «**الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به**»؟ لذلك يقول بولس أيضاً «**لا تكونوا حكماء عند أنفسكم**» (رو٢ : ١٦).كم هي عظيمة الأشياء التي يجلبها لنا الاتضاع. ماذا تود أن يكون لك؟ حُلم؟ تحرر من الغضب؟ محبة للآخرين؟ يقظة؟ انتباه؟ كل هذه الأشياء الحسنة تنبع من الذهن المتضع، وعكسها ينبع من الكبرياء، إذ يلزم للمتكبر بالضرورة أن يكون وقحاً، مناكفاً، غضوباً، حقوداً، محباً للشجار، حيواناً أكثر منه إنساناً.

هل أنت قوي وتفتخر بقوتك؟ ينبغي لك بالأولى أن تتضع لأجل هذا. لماذا تفتخر لأجل العدم؟ لأن الأسد نفسه أشجع منك، والخنزير البري أقوى، وأنت لا تعادل حتى ذبابة مقارنة بهم. اللصوص أيضاً وسارقو المقابر بل وعبيدك، حتى لو كانوا أغبياء هم أقوى منك. فهل هذا موضوع لائق للافتخار؟ ليتك تذوب خجلاً!..[٥]

إن الذي يرتفع بذهنه فوق كل الناس هو أيضاً أسوأ من كل الحيوانات غير العاقلة. لذلك نعلم أنه بدون الفضيلة فإننا نكون أدنى حتى من الحيوانات غير العاقلة ذاتها، لذلك فلندرب أنفسنا على الفضيلة حتى نصير بشراً، بل بالأحرى ملائكة، وحتى نستمتع بالخيرات الموعودة بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس القوة والمجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

٥- على نفس النسق تحدث ذهبي الفم عن كيف أن من يتباهون بجمالهم يوجد من الحيوانات والطيور من هو أجمل منهم، ومن لهم أصوات جميلة ومن قاموا برحلات كثيرة يوجد في الطيور من يفوقونهم، وكذلك الذين يتباهون بصحتهم أو يهتمون بها فوق كل شيء آخر، بينما الطيور التي ليس لها مخازن تتمتع بسلام وراحة بال بل وصحة أفضل، وبهذا بيّن ذهبي الفم أن كل هذه الأشياء هي لا شيء ولا تستحق أبداً التباهي.

العظـة الثامنـة

(فيلبي٢ : ١٢-١٨)

إذاً يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَل الآنَ بالأَوْلَى جِدّاً فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ. اِفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَداً للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لاِفْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بَاطِلاً وَلاَ تَعِبْتُ بَاطِلاً (٢ : ١٢-١٦).

إن النصائح التي نعطيها يلزم أن تكون مصحوبة باستحسانات لأنها هكذا تصير مقبولة أيضاً عندما نشهد لمن ننصحهم بقدر الغيرة التي أظهروها هم أنفسهم كما فعل بولس هنا. ولاحظ بأي فطنة فريدة يقول «**إذاً يا أحبائي**». إنه لم يقل مجرد كلمة «**أطيعوا**» إلا بعد أن امتدحهم بهذه الكلمات «**كما أطعتم كل حين**». أي لست أوصيكم أن تقتدوا بآخرين، بل بأنفسكم «**لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدّاً فِي غِيَابِي**» ولماذا بالأولى جداً في غيابي؟

نعم، ربما بدا أنكم عملتم كل شيء في ذلك الوقت بدافع من الاحترام لي ومن باب الخجل، لكنه لن يكون هكذا لو برهنتم الآن على أنكم تسعون باجتهاد أكثر (في غيابي)، فيبين هذا أنكم لم تكونوا تعملون شيئاً بدافع من الاحترام لي بل تعملونه من أجل الله.

أخبرني ماذا تريد يا بولس؟

أريد ألا تعملوا بدافع من الاحترام لي، بل «**تمموا خلاصكم بخوف ورعدة**» لأنه يستحيل لمن يعيش خلواً من المخافة أن يقيم أي نموذج سام أو مرتفع القدر. وهو لم يقل فقط «**بخوف**» بل «**وبرعدة**» والتي هي درجة متقدمة من الخوف.

وبولس كان له مثل هذا الخوف، ولذلك قال أنا أخاف لئلا «**بعدما كرزت للآخرين أصير أنا نفسي مرفوضاً**» (١كو٩: ٢٧). لأنه إن كان بدون الخوف لا يمكن أبداً للأمور الدنيوية أن تتم فكم بالأولى الروحية، إذ أريد أن أعرف من تثقف بدون خوف؟ ومن نبغ في فن بدون خوف؟ لكن عندما لا يكون الشيطان كامناً في الطريق، فإن التكاسل يكون هو العقبة الوحيدة التي تعترضنا، فكم بالأولى يلزمنا خوف كثير لكي نسيطر على التكاسل الذي هو مغروس بالطبيعة فينا، وحيث هناك حرب شرسة ومعوقات عظيمة تعترضنا فكيف يمكن أن يكون هناك احتمال للخلاص بدون خوف؟

وكيف يمكن لهذا الخوف أن يتولد فينا؟ لو فقط راعينا أن الله موجود في كل مكان ويسمع ويرى كل شيء، وليس فقط ما يُسمع ويقال، بل

كل مـــا هو خفي في القلب وفي أعماق النفس «**مميز أفكار القلب ونياته**» (عب٤ : ١٢). لو أننا هيأنا أنفســـنا هكذا لن نقــول أو نفكر أبداً فيما هو شر.

أخبرنـــي : لو كان لك أن تقف دوماً بالقرب من شـــخص رئيس، ألا تقــف هناك بخــوف؟ فكيف وأنت واقف في حضــرة الله تضحك وتقف بتهاون ولا تشــعر بخوف ورعدة؟ ليتك لا تستهين أبداً بإمهاله لأن طول أناتــه إنما تقتادك إلى التوبة. عندمـــا تأكل اعلم أن الله حاضر وكذا عند نومك أو عند إذعانك لأية شهوة أو عندما تسرق آخر أو تنغمس في الترف أو أياً كان الشـــيء الذي تصنعه، وبذلك لن تســـقط في الضحك أو تغضب أو تهتاج.

إن المهندس المعماري ولو أنه خبير ومتمكن من عمله، ومع ذلك يقف «**بخوف ورعدة**» لئلا يسقط عليه المبنى. وأنت أيضاً آمنت وعملت أعمالاً حســـنة كثيرة وصعدت عالياً (في الفضيلة) فأمّن نفسك وكن خائفاً وأنت واقف، وداوم الســـهر لئلا تســـقط. لأن الشـــرور التي تهدف إلى طرحك متنوعة وكثيرة (أف٦ : ١٢).

«**أعبدوا الرب بخوف وهللوا له برعدة**» (مز٢ : ١١)

كيف يتفق التهليل مع الرعدة؟

نعـــم هذا هو بالتأكيد التهليل الوحيـــد (القانوني)، لأنه عندما نؤدي بعض الأعمال الحســـنة وكما يليق بمن يعملون كل شيء «**برعدة**» حينئذ

فقط نتهلل.

«**تمموا خلاصكم بخوف ورعدة**»

إنـــه لم يقل «**اعملوا**» بــل قال «**تمموا**» أي اعملــوا باجتهاد ومثابرة كثــيرة، لكن إذ قال «**بخوف ورعدة**» انظر كيف أنه يريحهم من القلق، إذ ماذا يقول؟

«**لأن الله هو العامل فيكم**»

لا تخافــوا لأني قلت «**بخوف ورعــدة**». إنني لم أقل هذا بهدف أن تستســلموا للقنوط وأن تفترضوا أن الفضيلــة إلى حد ما يصعب إدراكها، بل قلت هذا لكيما أقودكم إلى الســعي إليها ولكي لا تضيعوا نفوســكم في مساع باطلة، فإن كان الحال هكذا، فإن الله سيعمل كل شيء. تشجعوا «**لأنَّ الله هو العامل فيكم**». فإن كان هوَ العامل فمن واجبنا أن نقدم ذهناً مصممــاً وعاقداً النية وغير متراخـــي «**لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا**».

(ربمــا هناك من يقــول) إن كان الله هو العامل فينــا أن نريد فكيف تنصحنــا أنــت؟ لأنه إن كان الله نفســه يعمل فينا أيضــاً الإرادة، فإن الكلمات التي تقولها لنا «**كما أطعتم**» هي بلا معنى، لأننا لم «**نطع**» (من ذواتنا) فباطلاً تقول «**بخوف ورعدة**» لأن الكل هو من الله.

(يجيب الرســول بالقول) لم يكن من أجل هذا أني قلت «**لأن الله هو العامــل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا**» بل كان قصدي هو أن أريح قلقكم.

لا تخافوا، فأنتم لستم مقهورين، فكلا من الرغبة القلبية وإتمامها هما عطية منه، لأنه عندما تكون لنا رغبة، آنذاك هو يستزيدها. فمثلاً أنا أريد أن أعمل عملاً ما صالحاً، الله صنع العمل الصالح ذاته، وبواسطة العمل الصالح صنع أيضاً المشيئة. أو أن الرسول يقول هذا بدافع من فيض تقواه، كما عندما يعلن أن أعمالنا الحسنة هي عطايا النعمة. لذلك عندما يدعو هذه الأعمال (الصالحة) عطايا، فإنه لا يضعنا خارج نطاق الإرادة الحرة، بل يمنحنا الاختيار الحر. لذلك عندما يقول «**العامل فينا**» فإنه لا يحرمنا من الإرادة الحرة بل يبين أنه بالتصرف المضبوط نزيد جداً إخلاصنا في الإرادة.

هل أعطيت صدقة؟ هذا التصرف مدعاة لأن يزيد تحريضك على العطاء. هل رفضت أن تعطي؟ إنك بهذا تصير أكثر حيداناً عن الصدقة. هل ترى كيف أنه لا يحرمنا من إرادتنا الحرة؟

«**افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة**» (في٢ : ١٤)

إن إبليس عندما يجد أن لا مقدرة له لأن يبعدنا عن عمل الصواب، فإنه يرغب في إفساد مكافأتنا بوسائل أخرى. لأنه قد انتهز الفرصة ليدس الكبرياء أو المجد الباطل، وإن لم يفلح شيء منهما، يدس حينئذ التذمر (الدمدمة) وإن لم يكن التذمر فإنه يدس الظنون (الردية).

لذا انظر كيف أن بولس أزال كل هذه الأشياء، فهو قال كل ما قاله عن موضوع التواضع ليطرح الكبرياء، وقال عن المجد الباطل «ليس كما في حضوري فقط» وهو هنا يتحدث عن «**الدمدمة** (التذمر) **والمجادلة**».

لكني أريد أن أعرف: لماذا كان الرسول معنياً في حالة أهل كورنثوس باستئصال هذا الدافع الشرير فذكّرهم بالإسرائيليين، أما هنا فلم يقل شيئاً من هذا القبيل، بل اكتفى بالتوصية فقط؟

لأن بالنسبة لأهل كورنثوس فإن البلية قد حدثت بالفعل، لهذا السبب كان هناك احتياج لمزيد من الانتهار القاسي والصارم، ولكنه هنا يقدم نصائح ليمنع حدوثه.

كذلك أيضاً عند كتابته للعبرانيين قدم لهم مثال عيسو قائلاً «**الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته**» (عب١٢: ١٦)، وأيضاً (ذكر) قوله «**إن ارتد لا تُسر به نفسي**» (عب١٠: ٣٨). كان يوجد بين أهل كورنثوس العديد ممن كانوا متهمين بالزنا، لذلك قال «**أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها**» (٢كو١٢: ٢١).

«**لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء**» (في٢: ١٥).

أي بلا لوم وأنقياء، لأن التذمر ليس وصمة هينة. وماذا تعني عبارة «**بلا مجادلة**»؟ هل الجدال حسن أم غير حسن؟

يقول الرسول: لا تجادلوا حتى لو كان الأمر (الصادر إليكم) شاقاً أو متعباً أو أياً كانت صفته مهما كان.

لم يقل الرسول (أن يفعلوا كل شيء) «**حتى لا يُعاقبوا**» لأن العقاب محفوظ للشيء (الردئ)، وهذا أمر أوضحه في رسالة كورنثوس، لكنه هنا

لم يقل شيئاً من هذا القبيل، بل يقول:

«لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَداً للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لاِفْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ» (في٢: ١٥، ١٦).

هل ترى كيف أنه يعلّم هؤلاء ألا يتذمروا؟ لذلك فإن التذمر قد تُرك للعبيد الخبثاء والأشرار. لأنه أخبرني أي نوع من البنين يكون ذاك الذي يتذمر دوماً بأنه يعمل في مصالح أبيه و(في الوقت نفسه) يعمل لأجل ذات منفعته؟ فيقول له بولس: إنك تكد لنفسك ولأجل نفسك تدخر. يحق له أن يتذمر من يرى آخرين يستفيدون من تعبه ويجنون ثمرة كفاحه، لكن الذي يكنز لنفسه لماذا يتذمر؟ هل لأن ثروته لا تزيد؟ لكنها في واقع الأمر تزيد. لماذا يتذمر الذي يعمل عن إرادة حرة وليس عن قسر؟ من الأفضل للإنسان أن لا يعمل شيئاً عن أن يعمله بتذمر، لأن التذمر سيفسد الفعل (الحسن) ذاته.

ألا تلاحظ أنه حتى في وسط عائلاتنا نقول دائماً هذا القول «كان من الأفضل ألا تعمل هذه الأشياء أبداً عن أن تعملها بتذمر؟ ونحن كثيراً ما فضلنا أن نحرم نفوسنا من خدمات الشخص المدين لنا عن أن نخضع نفوسنا لقرف تذمره. لأن التذمر أمر لا يُحتمل ويفوق التجديف، وإلا لماذا على هؤلاء الناس أن يدفعوا عقوبة هكذا صارمة؟ إن التذمر برهان على عدم العرفان، المتذمر هو غير شاكر لله، ومن هو غير شاكر يصير بالتالي مجدفاً. كانت توجد في ذلك الوقت متاعب متواصلة ومخاطر بلا انقطاع ولم تكن هناك هدنة، بل وكانت هناك فظائع لا تُعدّ تضغط عليهم من

كل جانب، لكننا الآن نحيا في سلام عميق وهدوء تام!

فلمــاذا تتذمــر؟ هل لأنك فقير؟إذاً فكر في أيــوب. هل لأن المرض من نصيبــك؟ فكر أيضــاً في أيوب وما صار إليه في مرضــه الطويل. هل لأن ابنك مات؟ فماذا لو فقدت كل أولادك عن طريق بلية شديدة كما حدث لأيــوب؟ وماذا أقول؟ هل أنت نفســك تلقيت أمــراً بذبح ابنك وتقديمه محرقة مثل رئيس الآباء الطوباوي، فبماذا كنت ستشعر بينما أنت تقيم المذبح وتضع الحطب عليه وتربط الصبي؟

...[1]وبينما كان أيوب يُهاجَم من كل جانب بطوفان مثل هذا حيث هاجت حوله عاصفة مخيفة وغيوم وأمطار وبروق ورياح عاتية، فقد بقى هو غير متأثر، جالســاً وســط هذه الموجة الكبيرة والتي هي هكذا مخيفة وعاتية كما لو كان في هدوء تام، ولم يتفوه أبداً بكلمة تذمر. وهذا حدث قبــل عطية النعمة (في العهد الجديد) وقبل أن يقال[2] أي شــيء يختص بالقيامة والجحيم والعقوبة والنقمة.

أما نحن فإننا نســمع الأنبياء والرســل والإنجيليــين يتحدثون إلينا بأمثلــة لا حصر لها ماثلة أمامنا، وتم تعليمنــا بأخبار القيامة ومع ذلك نضمــر التذمر، مع أنه لا يمكن لإنســان القــول إن بلاياه قد وصلت إلى مستوى بلايا أيوب. لأنه لو فقد واحد ماله لكنه لم يفقد كل بنيه وبناته، أو لــو حــدث له أن أخطأ (ولذلــك يُعاقب)، لكن أيــوب فقد كل بنيه

١- تحدث ذهبي الفم هنا بإســهاب عما عاناه أيوب من أمراض وتعبيرات من زوجته وأصحابه مع أنه إنسان بار، ورغم كل هذا لم يتذمر، وآثرنا الاختصار لأنه هذا الكلام موجود في شرحه لسفر أيوب وقد سبق ترجمته.

٢- يرجح كثير من علماء الكتاب المقدس أن سفر أيوب هو أول سفر كتب في العهد القديم.

وبناته فجأة وفي أثنـاء ذبائحه وعباداته التي كان يقدمها لله (بانتظام). ولو حدث لإنسان أن يفقد كل ما هو له بضربة واحدة، ولكنه مع ذلك لم يُصَب بقروح رديئة في كل جسده، ولا وجد من يوبخه ويؤذي نفسه كأصحابه، الأمر الذي كان أسوأ من كل بلاياه مجتمعة[٣].

لو أننا قلبّنا على الدوام هذه المواضيع في أذهاننا، ولو وزناها جيداً فلا يمكن لداء في هذا العصر الحاضر أن يزعج سلامنا عندما نشخص لهذا الشجاع الذي له نفس من الماس وتلك الروح التي لا تُخترق كالنحاس. إذ هو كما لو كان محاطاً بجسد من نحاس أو حجر، فقابل كل الأحداث بروح نبيلة وعزم ثابت.

لذلك إذ نضع هذه الأمور في بالنا فلنعمل كل شيء بلا تذمر أو جدال. هل أمامك عمل حسن وهل تتذمر؟ ولماذا؟ هل أنت مجبر عليه؟ يقول بولس الرسول (هنا): أنا أعلم جيداً أن كثيرين حولك يدفعونك إلى التذمر. وهذا الأمر أشار إليه قائلاً: «**في وسط جيل معوج وملتو**». لكن ما يستحق الإعجاب هنا هو أننا لا نستسلم لمثل هذه المشاعر عندما نكون واقعين تحت السخط المر. لأن النجوم تنير في الليل وتلمع في الظلام ولا يتأذى بهاؤها بل تلمع بالأكثر، لكن عند مجيء النور لا تعود تلمع هكذا. وهكذا أنت أيضاً تظهر ببريق أعظم عندما تتمسك بالاستقامة في وسط المعوجين. وهذا ما يستحق إعجابنا أن يكون الإنسان بلا لوم، ولقد قرر بولس هذا الأمر مقدماً لكي لا يشددوا على هذا العذر (أنهم كانوا

٣- استرسل ذهبي الفم بعد ذلك في فقرة تبرهن من واقع حال أيوب معنى هذه العبارة ولذلك تم حذفها منعاً للإطالة.

مجبرين على فعل الشرور بسبب الجيل المعوج من حولهم).

ما المقصود بعبارة «**متمسكين بكلمة الحياة**»؟

أي معينين للحياة ومن ضمن الذين يربحون الخلاص.

انظر كيف يلحق الرسول في الحال المكافأة التي في الانتظار.

ما المقصود بعبارة «**كلمة الحياة**»؟

أي لكم بذرة الحياة، عهود (عربون) الحياة. ماسكين الحياة ذاتها، لكم في أنفسكم بذرة الحياة. وهذا هو ما يدعوه «كلمة الحياة» وبالتالي فإن كل الباقين (غير الماسكين بها) أموات.

«**لافتخاري**»

ما هذا؟

فيجيب: أنا أيضاً أشارك في أعمالكم الصالحة. كم هي عظيمة فضيلتكم من حيث إنها لا تنجيكم فقط بل أيضاً تجعلني مشهوراً. إنه نوع غريب من الافتخار أيها الطوباوي بولس فأنت تُجلد وتُطرد وتُشتم من أجلنا. لذلك يضيف قوله «**في يوم المسيح بأني لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً**» (تابع في٢: ١٦).

«**لكنني وإن كنت انسكب**» (في٢: ١٧)

لم يقل الرسول «**وإن كنت أموت أيضاً**» ولم يستخدم أيضاً نفس هذا

التعبير لكنه كتب إلى تيموثاوس قائلاً «**فإني الآن أُسكب سكيباً**».

هــو يعزيهم هنا من جهة موته ويعلّمهم أن يحتملوا بفرح الموت الذي هو لأجل المسيح، فيقول: أنا أصير كما لو كنت تقدمة وذبيحة.

يا لهذه النفس الطوباوية!

تقديمــه لله، يدعوه ذبيحة. (حقاً) إنه من الأفضل أن تقدم نفســاً عن أن تقدم ثيراناً.

يقول الرســول: لذلك إن كان هناك شــيء فوق هذه التقدمة، فإنني أفرح إذ أضيف موتي كتقدمة.

لأن هذا هو ما يشــير إليه عندما يقول «**وإن كنت أنســكب أيضاً** (أي أموت) **على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أسـّر وأفرح معكم. وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معي**» (في٢: ١٧، ١٨).

لماذا تفرح معهم؟

هل ترى أنه يريد أن يُظهر لهم أن من واجبهم أن يفرحوا؟

لذلك من ناحية أنا أفرح لكوني جُعلت تقدمة، ومن ناحية أخرى أنا أفرح معكم لكوني قدمت ذبيحة. وبهذا عينه كونوا أنتم مســرورين أيضاً لأني قُدمت (انسكبت). افرحوا معي أنا الذي أفرح لنفسي.

لذلك فإن موت البار ليس هو موضوع دموع، بل للفرح. لو فرح الأبرار (لموتهم) ينبغي لنا أن نفرح معهم، لأنه ليس من اللائق أن نبكي، بينما

هم يبتهجون.

سيحتج أهل فيلبي: لكننا نشتاق إلى عشرتنا المعتادة معك.

هذا مجرد عذر وحجة، وكون الأمر هكذا، لاحظ ما يوصي به «**كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معي**».

هل تفتقدون عشرتكم المعتادة؟ لو كنتم أنفسكم أيضاً معنيين بالبقاء هنا لكان معكم الحق فيما تقولونه، لكن إن كان بعد فترة قصيرة ستلحقون بمن رحل، فما هي العشرة التي تطلبونها (وتتباكون عليها)؟ لأن الإنسان يفتقد عشرة آخر لو قُطع عنه إلى الأبد، لكن إن كان قد ذهب إلى نفس الطريق الذي سوف تذهب إليه فأي عشرة تشتاق إليها؟ لماذا لا ننتحب على كل من هم مسافرون إلى بلاد أجنبية؟ ألا نتوقف عن البكاء بعد اليوم الأول أو الثاني؟

لو اشتقت إلى عشرتك المعتادة، ابكِ إلى هذا الحد فقط (يوماً أو يومين)، وبولس الرسول يقول: إنه ليس شراً أن أتألم بل أنا أيضاً أفرح في ذهابي إلى المسيح. وأنتم ألا تفرحون (لفرحي)؟ «**افرحوا معي**».

ليتنا نحن أيضاً نبتهج عندما نرى إنساناً باراً يموت وأيضاً نفرح (له) أكثر مما عندما يموت أحد الأشرار المتهورين، لأنه سينال مكافأة أتعابه، لكن قد يقال: ربما كان هذا الشرير سيتغير لو عاش. لكن الله يستحيل أن يأخذ نفساً لو كان لها بالفعل أي توقع في التغيير (نحو الأحسن).

لذلك ليتنا نوقف حدة حزننا ونقطعه وليت صوت النحيب يتوقف

ولنشـــكر الله على كل حال ولنعمل كل شيء بلا تذمر ولنتشجع ولنصبح سبب مسرة لله في كل شيء حتى ننال الخيرات الآتية بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس القوة والمجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظـة التاسـعة

(فيلبي٢ : ١٩-٣٠)

عَلَى أَنِّي أَرْجُو فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ سَرِيعاً تِيمُوثَاوُسَ لِكَيْ تَطِيبَ نَفْسِي إِذَا عَرَفْتُ أَحْوَالَكُمْ. لأَنْ لَيْسَ لِي أَحَدٌ آخَرُ نَظِيرُ نَفْسِي يَهْتَمُّ بِأَحْوَالِكُمْ بِإِخْلاَصٍ، إِذِ الْجَمِيعُ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ لأَنْفُسِهِمْ لاَ مَا هُوَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. (٢ : ١٩-٢١).

لقد قال بولس الرسـول: «**إن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى إن وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية**»، وأيضاً قال: «**لكنني وإن كنت انسـكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته**». وبهذه الكلمات قواهم.

ولربما ظنوا أنه كلماته السابقة قد قيلت لمجرد تعزيتهم، فماذا فعل؟ قال لهم (هنا) إنه يرسـل إليهم تيموثاوس لأنهم اشـتاقوا لسماع كل ما يختـص به. ولماذا لم يقل «**لكي تعرفـوا أحوالي**» بل قال «**لكي أعرف أحوالكـم**»؟ لأن أبفرودتس قد أخبرهم بأحوالـه قبل وصول تيموثاوس. لذلـك بعد قليـل يقول «**ولكني حسـبت من الـلازم أن أرسـل إليكم أبفرودتـس أخي**» (في٢ : ٢٥)، لأني (والكلام لبولس الرسـول) أريد أن

أعرف أحوالكم. لأنه من المحتمل أن أبفرودتس قد بقى فترة طويلة أثناء مرضه. لذلك يقول الرسول «**أريد أن أعرف أحوالكم**».

هنا يُظهر الرسول أنه يلزمهم أن يبتهجوا لقيوده ويتكيفوا معها، لأنها ولدّت فيه بهجة عظيمة، لأن عبارة «**لكي تطيب نفسي**» تشير (ضمناً) كما طابت لكم.

آه!، أي اشتياق كان لبولس من جهة المكدونيين! وهو يظهر نفس الاشتياق لأهل تسالونيكي عندما يقول «**وأما نحن أيها الإخوة فإذ قد فقدناكم ساعة بالوجه لا بالقلب اجتهدنا أكثر باشتهاء كثير أن نرى وجوهكم**» (١تس٢ : ١٧). وهنا يقول «**أرجو أن أرسل إليكم تيموثاوس حتى أعرف أحوالكم**» الأمر الذي هو برهان على الاهتمام الزائد، لأنه عندما لم يستطع هو نفسه أن يكون معهم، فإنه أرسل تلاميذه إذ لم يستطع أن يبقى ولو لوقت قليل بدون أن يعرف أحوالهم. لأنه لم يتعلم كل الأشياء باعلان الروح، وعن هذا يمكن أن نرى سبباً ما، لأنه لو اعتقد التلاميذ أنه يعلم كل شيء بالاعلانات من الروح القدس لكانوا قد فقدوا كل معنى للخزي، لكن الآن نتيجة لعدم المعرفة فقد كان من السهل جداً تقويمهم[1]. و يجذب انتباههم بدرجة عالية بقوله «لكي تطيب نفسي» ويجعلهم أكثر غيرة، لكي عند مجيء تيموثاوس سوف يعرف احوالهم مباشرة منه . ويبدو أنه تصرف شخصياً بطريقة مباشرة عندما أجّل ذهابه

١- هذه الجملة غامضة ولكن يبدو أن معناها أنه حينما يعلم التلاميذ أن بولس لا يعرف دواخلهم يسهل عليهم الظهور أمامه، الأمر الذي يعطيه فرصة لتقويمهم وفي نفس الوقت يخجلون من أنفسهم كلما أشار إلى عيب دون أن يحدد أحداً منهم بالاسم، بينما لو عرفوا أن كل خفاياهم مكشوفة ومعروفة له، لن يتجاسروا على الظهور أمامه، الأمر الذي يجعلهم مع الوقت يفقدون الخزي والتبكيت من ضمائرهم نتيجة الخطايا التي يقترفونها لعدم وجود من يرشدهم ويقومهم.

إلى كورنثوس حتى يتوبوا، لذلك كتب قائلاً «**إني إشفاقاً عليكم لم آت إلى كورنثوس**» (٢كو١: ٢٣)، لأنه محبته ظهرت ليس فقط في إخبارهم بحاله، بل أيضاً في رغبته لمعرفة حالهم، لأن هذا هو دور النفس التي تهتم بآخرين وتعتني بهم وتجاهد دائماً لأجلهم. وفي نفس الوقت أيضاً فقد أكرمهم بإرساله تيموثاوس.

ماذا تقول يا بولس؟ هل سترسل تيموثاوس؟ ولماذا؟ «**لأنه ليس لي أحد آخر نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص**» (في٢: ٢٠).

ألم يكن لديه آنذاك أحد آخر من الذين كانوا معه؟ لا أحد نظيري، أي له اشتياقات (من نحوكم) ويهتم بكم كما أفعل أنا. ويقصد هنا: لا أحد سيختار بسهولة أن يقوم بمثل هذه الرحلة الطويلة لأجل هذا الغرض. فتيموثاوس هو الوحيد معي الذي يحبكم كما أنا. لأني قد أرسلت آخرين، لكن لم يكن هناك أحد مثله. إذاً فهذا هو الاهتمام المشابه أن يحب التلاميذ كما يحبهم المعلم. ويقول الرسول (هنا) «**يهتم بأحوالكم بإخلاص**» أي كأب، «**إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح**» أي يطلبون راحتهم وأمنهم. ونفس هذا الكلام كتبه إلى تيموثاوس.

لكن لماذا يذكر أشياء كهذه؟

ليعلمنا نحن سامعيه ألا نسقط في شيء شبيه، وليعلّم سامعيه (بصفة عامة) ألا يستعفوا من التعب، لأن الذي يسعى لأن يستعفي من التعب لا يطلب ما هو للمسيح بل ما هو لنفسه. ينبغي لنا أن نكون مستعدين

لمواجهة كل تعب وكل ضيقة.

«**وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع الأب خدم معي لأجل الإنجيل**» (في٢ : ٢٢).

وهذا الكلام لا أقوله (أنا بولس) عشوائياً «**فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معي لأجل** (انتشار) **الإنجيل**».

إذاً هو يقدم لهم تيموثاوس لكي يحظى بإكرام جزيل منهم. وهذا أيضاً يفعله عندما يكتب إلى أهل كورنثوس فيقول «**لا يحتقره أحد لأنه يعمل عمل الرب كما أنا أيضاً**» (١كو١٦ : ١٠ ، ١١).

ولم يقل الرسول هذا كاهتمام (زائد) منه بتيموثاوس، بل لكي ينال الذين يستقبلونه مكافأة عظيمة.

«**هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالي حالاً**» (في٢ : ٢٣).

أي عندما أرى موقفي وأية نهاية ستؤول إليها أموري.

«**وأثق بالرب أني أنا أيضاً سآتي إليكم سريعاً**» (في٢ : ٢٤)

لذلك لست أرسله كما لو كنت أنا نفسي لن آتي، بل لكي أتشجع عندما أعلم أحوالكم، ولكي في نفس الوقت لا أكون غير عارف بها.

يقول الرسول «**وأثق بالرب**». انظر كيف يجعل كل الأمور تعتمد على الله ولا يتحدث بشيء من عنده. أي (بتعبير آخر) هذه إرادة الله.

«ولكني حسبت من اللازم أن أرسل أبفرودتس أخي والعامل معي» (في ٢ : ٢٥).

وهو يرسل أبفرودتس أيضاً بنفس التزكية (حرفياً الاستحسانات) كتيموثاوس، لأنه قد امتدح تيموثاوس لسببين: أولاً أنه يحبهم وهذا واضح في قوله «**يهتم بأحوالكم بإخلاص**». وثانياً أنه قد تزكى في الإنجيل.

ولنفس السبب وبنفس المقاييس امتدح هذا الإنسان (أبفرودتس)، وكيف؟

بدعوته أخاً وعاملاً معه. ولم يتوقف عند هذه النقطة بل أيضاً قال «**والمتجند معي**» وأظهر كيف أنه شاركه في أخطاره وشهد له بنفس الصفات التي شهدها لنفسه. لأن عبارة «**متجند معي**» أكثر عمقاً من «**عامل معي**»، لأنه ربما كان قد ساعده في أمور هادئة لكن ليس في الحروب والأخطار، إنما في قوله «**المتجند معي**» شهد له بهذا أيضاً.

«ورسولكم والخادم لحاجتي»

أي أنا أعطيكم من هو لكم، إذ أرسل من هو لكم (ومنكم)، أو ربما الذي هو معلمكم. ويضيف أيضاً أشياء تختص بحبه (لهم) بقوله:

«**إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً. فإنه مرض قريباً من الموت، لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياي أيضاً لئلا يكون لي حزن على حزن**» (في٢: ٢٦، ٢٧).

هنا يهدف بولس الرسول إلى نقطة أبعد موضحاً أن أبفرودتس أيضاً كان يعي جيداً أنه كان محبوباً منهم. وهذا ليس أمراً هيناً من جهة الحب. وبولس يقول: أنتم تعلمون كيف أنه كان مريضاً واغتم لأنه لم يركم بعد شفائه ليزيل الحزن الذي سببه مرضه لهم. وهنا أيضاً يعطي سبباً آخر لإرسال أحد إليهم متأخراً جداً، ليس عن تقصير بل إنه احتفظ بتيموثاوس لأنه لم يكن آخر سواه، وأبفرودتس بسبب مرضه. بعد ذلك يُظهر أن هذا المرض كان طويلاً وصعباً بقوله «**إنه مرض قريباً من الموت**».

انظر كم كان بولس متشوقاً لأن يبعد عن تلاميذه كل هاجس في أن عدم مجيئه لم يكن بسبب أنه ازدرى أو استخف بهم. لأنه ليس ثمة شيء له قوة لأن يجتذب التلميذ نحو معلمه مثل اقتناعه أن اهتمامات معلمه العظمى موجهة له وأنه مملوء غماً لأجله، لأن هذا هو دور المحبة الفائضة.

يقول الرسول «**لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً. فإنه مرض قريباً من الموت**»، ولكن كوني (أنا بولس) لا أقدم عذراً (تافهاً)، اسمع ما يلي ذلك. «**لكن الله رحمه**».

٤- ما تحته خط ورد هكذا في النص الإنجليزي That is, this despondency I now cast off، وغير واضح ترابطه من جهة المتكلم وموقعه في سياق النص.

فماذا تقول أيها الهرطوقي؟ إنه مكتوب هنا أن رحمة الله استعادت وأعادت ثانية من كان على وشك الرحيل (الموت). ولكن لو كان العالم شراً ،فليس من الرحمة أن تترك إنساناً في الشر.

إن إجابتنا للهرطوقي سهلة، لكن بماذا سنجيب المسيحي؟ لأنه ربما قد يسأل ويقول: إن كان لابد للإنسان أن يرحل ويكون مع المسيح وذاك أفضل جداً، فكيف قال بولس هنا إنه قد نال رحمة؟ إنني أسأل لماذا يقول الرسول نفسه «**أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم**»؟

لأنه كما كانت هناك ضرورة له (أن يبقى في الجسد)، كذلك أيضاً كانت هناك ضرورة لهذا الإنسان الذي سيرحل فيما بعد إلى الله بمزيد من الغنى الفائض والدالة الأعظم. وهذا سيحدث فيما بعد (لو بقيت لمزيد من الوقت في الجسد)، حتى لو لم يتم الآن[٢]، لكن ستنتهي تلك النفوس الرابحة (التي كانت تربح وهي على الأرض) بالنسبة لهؤلاء الذين رحلوا إلى هناك.

إن بولس يتحدث في مواضع كثيرة بحسب العادات الشائعة لدى سامعيه وليس دائماً بما يتوافق مع حكمته السماوية، لأنه كان يكلم أُناساً خائفين من الموت، ثم يبيّن أنه كيف أنه قدّر أبفرودتس، ومن ثمَّ يجلب له الاحترام بقوله إن بقاءه كان مفيداً جداً له، وأن الرحمة التي أظهرت لأبفرودتس وصلته هو أيضاً. علاوة على هذا، وبعيداً عن هذا الكلام، فإن الحياة الحاضرة هي خير، وإن لم تكن هكذا، فلماذا يربط بولس

٢- هذه العبارة غامضة والضمير ورد في الإنجليزية it، ومن غير للواضح أن الذي سيتم هنا هل هي الرحمة أم الرحيل من العالم.

بين الموت الذي في غير أوانه وبين العقوبة كما عندما يقول «**من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون**» (١كو١١ : ٣٠). لأن الحياة الآتية ليست هي مجرد أفضل من وضع شرير (الحياة الأرضية)، فإذ أنها (أي الحياة الآتية) ليست (فقط) حسنة، بل هي (أيضاً) أفضل من وضع حسن[٣].

«**لئلا يكون لي حزن على حزن**»

لئلا يكون لي حزن على موته مضافاً إلى الحزن الذي نشأ من مرضه. بهذا يظهر كيف أنه يقدّر أبفرودتس كثيراً.

«**فأرسلته إليكم بأوفر سرعة**» (في٢ : ٢٨).

ما المقصود بأكثر سرعة؟ أي بدون تسويف وبدون تأجيل وبمنتهى السرعة، وأمرته أن يطرح كل شيء جانباً ويمضي إليكم حتى تتخلصوا من الغم، لأننا لا نبتهج عند سماعنا عن صحة من نحبهم بقدر ما يكون عندما نراهم وخصوصاً بالأكثر عندما يحدث الشفاء على عكس التوقع كما كان الحال بالنسبة لأبفرودتس.

«**فأرسلته إليكم بأوفر سرعة حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضاً وأكون أنا أقل حزناً**» (في٢ : ٢٨).

كيف أقل حزناً؟ لأنه لو فرحتم، أنا أيضاً أفرح، وهو (أبفرودتس) أيضاً يفرح لفرحكم، وأنا سأكون «أقل حزناً».

٣- يبدو هنا أن ذهبي الفم يريد القول إن الحياة الآتية هي أفضل من حياة الجسد التي هي حسنة وليست شريرة. أي هي أفضل من شيء فاضل وليست أفضل من شيء شرير.

لم يقل الرسول «بلا حزن» بل قال «أقل حزناً» ليبين أن نفسه لم تخلُ أبداً من الحزن، لأنه هو الذي قال «**من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب**» (٢كو١١ : ٢٩). متى يمكن لمثل هذه النفس أن تكون خالية من الحزن؟ أي أنني قد طرحت الآن هذا اليأس[٤].

«**فاقبلوه في الرب بكل فرح وليكن مثله مكرماً عندكم**» (في٢ : ٢٩).

«**في الرب**»

إما أنه يقصد اقبلوه روحياً وبغيرة كثيرة، أو بالأحرى اقبلوه بما يرضي الرب، اقبلوه بطريقة تليق بقديسين، نحن يجب أن نقبل القديسين بفرح. وكل هذا يفعله لأجلهم وليس لأجل من يرسلهم، لأن فاعل العمل الصالح ينال ربحاً أعظم من الذي تلقى هذا العمل الصالح.

«**وليكن مثله مكرماً عندكم**»

أي اقبلوه كما يليق بقديسين.

«**لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي**» (في٢ : ٣٠).

لقد أُرسل هذا الشخص من قبل مدينة فيلبي، وأنه كخادم لبولس ربما أتى معه ببعض المعونة، لأن بولس يُظهر في نهاية الرسالة أنه أتى إليه أيضاً بمال عندما يقول «**إذ قبلت من أبفرودتس الأشياء التي من**

٤- ما تحته خط ورد هكذا في النص الإنجليزي That is, this despondency I now cast off ، وغير واضح ترابطه من جهة المتكلم وموقعه في سياق النص.

عندكم» (في٤ :١٨). إذاً من المحتمل أن أبفرودتس عند وصوله إلى مدينة روما وجد بولس في خطر عظيم جداً، حتى أن كل من كانوا معتادين أن يترددوا عليه، كانوا عاجزين عن زيارته بأمان، بل إن ترددهم عليه كان يعرضهم للخطر، الأمر الذي كان معتاداً حدوثه أساساً في الأخطار العظيمة والسخط الشديد للملوك (لأنه عندما يستاء الملك من أحد ويُلقي في السجن وتوضع عليه حراسة مشددة، فإن خدامه أيضاً يُمنعون عن الدخول وربما هذا قد حدث لبولس) وأن أبفرودتس لكونه يتميز بالنبل فقد ازدرى بكل المخاطر حتى إنه دخل إليه وخدمه وصنع له كل ما يحتاجه. لذلك قدم حقيقتين بهما حاز احترامهم، الأولى يقول بولس عنها إنه في مخاطرته لأجله جازف حتى قارب الموت، والثانية أنه في معاناته هكذا كان يمثّل مدينتهم، حتى إن مكافأة مجازفته ستُحسب لمدينته كما لو كانت المدينة قد أرسلته كسفير لها، حتى إن نوعاً من القبول والاستحسان لما قد فعله يمكن أن يُدعى بالأولى مشاركة في الأشياء التي تجاسر عليها. وهو لم يقل «من أجلي» بل أضاف تأكيداً أكثر لكلماته بقوله «من أجل عمل المسيح» لأنه عمل ليس من أجلي بل من أجل الله أنه «**قارب الموت مخاطراً بنفسه**» فماذا؟ فإنه بفضل عناية الله لم يمت، مع أنه لم يعتبر حياته شيئاً وعرّض نفسه لأي ألم يمكن أن يحل به في سبيل أن لا يرجع عن خدمتي. وإن كان قد عرض نفسه للموت في سبيل أن يخدم بولس، فكم بالأولى سيحتمل هذا من أجل الإنجيل، أو بالأحرى الموت لأجل بولس هو أيضاً موت لأجل الإنجيل. لذلك ليتنا عندما نرى القديسين في خطر ألا نعتبر حياتنا شيئاً، لأنه يستحيل بدون مجازفة أن نؤدي أي عمل نبيل، لأن الذي يولي اهتماماً

شديداً لأمنه هنا، حتماً سيسقط من الأمن الآتي.

«**لكي يُجبر نقصان خدمتكم لي**» (تابع في٢ : ٣٠).

ما هذا؟ إن المدينة لم تكن حاضرة، لكن بإرسالها أبفرودتس أتمت من خلالـه كل خدمة لي. لذلـك هو جبر (كمّل) نقصان خدمتكم لي، حتى إنه لهذا السـبب أيضاً يستحق أن يتمتع بإكرام جزيل، إذ كل ما يجب أن تفعلوه، قد فعله أبفرودتس نيابة عنكم. وهو يُظهر هنا أن هناك أيضاً خدمة سابقة أدّاها من كانوا يعيشون في أمن لمن كانوا في خطر، لأنه هكذا يتحدث عن النقص ونقص الخدمة. هل ترى روح الرسول؟

إن هذه الكلمات لا تنبعٍ من كبرياء بل من اهتمامه العظيم بهم، لأنه يدعو الأمر «خدمة»، «نقصاً» حتى لا ينتفخوا بل يتضعوا ولا يظنوا أنهم صنعـوا أمراً مـا عظيماً، بل يكون لهم ذهن متضـع. لأننا نحن مدينون للقديسـين بدَينْ ولسـنا نمّن عليهم معروفاً. لأن كما أنه واجب على من هم في سلام ولا يشاركون في الحرب أن يتكفلوا بطلبات من هم في جبهة القتـال (لأنهم يحاربون عنهم)، كذلك الأمر هنـا أيضاً. لأنه لو لم يكن بولس يبشر (بالإنجيل)، من كان سيلقيه في السجن؟

لذلـك يلزمنا أن نخدم القديسـين. لأنه أليس من السـخافة أن نزود الملك الأرضي بكل ما يحتاجه من طعام ولباس، ليس بحسـب احتياجه الشـخصي (فقط)، بل (أيضـاً) بفيض (لجنوده)، بينمـا عندما ينخرط (تابعو) ملك السـموات ويحاربون أعداء أكثر شراسـة جداً (لأنه مكتوب «**مصارعتنا ليست مع لحم ودم**» أف٦ : ١٢) ألا نمده بسرعة بالضروريات؟

أية حماقة هذه؟ يا لهذا الجحود! أي حب دنيء للربح!

لكـن كما هو ظاهر فإن الخوف من الإنســان له تأثير علينا أعظم من خوفنا من الجحيم والعذابات الآتية. لأجل هذا السـبب بالحق فإن كل الأمور انقلبت رأســاً على عقب، لأن الشـئون السياسية تتم يومياً بهمة عظيمــة، ويلزم ألا يُـترك منها أمر دون إتمام، بينمــا لا يوجد أبداً أي اهتمام بالأمور الروحية، بل الأشياء المطلوبة منا عن ضرورة وعن إجبار. كما لو كنا عبيداً ورغماً عن إرادتنا نتمها بهمة شـديدة، بينما تلك التي تُطلـب منا من أذهان راضية وكما من أنـاس أحرار، ففيها أيضاً تقصير وعجز.

لسـت أتكلم ضد الكل بل عن المقصرين من جهة هذه الإمدادات. ألم يكن بإمـكان الله أن يجعل هذه المسـاهمات إجبارية؟ لكنه لم يتصرف هكـذا لأن اهتمامه الأكثر هو لك أكثر من الذين تعضدهم بمعونتك. لذلك هو لم يُردك أن تسـاهم عن ضـرورة (إجبار) إذ آنذاك لن توجد مكافأة، ولكن كثيراً من الواقفين هنا أقل مستوى من اليهود. انظر كم هي عظيمة الأشياء التي أعطاها اليهود: العشور وأبكار الثمار.. وأيضاً عشور أخرى والشـيكل للهيكل واللاويين، ولم يقل كم أشـياء كثـيرة يأخذون، لأنه كلمـا أخذوا أكثر، كلما كانت المكافـأة أعظم. إنهم لم يقولوا (عن رجال الدين) إنهم نالوا الكثير، إنهم شرهون، وهي الكلمات التي أسمعها الآن مـن البعـض. وبينما هم العلمانيين من جانبهم يبنون البيوت ويشـترون العقارات ولا يظنون أنهم عملوا شـيئاً (خطـأ)، لكن لو أن الكاهن لبس ثيابـاً أبهى من المعتاد، وكان له أكثر مما هو ضروري لقوته أو كان لديه

خادم حتى لا يجبر نفسه على التصرف بطريقة لا تليق (في بعض شئونه) فإنهم يعدون هذا من باب الغنى (الذي لا يجوز له)!

إلى أي مـدى سـتمتد حماقتنا؟ ألا يكفي لعقوبتنـا أننا لا نعمل عملاً صالحاً، حتى (حرفياً بل) يلزمنا أن نضيف لها عقوبة الكلام الأثيم؟ لأنه لو كان ما لديه هو من عطاياك فإنك تكون قد خسرت مكافأتك بتوبيخه عما أعطيته له. وبالاختصار لو أعطيته فلماذا توبخه؟ لقد شـهدت لفقره منـذ قليل بقولك إن ماالديه كان مـن عطاياك، فلماذا توبخه (تعايره)؟ . مـا كان لـك أن تعطيه إن كنت قد نويـت أن تتصرف هكذا. لكن هل تتكلم هكذا عندما يعطي آخر (غيرك شـيئاً للكاهن)؟ فهذا بالأولى محزن بالأكثر، لأنه بينما أنت نفسـك لم تعطه، تلوم لأجل الأعمال الحسـنة التـي يقوم بها شـخص أخر. كم مكافآت عظيمة تظن أنه سـينالها من ينطبق الكلام عليهم هكذا؟ إنهم يعانون هكذا من أجل الله. لماذا وكيف؟ لأنهم لو أرادوا لامتهنوا لأنفسـهم أية حرفـة حتى لو كانوا لم يأخذوها عـن أجدادهم. لأني اسمع كثيرين يتحدثون هكذا عشـوائياً عندما نقول إن شـخصاً ما فقير. إنهم يقولون (عن كاهن ما): لو أراد لكان يمكنه أن يصير غنياً. وبعد ذلك يضيفون بسخرية أن أباه وجده (لم يكونا أغنياء)، ولسـت أعلـم (أنا يوحنا) من كان هكذا (حتـى لا يظن أحد أنني أتكلم عليه)، لكن الآن انظر أي رداء يرتدي!

لكـن أخبرني (من فضلك): هل يلزم (للكاهن) أن يخرج عرياناً؟ إذاً أنتم بدأتم بأسـئلة مدققة على هذه النقاط، لكن انظر لئلا تتحدث هكذا ضد نفسـك. واسمع لنصيحة المسـيح القائل «**لا تدينوا لكي لا تُدانوا**»

(مـت٧: ١). كان يمكنـه بالحق لـو أراد أن يمتهن حرفـة أو يعمل في التجارة وما كان بالتأكيد سينقصه شيء، لكنه لم يرد.

ربما هناك من يقول: فماذا ربح هنا؟ أخبرني ما الذي ربحه؟ هل هو يلبس ثياباً حريرية؟ هل هو يشـق طريقـه بافتخار في أحد ميادين روما وسـط جيش من التابعين؟ هل هو يمتطـي حصاناً ؟ هل يبني بيوتاً وهو لديه ما يسـكن فيه؟ لو تصرف هكذا فأنا أيضاً ألومه ولا أشـفق عليه، بـل أعلن أنه غير جدير بالكهنـوت. لأنه كيف يمكنه أن ينصح آخرين ألا ينفقـوا وقتهـم في النوافل ذاك الذي لا يمكنه أن ينصح نفسـه؟ لكن لـو كان لديه مورد كافٍ (يغطـي احتياجاته) فهل هو بذلك يخطئ (لو تصرف هكذا)؟ هل تريده أن يحيا متشـرداً ويشحذ؟ ألست أنت كتلميذ له سـتخزى (من شحاذته)؟ هل لو أن والدك بالجسد تصرف هكذا، أما كنت تظن هذا شـيئاً مخزياً؟ لو أن أباك الروحي أُجبر على أن يتصرف هكذا أما كنت ستخفي رأسك، بل وتعتقد أنك تغوص في الأرض (خزياً). إنه مكتوب «**إهانة الأب هي تعيير للأولاد**» (بن سـير٣: ١١ بحسـب النص). لكن ماذا؟ هل عليه أن يموت من الجوع؟هذا لم يكن يليق بإنسان تقي لأن الله لا يريد هذا.

لكن ما الذي يفلسفوه (منتقدو الكاهن) في الحال؟ إنهم يقولون مكتوب «**لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاسـاً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا**» (مت١٠: ٩، ١٠)، بينما هؤلاء لهم ثلاثة أو أربعة ثياب، وأسرّتهم مفروشة حسناً.

إنني مجبر الآن أن أتنهد تنهيدة مرّة ولو لم يكن لائقاً لبكيت أيضاً ! ولماذا ؟ لأننا نفحص بفضول كثير في قذى الآخرين، بينما لا نفطن إلى الخشب الذي في عيوننا !

أخبرني لماذا لا تقول هذا الكلام لنفسك؟

ستكون الإجابة: لأن الأمر صادر فقط لمعلمينا.

إذاً عندما يقول بولس «**إن كان لنا قوت وكسوة، فلنكتف بهما**» (١تي٦ : ٨)، فهل يقول هذا فقط للمعلمين؟

كلا على الإطلاق، بل يقوله لكل الناس، وهذا واضح لو قرأنا الأعداد السابقة، إذ ماذا يقول «**التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء**» (١تي٦ : ٦، ٧)، ثم أضاف في الحال قوله «**فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة**» (١تي٦ : ٨، ٩).

أنتم ترون أن هذا الكلام قيل للكل وكيف أنه عندما يقول أيضاً «**لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات**» (رو١٣ : ١٤). ألا يقول هذا بصورة مطلقة للكل؟ وماذا عندما يقول «**الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك**» (١كو٦ : ١٣)، أو ماذا عندما يقول «**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية**» (١تي٥ : ٦)، وهو هنا يتحدث عن الأرملة، فهل الأرملة معلّم؟ ألم يقل هو نفسه «**ولكن لست آذن للمرأة أن**

تعلم ولا تتسلط على الرجل» (١تي٢: ١٢).

لأنــه إن كانت الأرملة في العمر المتقدم (والكبيرة تحتاج لرعاية أكثر) وطبيعــة المرأة أيضــاً (لأن جنس المــرأة لكونه ضعيفاً يكــون في احتياج لإنعاش أكثر)، فإن كان حيث هناك التقدم فى السن والطبيعة (الضعيفة) لم يسمح لها الرسول أن تحيا في التنعم، بل أيضاً يقول إنها ماتت، لأنه لم يمنــع مجرد حياة التنعم فقط، بل قــال «**المتنعمة ماتت وهي حية**» وبهذا قطعها، لأن الميتة هي مقطوعة، فأي تســاهل يكون لمن يعمل هذه الأشــياء التي عوقبت عليها أيضاً مــن هي امرأة وفي نفس الوقت متقدمة في السن؟

لكــن لا أحــد يعطي اهتماماً لهذه الأشــياء ولا أحــد يفحصها. وأنا اضطــررت أن أقول هذا الــكلام ليس رغبة مني في أن أخلّص الكهنة من هــذه التهم بل إشــفاقاً مني عليكم. إنهم في الواقــع لم يعانوا أي ضرر على يديك، حتى لو تم اتهامهم عن عدل وحق بكونهم جشعين هكذا في الربح، لأنه سواء تكلمت أو امتنعت فإنهم حتماً سيعطون حساباً للديان، وهكــذا لم تضرهم كلماتك أبــداً. لكن لو أن كلماتك فضلاً عن ذلك كانت غــير صحيحة، فإنهم من جانبهم يربحون من هذه الاتهامات الباطلة، بينما أنتم تؤذون نفوســكم بهذه الوســائل. لكن ليس الأمر هكذا معكم، إذ ســواء كانــت اتهاماتكم صحيحة أو باطلة فإن كلامكم عنهم بالســوء يؤذيكم. وكيف هذا؟ لو أن اتهاماتكم صادقة ففي إدانتكم لمعلميكم وقلبكم للترتيب تفعلون هذا لأذيتكم. لأنه إن كان يجب علينا ألا ندين أخاً فكم بالأولى معلماً. لكن لو كان الاتهام باطلاً، فإن العقوبة والجزاء يكون غير

محتمل لأن «**كل كلمة بطالة ستعطون عنها حساباً**» (مت١٢ : ٣٦). لذلك لأجلكم أنا أتكلم هكذا وأتعب. لكن كما قلت لا أحد (له أن) يستقصي هذه الأشياء، لا أحد يشغل نفسه بها، لا أحد يتشاور مع نفسه عن أي من هذه الأشياء. هل تريدون أن أضيف المزيد؟ يقول السيد المسيح «**من لا يترك جميع أمواله لا يستحقني**» (لو١٤ : ٣٣؛ مت١٠ : ٣٧). وماذا عندما يقول «**عسير على الغني أن يدخل ملكوت السموات؟**» (مت١٩ : ٢٣؛ مر١٠ : ٢٤)، وماذا عندما يقول أيضاً: «**ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم**» (لو٦ : ٢٤). لا أحد يستقصي هذا الكلام، لا أحد يتفكر فيه مع نفسه أو يحفظه، بل كل واحد منا يجلس كمحقق صارم في شئون الآخرين. إنما هم يفعلون هذا ليجعلوا أنفسهم مشاركين في التهم. لكن اسمع، فإنه لأجلك أنا أعفي الكهنة من التهم التي تضعها عليهم، لأن الاقتناء (من جانبك) بأنهم يتعدون ناموس الله يميل بك ميلاناً ليس بقليل نحو الشر. فتعالوا لنفحص الأمر.

قال المسيح «**لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا**» (مت١٠ : ٩، ١٠)، فماذا؟ أخبرني هل تعدى بطرس هذه الوصية؟ بالتأكيد هو تعداها إذ كان لديه منطقة وثياب وحذاء، إذ اسمع لكلمات الملاك له «**تمنطق وألبس نعليك**» (أع١٢ : ٨)، ومع ذلك لم يكن له مثل هذا الاحتياج العظيم للصندل لأنه كان يمكن للإنسان في ذلك الوقت أن يسير حافي القدمين، إذ أن استخدامهم الأهم هو في الشتاء ومع ذلك كان بطرس يلبس صندلاً. وماذا سنقول عن بولس عندما كتب هكذا إلى تيموثاوس «**بادر أن تجيء قبل الشتاء**» (٢تي٤ : ٢١)، إنه يعطيه أوامر

أيضــاً ويقول «**الرداء الذي تركته في تــرواس عند كاربس احضره متى جئت والكتب أيضاً ولاســيما الرقوق**» (٢تي٤ : ١٣). انظر إنه يتحدث عــن الــرداء، ولا يمكن لأحد أن يقول إنه لم يكــن لديه غيره الذي كان يلبســه آنذاك، لأنه لو لم يكن لابســاً رداء على الإطلاق، لكان نافلة أن يأمر بإحضار ذلك الرداء الثاني، وإذ لم يكن من المستحيل أن يكون بدون رداء يلبسه، فمن الواضح أن لديه رداءً ثانياً.

وماذا ســنقول عن بقائه ســنتين كاملتين في بيت اســتأجره لنفســه (أع٢٨ : ٣٠)، فهل عصى هذا الإناء المختار (وصية) المســيح، وهو الذي قال «**أحيا لا أنا، بل المســيح يحيــا فيّ**» (غلا٢ : ٢٠)، والذي بخصوصه شهد المسيح قائلاً «**هذا إناء مختار لي**» (أع٩ : ١٥)؟ ينبغي لي أن أترك لكــم هــذه المعضلة دون أن أقدم أي حل لها. ينبغي لي أن أفرض عليكم هــذه العقوبة لإهمالكم في قراءة الأســفار المقدســة، لأن هــذا الإهمال هو أصل هذه المصاعب. لأننا لا نعرف الأســرار ولم نتدرب في شــريعة الله، ولذلك نصير مُحققــين صارمين في أخطاء الآخرين، بينما لا نعير انتباهاً لأخطائنــا. لذلك ينبغــي لي أن أفرض هذه العقوبة. لكن ما عســاي أن أفعل؟ الآباء يعطون بســخاء لأبنائهم أشــياء كثيرة تفوق ما يليق: عندما تشــتعل عاطفتهم الأبوية إذ يرون أن ابنهم مكســور الخاطر ومستغرقاً في الحزن، فإنهم هم أنفســهم يشــعرون بأوجاع أكثر منهم ولا يســتريحون حتى يزيلوا ســبب غمه. ليكن هذا على الأقل هنا، فتغتمون على الأقل لعدم نوالكم (تفسير المعضلة) حتى تنالوها جيداً. فما هو حل المعضلة؟

إنهم لم يعارضوا الوصية وحاشا لهم أن يفعلوا هذا، بل هم بكل همّة

قد تبعوا وصايا المسيح، لأن تلك الوصايا لم تكن إلا لوقت معين وليس دوماً، وهذا لا أقوله كتخمين من عندي بل من الكتب المقدسة. وكيف هذا؟

يذكر لوقا البشير أن المسيح قال لتلاميذه «**حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء. فقالوا لا**» (لو٢٢ : ٣٥). لكنه أمدّهم بها من أجل المستقبل. إذ أخبرني ماذا يمكنه أن يفعل؟ هل لا يمكن أن يكون لديه إلا ثوب واحد ؟ فكيف هذا؟ هل لو احتاج أن يُغسل هذا الرداء، هل عليه أن يمكث في البيت حتى يُغسل؟ أم هل يليق به أن يخرج بدونه في حالة وجود ضرورة تستدعيه إلى الخروج؟ تخيل ماذا سيكون لبولس الذي دار حول العالم بنجاح منقطع النظير لو كان عليه أن يمكث في البيت لحاجته إلى الثياب وبذلك يتعوق عمله النبيل. وماذا لو حلَّ شتاء عنيف أو انهمر المطر بشدة أو ربما حدث صقيع، كيف يمكنه أن ينشّف ثوبه؟ هل عليه أن يبقى بدونه؟ وماذا لو أن نزلة البرد أعدمت جسده العافية؟ هل عليه أن يهلك من المرض ويكون عاجزاً عن الكلام؟ إذ أسمع ما يقوله لتيموثاوس ليبرهن أنهم لم يكونوا مهيأين بأجساد شديدة الصلابة «**استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة**» (١تي٥ : ٢٣)، وأيضاً عندما يتكلم عن آخر يقول «**حسبت من اللازم أن أرسل لكم رسولكم والخادم لحاجتي**» (في٢ : ٢٥)، «**فإنه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياي أيضاً**» (في٢ : ٢٧). لذلك هم كانوا خاضعين لكل نوع من الأمراض. فماذا؟ هل عليهم أن يموتوا (من المرض)؟ كلا على الإطلاق. فلأي سبب أعطاهم

المسيح هذه الوصية في ذلك الوقت؟ ليبين قوته وليبرهن على أنه في الأوقات السابقة كان قادراً على أن يفعل هذا ولو أنه لم يفعل. لكن لماذا لم يفعله؟ إنهم كانوا مثيرين للإعجاب أكثر من الإسرائيليين الذين لم تبلَ نعالهم ولا ثيابهم بينما كانوا يسيرون عبر تلك الصحراء حيث أشعة الشمس الحارقة جداً التي كانت قادرة على حرق الأحجار أيضاً (انظر تث٢٩ : ٥). فلماذا فعل هذا؟ من أجلكم. إذ حيث إنكم لن تبقوا في الصحة (دوماً) بل تمتلئوا بالأمراض (في بعض الأحيان) لذلك أعطاكم ما يفيد كعلاج. وهذا واضح من الآن. ألم يكن باستطاعته أن يطعمهم؟ هو الذي أعطاك أنت (الأممي) الذي كنت تعاديه، ألا يعطي بالأولى بولس؟ الذي أعطى للإسرائيليين وهم متذمرون وزناة وعابدو أصنام، ألا يعطي بالأولى لبطرس الذي ترك كل شيء لأجله؟ الذي سمح للأشرار أن يمتلكوا كل شيء، ألا ينبغي بالأولى أن يعطي بسخاء ليوحنا الذي ترك كل شيء حتى أباه لأجله؟ لكنه لم يرد هذا، بل إنه يطعمه عن طريقك حتى تتقدس أنت. وانظر لعظم رأفته، فإنه فضّل أن يكون تلاميذه في عوز حتى تنتعش أنت قليلاً.

لأنه لو حررهم من كل عوز لكانوا مثيرين للإعجاب أكثر وممجدين جداً، جداً. لكنه من أجل خلاصك قطع عليهم هذا المجد. إن الله لم يرد أن يكونوا مثيرين للإعجاب حتى تخلص، بل أرادهم بالأحرى أن يكونوا وضيعين. لقد سمح لهم أن يكون لهم اعتبار أقل حتى يمكنك أن تخلص. إن المعلم الذي ينال (احتياجه من تلميذه) لا يُحترم أيضاً، لكن من لا يأخذ احتياجاته من تلميذه هو مكرم بالأكثر. لكن في الحالة

الأخيرة فإن التلميذ لا ينتفع (روحياً) بل يُحرم من ثمرته. هل ترى حكمة الله الذي هكذا يحب الإنسان؟ لأنه كما أنه لم يطلب مجده ولم يكن له اهتمام (حرفياً احترام) لنفســه، بل عندما كان في المجد اختار أن يُهان من أجلك، هكذا أيضاً يكون الحال بالنسبة لمعلميك. عندما كان يمكنهم أن يكونوا مكرمين جداً، فإنه فضّل أن يتعرضوا للهوان من أجلك، حتى يمكنــك أن تنتفع وأن تغتني. لأنه يكون في عوز لأمور هذه الحياة لكيما تغتــني بفيض في الروحيات. فمـع أنه كان بإمكانه أن يجعلهم فوق كل عوز، فإنه أظهر أنه لأجلك سمح لهم أن يكونوا في عوز.

لذلــك إذ نعلم هذه الأمور لنجعل أنفســنا تميل إلى عمل الخير لا إلى توجيه الاتهامات. ليتنا لا نكون أكثر فضولاً من جهة نقائص الآخرين، بل لننتبه لأنفســنا ولنعدد محاســن الآخرين بينما نتذكر نقائصنا وبذلك سنُسر الله. لأن الذي يتطلع إلى نقائص الآخرين ولمحاسن نفسه سيتأذى بطريقتين، بالأخيرة ســينقاد إلى الكبرياء وبالأولى ســتفتر همته ويقع في الغفلة. لأنه عندما يرى أن مثل هذا الإنسان (الكاهن أو غيره) قد أخطأ، فهو نفســه سيســقط بمنتهى الســهولة، وعندما يرى أنــه متفوق في أي شيء، فإنه بمنتهى السهولة (أيضاً) سيصبح متكبراً. الذي يسلّم للنسيان محاســنه ويتطلــع إلى نقائصه فقط، فبينما هو يطلب بشــغف محاســن الآخرين وليس خطاياهم، فإنه ينتفع بطرق كثيرة. وكيف هذا؟

عندما يرى أن مثل هذا الإنسان قد عمل ببراعة، فإنه يرتفع ليقتدي به، وعندما يرى أنه هو نفسه قد أخطأ، فإنه يصير متضعاً. فإن تصرفنا

هكذا ، وإن هكذا دربنا أنفسنا سيمكننا أن نقتني الخيرات الموعودة بنعمة ورأفة ربنا يســوع المســيح الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظـة العاشـرة

(فيلبي٣: ١-٦)

أَخِيراً يَا إِخْوَتِي افْرَحُوا فِي الرَّبِّ. كِتَابَةُ هَذِهِ الأُمُورِ إِلَيْكُمْ لَيْسَتْ عَلَيَّ ثَقِيلَةً، وَأَمَّا لَكُمْ فَهِيَ مُؤَمِّنَةٌ. انْظُرُوا الْكِلاَبَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ[١]. لأَنَّنَا نَحْنُ الْخِتَانَ، الَّذِينَ نَعْبُدُ اللهَ بِالرُّوحِ، وَنَفْتَخِرُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى الْجَسَدِ (٣: ١-٣).

إن الغم والهّم عندما يوتران النفس بطريقة تفوق القدر المعقول، فإنهما يجردانهـا من عافيتهـا الأصلية. ولذلك يريح بولس أهـل فيلبي الذين كانـوا في يأس عظيـم وكانوا مغمومين لأنهم لم يعرفوا كيف كانت الأمور تجـري مع بولس، وهـم كانوا مغمومين لأنهم ظنـوا أن الأمر قد انتهى بالفعل بالنسبة لبولس من جهة الكرازة وبسبب مرض أبفرودتس، ولأجل طمأنتهـم على كل هـذه النقاط قدم لهم بولس هـذه الكلمات «**أخيراً يا إخوتي افرحوا**».

يقول الرسـول: لم يعد هناك سبب للغم. ها أنا أرسل لكم أبفرودتس الذي كنتم حزانى لأجله، وأرسل لكم تيموثاوس، وأنا نفسي سآتي إليكم

١- أي قطع الغلفة، الختان وتشير هنا إلى الذين ينادون بضرورة الختان للخلاص.

والإنجيل ينتشر، فماذا ينقصكم؟ (لذلك) افرحوا!

إنـــه يدعو الغلاطيين «**أولاداً**» له (غلا٤: ١٩)، بينما يدعو أهل فيلبي إخوة له. لأنه عندما يهدف إلى تقويم أي شـــيء أو إظهار حنانه ومحبته (الأبويـــة) فإنه يدعوهم أولاداً، بينمـــا عندما يخاطبهم بإكرام أعظم فإنه يستخدم لقب الإخوة.

«**أخيراً يا إخوتي افرحوا في الرب**» (في٣: ١).

حســـناً أنه قال إنه فرح «**في الرب**» وليس «**بحســـب العالم**» لأن فرح العالم ليس فرحاً. يقول الرســـول: إن هذه المحن التي بحســـب المســـيح تجلب فرحاً.

«**كِتَابَةُ هَذِهِ الأُمُورِ إِلَيْكُمْ لَيْسَـــتْ عَلَيَّ ثَقِيلَـــةً، وَأَمَّا لَكُمْ فَهِيَ مُؤَمِّنَةٌ**[٢]**. أُنْظُرُوا (احذروا) الْكِلاَبَ**» (في٣: ٢، ٣).

هل تلاحظ كيف أنه امتنع عن أن ينصح بشـــيء في البداية؟ بل بعد أن قدم كثيراً من المدح لهم وبعد أن أظهر إعجابه بهم، بعد ذلك ينصح وأيضاً يكرر مدحه. إذ يبدو أن طريقة الكلام هذه صعب عليهم احتمالها إلى حد ما، لذلك فإنه يخفيها من كل جانب.

لكن من هم الذين أسماهم «**كلاباً**»؟

كان يوجد في هذا الموضع بعض ممن لمّح عنهم في كل رسائله على أنهم يهود أدنيـــاء وحقيرون، طامعون في الربح الخبيث ومغرمون بالســـلطة،

٢- أي تجعلكم في مأمن وأمان – تزيدكم ثقة ويقين.

راغبــون في أن يجتذبوا خلفهم كثيراً من المؤمنين ومبشــرون بالمســيحية واليهودية في نفس الوقت، ومفســرون للإنجيل (بآرائهم المنحرفة). وكما أنه لم يكن من السهل تمييزهم آنذاك، لذلك يقول «**انظروا** (أي أحذروا) **الــكلاب**» فاليهود لم يعودوا بعد أولاداً، والأمميون كانوا يُدعون ســابقاً كلاباً، أما الآن فاليهود هم الذين يُدعون هكذا. لماذا؟

لأنــه كمــا كان الأمميون غرباء عن الله والمســيح، فهكذا صار اليهود الآن. وهــو الآن يُظهر وقاحتهــم وعنفهم وبعدهــم اللانهائي عن علاقة البنويــة، أما كون الأمميون كانوا يُدعون ســابقاً «كلاباً» فاسمع ما تقوله المرأة الكنعانية «**نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها**» (مت١٥: ٢٧).

لكن لكي لا يكون لهم هذا الامتياز - إذ أن الكلاب تكون أيضاً عند مائدة أربابها - فإنه أضاف ما يجعلهم أيضاً غرباء بقوله «**احذروا فعلة الشــر**» وهو يقصد: إنهم يعملون لكن لنهايــة رديئة ويعملون عملاً أكثر سوءاً من البطالة وهم يستأصلون ما وضع في ترتيب حسن.

يقول الرسول «**إحذروا القطع**»:

إن طقس الختان كان مهاباً عند اليهود، نظراً لأن الناموس نفســه يُســلّم بهذا حتى أن السبت نفسه كان له اعتبار أقل من الختان، إذ أن السبت كان يُكســر من أجل إجراء الختان، وبينما كان يمكن للســبت أن يُحفظ (أو يُكســر عند الضرورة)، لكن لا يمكن أبداً كسر طقس الختان. ولاحظ مــن فضلك تدبــير الله. فقد وجد أن طقس الختــان كان أكثر مهابة من

السبت من حيث إنه لا يمكن إغفاله أبداً. لذلك إذ أُلغي الختان، فكم بالأولى السبت، لذلك يسميه بولس القطع ولم يقل: إن الختان شر، إنه نافلة، لئلا يصاب الناس بالفزع، بل هو يدير الأمر بحكمة، لا بل بالشيء (نفسه) أيضاً إنما بطريقة أكثر جدية. لكن لم يكن التصرف هكذا في حالة أهل غلاطية، لأن المرض كان مستفحلاً في حالتهم، لذلك لجأ في الحال إلى علاج البتر علانية وبكل جسارة. لكن في هذه (التي لأهل فيلبي) إذ أنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا النوع، فإنه منحهم جزاء اللقب (الختان بالمفهوم الروحي)، وطرح الآخرين (التابعين للختان المادي) فيقول:

«**احذروا القطع لأننا نحن الختان. كيف؟ الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد**» (في٣: ٣).

لم يقل الرسول: نحن اختبرنا الختان المادي والروحي فوجدنا أن الختان الروحي هو الأفضل. لكن حتى لا يسمح للأول أن يشاركه في الاسم، فماذا قال عنه؟ إنه يقول عن الختان (الجسدي) «**قطع**» لماذا؟ لأنهم لا يصنعون شيئاً أكثر من قطع الغلفة. لأنه عندما ما يُعمل لا يكون من الشريعة (التي تكملت في العهد الجديد) فهو لا يكون إلا مجرد قطع للحم. وقد دعاهم هكذا «**قطع**» إما لهذا السبب أو لأنهم كانوا يحاولون تمزيق الكنيسة إلى شطرين، ونحن ندعو الشيء قطعاً لأولئك الذين يعملون هذا عشوائياً وبدون هدف وبدون فطنة. و(كأن) الرسول يقول: لكن إن كان لكم أن تطلبوا الختان فستجدونه بيننا نحن «**الذين نعبد الله بالروح**» أي الذين نعبده روحياً. إذ أجيبوني: أيهما أسمى

بالتأكيـد الروح. لهذا كان الختـان (الروحاني) هو أيضاً أسمى، أو بالأحرى ليس أسمى، بل هو الختان الوحيد (الحقيقي)، لأنه بينما توقف المثـال (الرمز)، عن صواب فإنه يقـرن الثاني عند التقديم، فكتب يقول «**لأنكم ستنزعون غرلة قلوبكم**» (ار٤: ٤). وبنفس الطريقة في رسالته إلى أهل رومية يبطل الختان بقوله «**لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختـان الذي في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختـان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان**» (رو٢: ٢٨، ٢٩). وأخيراً ينزع منه الاسـم ذاته مؤكداً بقوله «ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً» لأن الرمز يُدعى هكذا طالما المرموز إليه لم يأت بعد، ولكن إذ أتى الحقيقي فلم يعد الرمز يحتفظ بعد باللقب. وهو لم يقل «**لأن الختان هو فينـا**» بل قال «**لأننا نحـن الختان**». ولم يقل «**لأن بينهم القطع**» لأنهم هم أنفسهم من الآن في حالة خراب وشر.

يقول الرسول: إن الختان لم يعد يُعمل في الجسد بل في القلب.

ويقـول (أيضاً): «**ولا نتكل على الجسـد. مع أن لـي أن أتكل على الجسد أيضاً**» (في٣: ٣، ٤).

لماذا يدعوه هنا «**اتكال**» و «**على الجسـد**»؟إنه (يقول هذا) بجسـارة وافتخـار ونـبرة عالية . وهو فعل حسـناً إذ أضاف هـذا، لأنه لو كان (بولـس) من الأمميين وأدان الختان وأبطله، وليس فقط الختان بل وكل مـن يتبنـوه، لكان قد بدا أنه حـط من قدره، لأنه (كأممـي) يفتقر إلى

التسلســل الآبائي لليهود، ويكون هو متصرفاً هكذا كمن هو متغرب عن طقوس الختان المهيبة، وكمن ليس له فيها شركة.

لكن رغم كونه مشاركاً فيها (بحكم الميلاد والممارسة) ومع ذلك لامها (ذمّهــا)، لذلك فهو لم يذمها كمن ليس له فيها شــركة، بل كمن يتبرأ منهــا، ليس عن جهل، بــل على الأخص جداً عــن معرفة جيدة بها. بنــاء علــى ذلك لاحظ كيف يقــول أيضاً في رســالته إلى أهل غلاطية إذ ألزمته الضرورة أن يقول عن نفسه أشياء عظيمة، كيف أنه حتى في هذه الظروف لم يُظهر شــيئاً ســوى التواضع، فيقول «**إنكم سمعتم بسيرتي قبــلاً في الديانة اليهودية**» (غلا١ : ١٣). وهنا أيضاً يقول «**إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى**» (في٣ : ٤)، وأضاف في الحال قوله «عبراني من العبرانيين». وقوله «**إن ظن واحد آخر**» يبين الضرورة (التي ألزمته) ويبين أنه لأجلهم قد تكلم. و(لســان حاله) يقول: لو اتكلتم على الجســد، فأنا أيضاً أقول ذلك، ولن أحجم عــن قول هذا (والتذرع به). ولاحظ (هنا) غياب كل خشونة في توبيخاته، بالامتناع عن توجيهها لهم بالاسم، وأنه أعطاهم الفرصة للتراجع.

«**إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد**»

وكان حسناً أنه قال «**إن ظن**» إذ لم يكن لهم مثل هذا الاهتمام بالفعل أو أن هذا الاتكال لم يكن اتكالاً حقيقياً لأن كل شيء (في اليهودية) كان عن ضرورة وليس عن اختيار.

«من جهة الختان، مختون في اليوم الثامن»

يُرسي الرسول أولاً طقس الختان الذي كان مثار افتخارهم الرئيسي.

«من جنس إسرائيل»

لقد أشار بهذين الشيئين أنه لم يكن دخيلاً ولا مولوداً من دخلاء، لأن كونه مختوناً في اليوم الثامن ينتج من هذا أنه لم يكن دخيلاً، وكونه من جنس إسرائيل يثبت أنه لم يكن من أبوين دخيلين. لكن لكيلا تظنوا أنه من جنس إسرائيل كمن هو أتي من العشرة أسباط (المنشقة) لذلك يقول **«من سبط بنيامين»**. لذلك فإنه كان من الجزء المُستحسن، لأن الكهنة أقاموا في الأراضي التي كانت من نصيب هذا السبط.

«عبراني من العبرانيين»

لأنه لم يكن دخيلاً، بل كان منذ القدم من اليهود الوجهاء، لأنه قد يكون من إسرائيل ولكن ليس **«عبرانياً من العبرانيين»**، لأن كثيرين من اليهود كانوا قد أفسدوا نقاوة أصلهم وكانوا غرباء عن لغتهم ومحاطين بأمم أخرى، لذلك فإنه كان يظهر هذا أو يظهر سمو ميلاده.

«من جهة الناموس فريسي» (في٣: ٥)

إنه الآن يأتي إلى الأمور التي تتوقف على إرادته. لأن كونه مختوناً كان أمراً لا دخل له فيه، ولا كذلك كونه من جنس إسرائيل ومن سبط

بنيامين. لذلك حتى ضمن هذه الأمور فقد كانت له مساهمة أعظم ولو أن كثيرين بالفعل قد شاركوه في هذه الأمور[٣].

فأين لنا أن نضع كلمة «بالأولى[٤]» ؟ خصوصاً أنه هنا لم يكن من الدخلاء، فأن يرث عن أجداده منذ القديم كونه من سبط شهير، فهذا أمر لا يتوفر للكثيرين. لكنه يأتي إلى الأشياء التي تتوقف على الإرادة، ففي أي شيء نجده «**بالأولى**»؟

«**من جهة الناموس فريسي. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة**» (في٣: ٥، ٦)

لكن هذا لا يكفي، لأنه يمكن أن تكون فريسياً أيضاً، ومع ذلك غير غيور بالمرة. لكن هذه أيضاً إضافة، فانظر «بالأولى» (في أنه غيرة منه على الناموس قد اضطهد الكنيسة).

«**من جهة البرّ**»

لكن يمكن أن تكون مقداماً أو تتصرف هكذا (باضطهاد الكنيسة) بدافع من الطموح وليس غيرة على الناموس كما فعل رؤساء الكهنة (الذين فعلوا هذا للحفاظ على مراكزهم وما يترتب عليها من امتيازات). لكن هذا الوضع لم ينطبق عليه، بل «**من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم**» (في٣: ٦).

٣- هنا يسود ذهبي الفم القول إنه حتى في الأمور التي لا دخل له فيها وكان يشاركه فيها بقية اليهود من جهة كونه مختوناً وعبرانياً ومن أحد أسباط بني إسرائيل، إلا أنه لكونه فريسياً كان أوفر ومتقدماً عن أترابه في تقليدات آبائه.
٤- يقصد هنا ما ورد في هذا العدد «إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى» (في٣: ٤).

فهو يتساءل: إن كان الأمر من جهة نقاوة تسلسلي السبطي والنشاط والعادات وطريقة الحياة فإنني قد فقت الكل، فلماذا جحدت كل هذه الامتيازات الرفيعة إلا بسبب أنني وجدت أن أمورٍ المسيح أفضل وأفضل جداً؟ لذلك أضاف قوله: «**لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة**» (في٣: ٧).

إن سيرة حياة كهذه منظمة بمنتهى الدقة، وقد بدأها منذ طفولته المبكرة، هذا الأصل النقي الذي له، هذه المخاطر والأتعاب (التي كابدها نتيجة تركه ليهوديته وتقليداتها)، هذا الإقدام؛ كل هذا جحده بولس «**ما كان له ربحاً، حسبه من أجل المسيح خسارة ليربح المسيح**». لكننا لا نزدري حتى بالمال لكي نربح المسيح بل نفضّل أن نخفق في الحصول على الحياة الآتية عن أن نخفق في الحصول على خيرات الحياة الحاضرة، ولكن هذا ليس شيئاً آخر سوى خسارة.

ولنفحص الآن بالتفصيل ظروف الغنى ونرى أنه ليس سوى خسارة مصحوبة بتعب وبدون أي ربح. إذ أخبرني ما المنفعة من تلك الدواليب المملوءة بالملابس الفاخرة وأي خير نربحه من لبسها؟ لا خير، بل نحن فقط الخاسرون. وكيف ذلك؟ لأن الفقير في ملابسه الرخيصة لا يعاني من أيام الحر الشديدة مثلك، بل هو يحتملها أفضل منك لأن ملابسه رخيصة

٥- تحدث ذهبي الفم بعد هذا عن كون الغني حتى في الصيف يلبس كثيراً من الملابس الداخلية ومعطفاً وخلافه، فضلاً عن أنها مكلّفة وتجعله يعرق كثيراً ويتعب، بينما ملابس الفقير بسيطة لا تتعبه. وقارن بين خسائر الغني من جهة الملابس والحلي في التكلفة الغالية على الزوجة والخيول، مع أنها تشجيع اللصوص على السرقة. ثم تكلم عن الحلي والمجوهرات التي تثير الحسد والمكائد والسرقات، وعن بذخ النساء في الإسراف على مواد الزينة والملابس الفاخرة،
عن البيوت الفخمة التي يقيمها الأغنياء بأعمدتها الرخامية وطلاء السقف بالذهب وإقامة التماثيل وغيرها من مظاهر الأبهة والتفاخر والتعالي على الآخرين، ثم أبدى تعجبه كيف يتم التمسك بالترابيات وهي التي لا تنجينا من الموت ولا تدفع عنا المرض ولا تعيد لنا شبابنا! وقد حذفنا هذه الفقرة منعاً للإطالة.

وخفيفة تعطي للجسم راحة أكثر، بينما ليس الأمر هكذا مع تلك الملابس الجديدة، مع أنها أكثر أناقة وروعة من نسيج العنكبوت.. °

أخبرني ماذا ربحت من الغنى؟ سُكراً، نهماً، ملذات معاكسة للطبيعة ومتعددة في أنواعها وهي معذبة أكثر من قسوة السادة!

هــذه هي المنافع التي نربحها من الغنى، ولو كنا مهتمين (بخلاصنا) لكنا قد فزنا بالسماء نفسها كميراث لنا بأموالنا.

ربما قد يقول الغني بناء على هذا الكلام: إذاً الغنى جيد.

ليس الغنى بل إرادة مالك الغنى هي التي تعمل هذا، إذ بسبب أن الإرادة هي التي تعمل هذا، فإنه في مقدور الفقير أيضاً أن يفوز بالسماء. لأنه كما قلت مراراً إن الله لا ينظر إلى كمية العطايا بل ينظر إلى إرادة المعطي. لأنه يمكن أيضاً لمن هو فقير ولم يعط إلا القليل أن يفوز بالملكوت، لأن الله يحتاج منا إلى قدر (من العطاء) يتناسب مع إمكانياتنا، فلا الغنى سيؤمن لنا الملكوت ولا الفقر سيؤدي بنا إلى جهنم، بل هذا يتوقف على الإرادة الحسنة أو السيئة.

لأنه كما أن الصانع يصنع نفس اليد للفأس من الخشب، سواء كان سلاح الفأس من الحديد أو من الذهب أو بالأحرى هو يفعله أفضل بآلة الحديد، كذلك الأمر هنا، فإن الطريق المستقيم للفضيلة يسهل بالأكثر حفظه في حالة الفقر، إذ من جهة الغني نقرأ «**مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله**» (مت١٩ : ٢٤)، لكن لم يصرح

الكتاب بشيء مثل هذا عن الفقر، بل قال العكس تماماً «**بع أملاكك وأعط الفقراء وتعال اتبعني**» (مت١٩ : ٢١)، كما لو كانت عملية التبعية له نابعة من البيع (وحالة الفقر).

لذلك ليتنا لا نهرب أبداً من الفقر كما من شر، لأنه هو الذي يجلب الملكوت. وأيضاً ليتنا لا نسعى أبداً إلى الغنى على أنه خير، لأن المال يسبب هلاك من يسير بغير حذر، بل لنوجه أعيننا نحو الله في كل شيء، وليتنا بحسبما تسخ الفرصة أن نستخدم تلك العطايا التي منحها لنا من قوة جسدية ومال وفير وكل عطية أخرى، لأنه أمر غير طبيعي أن نخدم بهذه الأشياء آخرين، نخدم إبليس، بينما لا نستخدمها لمن خلقنا ونستمد منه كياننا. لكن كيف نجعلها تخدمه؟ بالتأمل في خلائقه ومدحه وتمجيده وسحبها (يقصد العيون) من التحديق في النساء.

هل هو خلق لك يدين؟ احفظهما لتستخدمهما لأجله وليس لصالح الشيطان، ليس بتوظيفهما للسلب والنهب بل للأعمال الصالحة وتنفيذ وصايا الله، بتقديم صلوات حارة وإقامة الساقطين.

هل هو أعطاك أذنين؟ قدمهما له وليس للأغاني الخليعة أو القصص المشينة، بل «**اجعل كل حديثك في شريعة العلي**» (بن سير٩ : ٢٣)، ويقول (ذلك الحكيم) «قف في جماعة الشيوخ ومن كان حكيماً فلازمه (ارغب أن تسمع كل حديث إلهي ولا تهمل أمثال التعقل)» (بن سير٦ : ٣٥).

هل هو صنع فمك؟ ليتك لا تستخدمه فيما يحزن الله، بل رنم به مزامير وتراتيل وأغاني روحية. والرسول يقول «**لا تخرج كلمة ردية من**

أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين» (أف٤: ٢٩)، أي نستخدمه للبنيان وليس للإفساد، للكلمات الطيبة وليس للكلام الشرير والتآمر على الآخرين، بل العكس تماماً.

لقد خلق لك رجلين ليس لتجري إلى فعل الشر بل عمل الصلاح. وخلق لك البطن ليس لتتخمها بالطعام حتى الانفجار، بل لتمارس الحكمة والتعقل. لقد غرس فينا الشهوة (الجنسية) لولادة البنين وليس للزنا والعهارة. وأعطاك الفهم ليس ليجعل منك مجدفاً أو شتاماً، بل لكي تميز ما هو كذب (وتتحاشاه). وأعطانا المال لنستخدمه فيما هو لائق ومناسب، ونفس الشيء ينطبق على القوة (الجسدية). وأسس لنا الفنون لكيما نرتقي بها، لا أن ننفصل بها عن الروحيات، ليس لكي نكرس أنفسنا للفنون المنحطة بل للضروري منها، لكي نخدم خير بعضنا البعض، لا أن نتآمر ضد بعضنا البعض (بواسطة الفنون التي تسبب العثرة والسقوط في الخطية). لقد أعطانا سقفاً ليأوينا من المطر (والبرد) وليس لكي نغطيه بالذهب، بينما الفقير يهلك من الجوع. وأعطانا الملابس لكي تغطينا وليس لكي نستخدمها للتباهي، أو نطرزها بالذهب بينما المسيح يهلك من العري (في شخص الفقير)...[٦]

لنتوقف الآن عن هذه الملاحظات ولنتمسك بما هو حقيقي بالفعل. لذلك أنا أوصيكم أن نقف على الصخر فيثبت قلبنا، حتى نحصل على الخيرات الآتية بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح

٦- نكتفي بهذا القدر لأن كل ما تقع عليه أعيننا وما في داخلنا من إمكانيات أودعها الله فينا لكي نستخدمها للخير وللقريب ولكل من هو في احتياج..

القدس، المجد والإكرام إلى الأبد آمين.

العظة الحادية عشر

(فيلبي٣: ٧-١٢)

لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ . وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. (٣: ٧-٩).

في مجادلاتنا مع الهراطقة يلزمنا أن نتقدم إليهم بأذهان يقظة حتى يمكننا أن ننتبه جيداً (لما يقال). لذلك سأبدأ حديثي الآن من حيث انتهينا أخيراً. وماذا كانت نهاية ذلك الحديث؟

بعد أن عدد بولس الرسول كل افتخار يهودي سواء من جهة مولده أو من جهة ما كان له عن إرادة (غيرته الناموسية الفائقة)، فأضاف بعد ذلك قوله «**لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ**».

هنا يتحفز الهراطقة للهجوم، لأن هذا أيضاً يأتي من حكمة الروح أن ينعش فيهم الآمال في الانتصار فيغريهم بذلك على مباشرة القتال.

لأنه لو كان الكلام صريحاً لكانوا قد تصرفوا هنا كما عملوا في مواضع أخرى إذ طمسوا الكلمات وأنكروا الكتاب عندما لم يستطيعوا أبداً أن ينظروا فيه مواجهة. هم يقولون: إن بولس دعا الناموس خسارة ونفاية، فهو يقول: لم يكن ممكناً أن أربح المسيح ما لم أتجاوز هذه الخسارة. وكل هذه الأشياء حثت الهراطقة على قبول هذا النص ظانين أنه في مصلحتهم (ويخدم أغراضهم)، لكن إذ قد قبلوه، لذلك هو أحاط بهم من كل جانب بشباكه. لأنه ماذا يقولون هم أنفسهم؟

انظروا إن الناموس خسارة ونفاية، فكيف تقولون أنتم أنه من الله؟

لكن هذه الكلمات بالذات هي في صالح الناموس، أما كيف يكون الأمر، فهذا ما سيتضح الآن. لننصت بدقة لكلماته. إنه لم يقل إن الناموس خسارة، بل قال «**إني حسبته خسارة**»، لكن عندما تكلم عن الربح لم يقل «**إني حسبته ربحاً**» بل قال «**ما كان لي ربحاً**»، لكن عندما تكلم عن الخسارة «**أنا حسبته**». وهذا صحيح لأن الأول (الربح) كان طبيعياً هكذا، أما الآخر (الخسارة) فصار هكذا من وجهة نظري.

ويقول (بولس): فماذا؟ هل هو ليس خسارة؟ هو خسارة من أجل المسيح.

وكيف صار الناموس ربحاً؟ إنه لم يكن يُحسب ربحاً (تفضلاً) بل

كان هكـــذا بالفعـــل. إذ انظر كم كان أمراً عظيماً أن تُحضر أناســـاً هم في طبعهم وحوش إلى شكل البشر. لو لم يكن هناك ناموس ما كانت النعمة قـــد أُعطيت. لمـــاذا؟ لأن الناموس صار كنوع مـــن المعابر، لأنه عندما كان يســـتحيل الصعود لأعلى من منخفض عظيم، كان يقام ســـلم. لكن الذي صعد لم يعد بحاجة إلى ســـلم، لكنه لا يزدري بالســـلم بل هو أيضاً ممتن له، لأنه قد وضعه في مثل هذا الوضع (المرتفع) حتى إنه لم يعد يحتاجه. ولكن لأجل هذا الســـبب بالذات، فكونـــه لا يحتاجه (الآن)، يكون من العـــدل أن يعترف بفضله لأنه لم يكن يســـتطيع الطيران (لأعلى بدونه). وهكذا يكون الأمر مع الناموس، فقد قادنا إلى أعلى لذلك كان ربحاً، لكن بالنسبة للمستقبل نحن نعتبره خسارة. كيف؟

ليس لأنه في حد ذاته خســـارة، بـــل لأن النعمة أعظم جداً. لأنه كما الإنســـان الفقير عندما يكون جائعاً، فطالمـــا كانت لديه فضة فإنه يفلت مـــن الجوع، لكن عندما يجد الذهب ولا يُســـمح لـــه أن يحتفظ بالاثنين فإنه يعتبر احتفاظه بالفضة خســـارة ويطرحها بعيداً عنه ويأخذ العملة الذهبية. كذلك هنا أيضاً، ليس لأن الفضة خســـارة (الاحتفاظ بها)، إذ ليســـت خسارة (بل لها منفعتها) بل لأنه يستحيل أخذ الاثنين سوياً إذ يلزم أن يُترك أحدهما.

إذاً الناموس ليس خسارة بل الخسارة هي أن يلتصق الإنسان بالناموس ويهجر المســـيح، ولذلك فالناموس خســـارة (ويجب التخلص منه) عندما يبعدنا عن المسيح. لكن لو أن الناموس قادنا إلى المسيح فلا يعد خسارة. لأجل هذا السبب يقول بولس «خسارة من أجل (فضل معرفة) المسيح»،

فلو كان لأجل المسيح فلم يعد الأمر طبيعياً خسارة. لكن لماذا لا يتيح لنا الناموس أن نأتي إلى المسيح؟ يخبرنا الرسول أن الناموس قد أُعطي لأجل هذا السبب بالذات. فالمسيح هو كمال الناموس وهو الغاية من الناموس. إنه يتيح لنا لو نحن أردنا هذا «**لأن المسيح هو غاية الناموس**». الذي يطيع الناموس يترك الناموس ذاته. إن الناموس يسمح (أي يتيح لنا المجيء إلى المسيح) لو انتبهنا له، لكن لو لم ننتبه فلا يسمح (أو يتيح).

«**بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة**» (في٣: ٨)

إنه يقصد (القول): لماذا أنا أقول هذا عن الناموس؟ أليس العالم حسناً؟ أليست الحياة الحاضرة جيدة؟ لكنها لو جذبتني بعيداً عن المسيح، فإنني أعتبر هذه الأشياء خسارة. لماذا؟ «**من أجل فضل معرفة المسيح ربي**»

لأنه إذ قد ظهرت الشمس، فإنه يكون من العبث والخسارة أن أجلس بجانب الشمعة، لذلك فإن الخسارة تأتي بالمقارنة، بسمو الشيء الآخر. وأنت ترى أن بولس يُجري المقارنة في السمو وليس في اختلاف النوع، لأن الذي هو أسمى، هو أسمى لشيء إلى حد ما من نفس الطبيعة ذاتها. لذلك هو يُظهر ارتباط تلك المعرفة بنفس الوسيلة التي بها يصف السمو من باب المقارنة.

«**الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح**»

ليس واضحاً هنا إن كان يتكلم عن الناموس، لأنه من المحتمل أن يشير بهذا عن أمور العالم الحاضر. لأنه عندما يقول «**ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة**» أضاف بعد ذلك قوله «**بل إني أحسب كل شيء خسارة**».

فمع أنه قال «**كل شيء**» لكنه يقصد الأشياء الحاضرة، وإن أُردت أن يكون الناموس أيضاً من ضمنها، فلن يكون الناموس بهذا أيضاً قد أُهين. لأن النفاية تأتي من الحنطة وقوة الحنطة هي في النفاية، أقصد التبن. لكن كما أن النفاية كانت مفيدة في حالتها السابقة، لذلك نحن نجمعها سوياً مع الحنطة، ولو لم يكن هناك نفاية ما كان هناك حنطة. هكذا يكون أيضاً الأمر مع الناموس.

هل ترى كيف أنه في كل مكان يدعو الناموس خسارة، ليس في حد ذاته بل لأجل المسيح.

«**بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة**» لماذا مرة ثانية؟ «**من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء**»، وأيضاً «**وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح**».

انظر كيف أنه من كل جانب يُمسك بالمسيح كأساس له ولا يسمح أبداً للناموس أن يُشهّر به أو يتلقى ضربة بل يحرسه من كل جانب.

«**وأوجد فيه وليس لي بري الذي من الناموس**» (في٣: ٩)

إن كان الذي له برّ قد ركض إلى هذا البرّ الآخر، بسبب أن برّه لم

يكن شيئاً، فكم بالأولى يركض إليه الذين لا بر لهم؟ وهو حسناً قال «**ليس لي برّي**» أي ليس لي البرّ الذي اقتنيته بالكد والتعب، بل البرّ الذي وجدته من النعمة.

فإن كان الذي هو عظيم جداً قد خلص بالنعمة، فكم بالأولى أنت. لأنه إذ كان من المحتمل أنهم سيقولون إن البرّ الذي يأتي من الكد هو أعظم، فهو يظهر أنه نفاية مقارنة بالآخر. وإلا ما كنت أنا المتفوق في برّ الناموس قد طرحته عني وأسرعت إلى الآخر. لكن ما هو البرّ الآخر؟

«**البرّ الذي من الله بالإيمان**»

أي أنه أيضاً مُعطى من الله. هذا هو بر الله وهو في جملته عطية (من الله)، وعطايا الله تفوق جداً تلك الأعمال الصالحة عديمة القيمة والتي تأتي من اجتهادنا.

لكن ما معنى «**بالإيمان لأعرفه**[1]»؟

إذاً فالمعرفة تأتي من خلال الإيمان وبدون إيمان يستحيل معرفته (أي معرفة الله).

لماذا وكيف؟

عن طريق الإيمان يلزمنا أن نعرف قوة قيامته، لأن أي برهان يمكنه

١- إن كلمة «بالإيمان» تعود على البرّ كما هو وارد في كل النصوص الحديثة، لكن النص اليوناني في المخطوطات القديمة المنسوخة يدوياً كان يصعب منه ملاحظة هذا لأن الجمل متسلسلة بدون نقط أو ترقيم، وإذ لم يلاحظ ذهبي الفم هذا ولإحساسه بالصعوبة اللغوية في القواعد ربطها بالآية التي تليها وخرج منها بقول أشياء ملفتة جداً للأنظار.

أن يوضح لنا القيامة؟ لا شيء بل بالإيمان فقط. لأنه إن كانت قيامة المسيح الذي كان بحسب الجسد تُعرف بالإيمان، فكيف يمكن لولادة الله الكلمة (من الآب) أن تُدرك بالعقل؟ لأن القيامة هي أقل من الولادة (في تقبل الإنسان لحقيقتها) لماذا؟ لأنه كانت توجد أمثلة كثيرة للقيامة لكن لم توجد أبداً أمثلة للولادة، لأن أمواتاً كثيرين قاموا قبل المسيح ولو أنهم ماتوا ثانية بعد قيامتهم، لكن لم يولد أحد قط من عذراء. فإن كان يلزمنا أن ندرك بالإيمان ما هو أقل من الولادة بحسب الجسد فكيف يمكننا أن ندرك بالعقل ما هو أعظم وغير محدود وعظمته لا تُقارن ؟

هذه الأشياء تصنع البرّ، ويلزمنا أن نؤمن أنه كان قادراً على عمل هذا، أما كيف كان قادراً فهذا لا يمكن برهنته. لأن شركة آلامه هي من الإيمان. لكن كيف؟ إن لم نؤمن فلن نتألم (معه): إن لم نؤمن أنه «**إن كنا نصبر معه فسنملك أيضاً معه**» (٢تي٢: ١٢) فلن نعاني الآلام (معه). كلاً من الولادة والقيامة يُدركان بالإيمان. هل ترى أن الإيمان يلزم أن لا يكون مطلقاً عن طريق الأعمال الصالحة، لأن الذي يؤمن أن المسيح قد قام هو الذي بطريقة مماثلة يقدم نفسه للمخاطر، هو الذي له شركة في آلامه. لأن الذي له شركة مع الذي قام ثانية، مع الذي يحيا، فإنه من ثمَّ يقول:

«**وأوجد فيه وليس لي برّي الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح، البرّ الذي من الله بالإيمان. لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته. لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات**» (في٣: ٩-١١).

إنه يقول «**جُعلت متشبهاً بموته**» أي لي شركة (فيه) وبينما هو تألم من الناس، هكذا أنا أيضاً. لذلك قال «**متشبهاً بموته**». وفي موضع آخر يقول «**وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي**» (كو١ : ٢٤) أي أن هذه الاضطهادات والآلام ترسم صورة موته، لأنه لم يطلب ما هو له بل طلب خير الكثيرين.

لذلك فإن الاضطهادات والضيقات والشدائد لا ينبغي أن تزعجك، بل يجب أن تسعدك أيضاً لأن عن طريقها نحن «**نتشبه بموته**». كما لو كان قد قال إنها تشكلنا لشبهه، كما يقول في موضع آخر حيث كتب «**حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع**» (٢كو٤ : ١٠). وهذا أيضاً يأتي عن إيمان عظيم. لأننا لا نؤمن فقط بأنه قام بل إنه بعد قيامته أيضاً كانت له قوة عظيمة، لذلك نحن نسير على نفس الطريق التي سار فيها، أي نحن نصير إخوة له في هذا الأمر أيضاً، كما لو كان بولس قال إننا مسحاء (جمع مسيح) في هذا الأمر. يا لهذه الكرامة العظيمة التي للآلام. نحن نؤمن أننا نصير «**متشبهين بموته**» من خلال الآلام!

لأنه كما في المعمودية نحن «**دُفنا بشبه موته**» كذلك هنا نتشبه بموته. هناك قال عن حق «**شبه موته**» (رو٦ : ٤، ٥) لأنه هناك لم نمت تماماً، لم نمت في اللحم الذي للجسد بل متنا للخطية. إذ كان هناك حديث عن موت وموت، لكن هو مات في الجسد بينما نحن متنا للخطية. وهناك مات الإنسان الذي أخذه، والذي كان في جسدنا، لكن هنا إنسان الخطية (هو الذي مات). لأجل هذا السبب يقول «شبه موته» لكن هنا لم يعد شبه موته بل موته ذاته. لأن بولس في اضطهاداته لم يمت بعد للخطية

بل في ذات جسده، لذلك فإنه قد عانى نفس الموت.

«**لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات**»

مــاذا تقول يا بولس؟ كل الناس ســيكون لهــم نصيب في هذه القيامة «**لأننا لن نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير**» (١كو١٥: ٥١)، والكل لن يشارك فقط في القيامة، بل أيضاً في عدم الفســاد وإن كان، البعض على ســبيل الإكرام والبعض الآخر كوســيلة للعقوبة. لذلك إن كان الكل سيشارك في القيامة وليس في القيامة فقط بل أيضاً في عدم الفســاد، فكيف قال بولس «**لعلي أبلغ**»؟ كما لو كان مزمعاً أن يشارك في شيء خاص؟

يقول الرســول «لأجل هذا الســبب أحتمل هذه الأشياء لعلي أبلغ إلى قيامــة الأموات، لأنه إن لم تمت فلن تقوم. فمــاذا يكون هذا؟ يبدو هنا أنه يشير إلى شيء عظيم. كان هذا الشيء عظيماً جداً حتى إنه لم يجرؤ على طلبه علانية، بل قال «لعلي».

إنــني آمنت به وبقيامته بل وأكثر من هذا فأنا تألمت لأجله، لكن أنا عاجز عن أن أكون واثقاً فيما يخص القيامة.

أية قيامة يذكرها هنا؟ تلك التي تقود إلى المسيح نفسه.

أنا قلت إنني آمنت «**به وبقوة قيامته**» وأنا «**متشــبهاً بموته**». لكن بعد كل هذه الأشــياء أنا لســت واثقاً أبداً، كما قال في موضعٍ آخر «**إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط**» (١كو١٠: ١٢)، وأيضاً قوله «**لئلا بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً**» (١كو٩: ٢٧).

«ليس إني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع» (في٣: ١٢).

ما المقصود بعبارة «**قد نلت**»؟

إنه يتحدث عن المكافأة، لكن إن كان وهو الذي عانى مثل هذه الآلام، وإن كان قد أُضطهد وكان «**يحمل في جسده إماتة الرب يسوع**» (٢كو٤: ١٠)، ومع ذلك لم يكن واثقاً هكذا من جهة القيامة، فماذا يمكننا أن نقول نحن؟

ماذا تعني عبارة «**لعلي أدرك**»؟ ما قاله من قبل «**لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات**». إنه يقول: لو أدركت قيامته، أي لو كان بمقدوري أن أدرك أشياء عظيمة هكذا، لو كان يمكنني أن اقتدي به، لو كان بمقدوري أن أصير متشبهاً به. فمثلاً المسيح عانى أشياء كثيرة، فقد بُصق عليه وضُرب وجُلد وأخيراً عانى الآلام التي نحن نعرفها. هذا هو المسار كله. خلال كل هذه الأشياء يلزم للناس أن يحتملوا الصراع (الجهاد) كله، وهكذا يأتون إلى قيامته. أو هو يقصد هذا: إن كان يُظن أنني جدير أن أدرك القيامة المجيدة والتي هي مسألة ثقة، لكي أدرك قيامته. لأنه إن كان بإمكاني أن احتمل كل الصراعات (الجهادات)، سيكون بإمكاني أيضاً أن تكون لي قيامته وأن أقوم بمجد. وهو (كأنه) يقول: لأنني لست إلى الآن جديرا بها، «**ولكني أسعى لعلي أدرك**». إن حياتي لا تزال حياة نضال، وأنا لازلت بعيدا عن النهاية، أنا لازلت بعيداً عن الجعالة، أنا لازلت أركض، لازلت أجدّ (في طريقي).

لم يقل الرسول: «**أنا أركض**» بل قال «**أنا أسعى**» لأنكم تعلمون بأي اجتهاد يسعى الإنسان. فهو لا يرى أحداً بل يطرح بعنف شديد كل ما يعترض سعيه. وهو يجمع كل ذهنه ونظره وقوته ونفسه وجسده ولا يتطلع لشيء آخر سوى للجعالة (الجائزة).

لكن لو أن بولس الذي هكذا سعى وقد احتمل آلاماً كثيرة جداً، ومع ذلك يقول «لعلي أبلغ» فماذا نقول نحن الذين تراخينا عن بذل الجهد؟

ثم لكي يبين أن الأمر هو دَينْ يقول «**الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع**». إنه (كما لو كان) يقول: أنا كنت في عداد الهالكين وكنت ألهث قريباً من الموت ولكن الله أدركني. لأنه تعقبنا بكل همة عندما هربنا منه. لذلك يشير إلى كل هذه الأشياء، لأن الكلمة «**أدركني**» تبين همة من يرغب في إدراكنا، ونفورنا الشديد منه، وتبين شرورنا وهروبنا منه.

لذلك نحن مطالبون بَدين هائل ولا أحد منا يحزن، لا أحد منا يبكي، لا أحد يئن والكل قد رجع إلى حالته السابقة، لأنه كما قبل ظهور المسيح، نحن هربنا من الله، كذلك الآن أيضاً. لأنه يمكننا أن نهرب من الله، ليس من حيث المكان فهو موجود في كل مكان، واسمع النبي يقول «**أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب؟**» (مز١٣٩: ٧) فكيف يمكننا أن نهرب من الله حتى لو أمكننا أن نكون بعيدين عنه؟ والمزمور يقول «**البعداء عنك يبيدون**» (مز٧٣: ٢٧)، وأيضاً «**آثامكم صارت فاصلة بيني وبينكم**» (إش٥٩: ٢)، فكيف يمكن أن

يأتــي هذا البعد وكيف يمكن أن يأتــي هذا الفصل؟ إنه يأتي في الهدف وفي النفس، لأنه لا يمكن أن يكون مكانياً. لأنه كيف يمكن الهروب ممن هــو موجــود في كل مكان؟ لكن الخاطئ يهرب، وهــذا ما يقوله الكتاب «**الشرير يهرب ولا طارد**» (أم٢٧ : ١). إننا نهرب من الله بكل همة مع أنه دائماً يجدّ في إثرنا. لقد أسرع الرسول لكيما يكون بالقرب منه ونحن نسارع لكيما نكون بعيدين عنه!

أفليســت هذه الأشــياء جديرة بالنحيب؟ أليست جديرة بالبكاء؟ إلى أين تهرب أيها الإنســان التعيس والبائــس؟ وإلى أين تهرب من حياتك وخلاصــك؟ إن هربت من الله فإلي من تلجأ؟ إن هربت من حياتك فمن أين ستعيش بعد ذلك؟ لنهرب (بالأولى) من عدو خلاصنا! عندما نخطئ نحن نهرب من الله، نصير كهاربين ونرحل إلى بلد أجنبية كمن استنفذ كل خيراتــه التي ورثها عن أبيه ورحل إلى بلد غريب، وكمن أضاع كل ثروة أبيه وعاش في عوز. نحن أيضاً لدينا ثروة من أبينا (السماوي)، وما هــي؟ لقد حررنا من خطايانا وأعطانا مجانــاً قوة لعمل الفضيلة وأعطانا مجانــاً الاســتعداد (لعمل الخير) والصبر، وأعطانــا مجاناً الروح القدس في معموديتنا، فإن أضعنا كل هذه الأشــياء ســنصير في عوز. لأنه كما أن المرضــى طالمــا هم محمومون لا يمكنهم القيام (من ســريرهم) أو عمل أي شــيء، لكن لو حررهم أحد من المرض وأعاد لهم الصحة، فإن لم يعملوا آنذاك (واجباتهم) فهذا يكون نابعاً من تكاسلهم، هكذا أيضاً يكون الأمر معنا، لأن المرض كان شــديداً والحرارة مرتفعة جداً. ونحن غير راقدين على فراش بل قابعين في الشــر ذاته، والأرواح الشريرة تحيط بنا ورئيس

هذا العالم يستهزئ بنا ويهاجمنا، وابن الله الوحيد أتى وأرسل إشعاع حضوره وبدد الظلام في الحال. الملك الذي هو على عرش أبيه أتى إلينا وترك عرش أبيه. وعندما أقول ترك، لا تفكر في أي ابتعاد لأنه يملأ السموات والأرض، بل أتكلم عن التدبير، لقد أتى إلى عدو، إلى من يكرهه وأبعد نفسه عنه، إلى من لا يستطيع احتمال رؤيته ومن يجدف عليه كل يوم. ورآه (ابن الله) راقداً على المزبلة والدود يأكله ومُصاباً بالحمى والجوع وكل أنواع الأمراض، لأن الحمى ضايقته التي هي الشهوة الشريرة والالتهاب الذي هو الكبرياء يطبق عليه، والجوع المسعور يُمسك به الذي هو الطمع، والقروح المتقيحة التي هي الزنا تحيط به من كل جانب، وعمى العيون الذي هو عبادة الأصنام، والصمم والجنون التي هي السجود للأصنام والأحجار. وهو رآنا نتحدث بحماقة أكثر من المجانين وندعو الصنم إلهنا وبالمثل الأحجار، ومع أنه رآنا في مثل هذا الذنب العظيم، لكنه لم يرذلنا ولم يسخط علينا أو يبتعد عنا ويكرهنا، لأنه هو الرب ولا يقدر أن يكره خليقته.

لكن ماذا يفعل؟ إنه كطبيب ماهر جداً أعد أدوية غالية الثمن وهو نفسه ذاقها أولاً. لأنه هو نفسه سعى أولاً إلى الفضيلة وهكذا أعطاها لنا. وهو نفسه أعطانا الغسيل[٢] (الحميم) كترياق وهكذا تقيأنا كل ذنوبنا وكل الأشياء (الدنسة) هربت في الحال وتوقف التهابنا وانطفأت الحمى فينا وبُرئت قروحنا. لأن كل الشرور التي من الطمع والغضب وكل الباقي منها انقشع وتبدد بواسطة الروح، وانفتحت أعيننا وآذاننا ونطق لساننا

٢- هنا يشير إلى (تي٣:٥) «خلصنا بغسل الميلاد الثاني».

بكلمات مقدسة واستعادت نفوسنا قوتها واستعاد جسدنا جماله وبهاءه.

وآسفاه كم من نبل عظيم أسبغه هو علينا (ونحن نلفظه)!

لقد ولدنا وغذّانا فلماذا نهرب ثانية من المحسن إلينا؟ إذاً هو الذي عمل كل هذه الأشياء (الخيرات) وأعطانا أيضاً القوة، لأنه كان يستحيل لنفس أحناها المرض أن تقوم منه، لكنه هو نفسه أعطانا القوة و غفران الخطايا. ونحن بددنا كل شيء. لقد أعطانا قوة ونحن أضعناها، هو أعطانا نعمة ونحن أطفأناها، وكيف؟ نحن استهلكناها في غير اللائق واستخدمناها في غرض غير مفيد. هذه الأشياء قد دمرتنا، وما هو أسوأ من كل هذا، أنه ونحن في بلد غريب ونأكل الخرنوب لا نقول: لنعد إلى أبينا ونقول له: أخطأنا إلى السماء وإليك (لو١٥: ١٨)، بينما لنا أب محب هكذا ويشتاق جداً لعودتنا.

لو أننا فقط سنعود إليه، لن يحتمل أبداً أن يلومنا عن أعمالنا السابقة. يكفينا أن نعتذر حتى نرجع إليه. وهو لن يلومنا فقط بل لو أن آخر تصرف هكذا (يقصد الأخ الأكبر في مثل الابن الضال) فسيوقفه عن الكلام، مع أن الذي يتهمنا سمعته جيدة.

لذلك فلنعد إليه!

إلى متى سنظل واقفين بعيداً؟ ليتنا ندرك خزينا، ليتنا نشعر بدناءتنا. إن الخطية تجعلنا خنازير وتجلب المجاعة للنفس. فلنعد إلى أنفسنا، ولنكن يقظين ولنعد إلى ميلادنا السابق عالي القدر حتى نحصل على

الخيرات الآتية في المسـيح يسـوع ربنا الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والإكرام الآن وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثانية عشر

(فيلبي٣: ١٣-١٧)

أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئاً وَاحِداً: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ. أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (٣: ١٣، ١٤).

لا شـــيء يجعل أعمالنا الممتازة بالحق باطلة ويفســدها، مثل تذكرنا لأعمالنا الحسنة التي صنعناها، لأن هذا التذكر يسبب شرّين أولهما أنه يجعلنا متهاونين وثانياً يرفعنا إلى الكبرياء. لذلك انظر كيف أن بولس إذ هو يعلم أن طبيعتنا سهل عليها جداً الجنوح إلى التهاون، فمع أنه امتدح أهل فيلبي جداً، فإنه الآن يخضع أذهانهم لأشياء كثيرة أخرى سابقة، وبالأكثر لكلماته الحالية. وما هي هذه الكلمات؟ «**أيها الإخوة أنا لســت أحسب نفسي أني قد أدركت**».

لكن إن كان بولس لم يدرك بعد ولم يكن واثقاً من جهة القيامة وأمور آتية، فمن العسير أن يدرك هذا من لم يحوزوا على أقل جزء من عظمته. (ويقصد القول) أي أعتبر نفســي أنــني إلى الآن لم أدرك كل الفضائل، كما لو كان (هو) يتحدث عن عدَّاء (متســابق في الجري). يقول الرسول:

إلى الآن لم أكمل الكل (كل الفضائل). وإن كان في موضع آخر يقول «**قد جاهدت الجهاد الحسن**» (٢تي٤ : ٧)، لكنه يقول هنا «**أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت**» وكل من يقرأ بحرص شديد سيعلم جيداً سبب تلك الكلمات وأيضاً سبب الكلمات موضوع حديثنا الآن (لأنه لا يلزم أن تمكث دوماً عند نفس النقطة)، لقد قال هذه الكلمات في تاريخ متقدم جداً، أما الكلمات الأخرى فقد قالها قرب نياحته. وهو يقول: ولكني مشغول بشيء واحد فقط وهو «**أن أمتد إلى ما هو قدام**». لكنه يقول «**أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض**» لأجل دعوة الله العليا في المسيح يسوع. لأن ما جعله يمتد إلى ما هو قدام هو أن ينسى ما هو وراء. فالذي يظن أن كل شيء قد أُنجز وأنه ليس في عوز إلى شيء لأنه قد أتقن الفضيلة، قد يتوقف عن السعي كأنه أدرك كل شيء. لكن الذي يظن أنه لا يزال بعيداً عن الهدف لن يتوقف أبداً عن السعي. لذلك ينبغي أن نضع هذا في اعتبارنا حتى لو صنعنا عشرة آلاف عمل صالح، لأنه إن كان بولس بعد عشرة آلاف ميتة وبعد مخاطر عديدة جداً يعتبر هذا، فكم بالأولى ينبغي لنا نحن أن نعتبر هذا؟ وهو يقول: لأنني لن أخور مع أنني لم أربح بعد سعياً كثيراً كهذا ولا أيأس بل لازلت أركض ولا زلت أسعى. شيء واحد فقط أضعه في اعتباري وهو أن أتقدم بالحق. هكذا ينبغي لنا أن نتصرف، وينبغي لنا أن ننسى نجاحنا ونطرحه خلفنا. وأيضاً ينبغي لنا أن لا نحسب إلى أي مدى نحن تقدمنا في الفضيلة، بل كم يتبقى لنا (لنصل إلى الجعالة). لأنه ماذا يفيدنا الذي أتممناه إن كان ما يتبقى لم يُضف إليه؟

وعــلاوة على ذلك لم يقل: إني لا أحســب، بل قــال إني ولا حتى أتذكره. لأنه هكذا نصير نشــطاء عندما نســتخدم كل مهارتنا فيما بقي، عندما نسهو عن كل شيء آخر عداه. يقول الرسول: أمتد إلى ما هو قدام. قبل أن نصل، نحن نســعى للحصول (على ما نود الحصول عليه). لأن الــذي يمتد إلى الأمــام – رغم أن قدميه تركضان – لكنه يســعى لكي يسبقهما ببقية جسده، ممتداً بنفسه نحو الأمام وممتداً بيديه حتى يحقق المزيد من الســعي. وهذا ســيأتي من اشــتياق عظيم ومن حرارة شديدة، وهكذا يركض المتســابق بهمة عظيمة وبمنتهى النشــاط وبدون تكاســل. والفرق بيننا وبين بولس هو كالفرق بين من يركض ومن هو مستلقي على ظهره. إنه كان يموت يومياً ومزكّى لدى الله يومياً ولم يكن هناك وقت لم يتقدم فيه في سعيه. إنه لم يرغب في أخذ بل في انتزاع الجعالة (أي نوال الجائــزة عن جدارة) لأنه بهذه الطريقة (فقط) يمكننا أن نأخذها. فالذى يعطــي الجعالة يقف في العــلا، والجعالة (ذاتهــا) موضوعة في العلا!. (ولذا) أنظر كم هي عظيمة المسافة التي يلزمنا أن نركضها!

أنظــر كــم هو عظيم هذا الصعود! يلزمنــا أن نطير إلى هناك بأجنحة الروح وإلا يســتحيل علينا أن نصعد إلى هذا العلو! يلزمنا أن نمضي إلى هناك بالجســد، لأن هذا أمر مســموح به «**لأن ســيرتنا** (موطننا) **هي في السموات**» (في٣: ٢٠)، حيث توجد هناك الجعالة (الجائزة).

هل ترى كيف أن العدائين يعيشــون بقانون، وكيف أنهم لا يلمسون شيئاً من شأنه أن يرخي قوتهم، وكيف أنهم يدربون أنفسهم كل يوم في مدرســة الألعاب وتحت إشــراف مدرب وبقانون؟ اقتدِ بهم أو بالأحرى

أظهر همّة أعظم لأن الجعالة ليست متساوية في كلتا الحالتين: كثيرون هم الذين يعوقونك فعش بترتيب،كثيرة هي الأشياء التي تُرخي قوتك، فاجعل أقدام قوتك نشيطة، لأنه يمكننا أن نفعل هذا، وهو أمر لا يأتي طبيعياً بل بإرادتنا. ليتنا نجعل أقدامنا خفيفة لئلا ثقل أشياء أخرى يعوق سرعة أقدامنا. علّم قدميك أن تكونا واثقتي الخطى، لأنه توجد أماكن لزجة كثيرة وإن سقطت فإنك ستخسر في الحال كل شيء. لكن إن سقطت قم ثانية، إذ بهذا يمكنك أن تحرز النصر. لا تسعَ إلى أشياء لزجة وأنت لن تسقط، امش على أرض ثابتة ورأسك منتصبة وعيناك مرفوعتان، فهذه الوصايا يعطيها المدربون لمن يركضون. وهكذا تشتد قوتك، ولكن إن انحنيت ستسقط وتتراخى. انظر إلى فوق حيث الجعالة موجوده، فمنظر الجعالة يزيد من تصميم إرادتنا. إن رجاء أخذها لا يسمح لنا أنْ ندرك الأتعاب ويجعل المسافة تبدو أقصر. وما هي هذه الجائزة؟ إنها ليست سعف نخيل، بل ماذا؟ هي ملكوت السموات، أن نبقى ونتمجد مع المسيح وهي الميراث والأخوّة له وخيرات أخرى كثيرة جداً يستحيل تسميتها. إنه يستحيل وصف جمال هذه الجائزة، والذي أخذها هو فقط الذي يعرفها، وأيضاً الذي على وشك أن ينالها. إنها ليست من الذهب وليست مرصعة بالجواهر بل هي أثمن جداً من كل هذا. إن الذهب هو طين بالمقارنة إلى هذه الجائزة، والحجارة الكريمة هي مجرد حجارة طَفْلية بالمقارنة إلى جمالها. لو كان لك هذه الجائزة ورحلت إلى السماء سيمكنك أن تسير هناك بكرامة عظيمة والملائكة سيجّلونك عندما تحمل هذه الجائزة وستقترب منهم بثقة.

«في المسيح يسوع» (في٣ : ١٤)

انظـر إلى تواضـع ذهنه فهو يقول «**هـذا أنا أفعله في المسـيح**» لأنه يسـتحيل بدون دفعة منه أن أعبر مثل هذه المسـافة، فنحن نحتاج إلى عـون عظيم من حليف قـوي. إنه يريدك أن تجاهد تحت، وهو يكللك فـوق. ليس كما في هـذا العالم، فالإكليل ليس هنـا حيث الجهاد، بل الإكليـل هنـاك في ذلك المـكان البهي. ألا ترى حتى هنـا فإن المكرمين من المصارعين والفائزين في سـباق الخيل لا يكللون في الميدان أسفل، بل يسـتدعيهم الملك ويتوجهم هناك؟ وهكذا أيضاً هناك في السموات ستنال الجائزة.

«فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وإن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً» (في٣ : ١٥)

ما الذي تقصده عبارة «**إن افتكرتم شـيئاً**»؟ هو أنه يجب «**أن ننسى ما هو وراء**» لذلك هو أمر يتعلق بمن هو كامل أن لا يعتبر نفسـه كاملاً. كيف إذاً تقول «جميع الكاملين»؟ أخبرني هل نحن لنا نفس فكرك؟ لأنه إن كنـت لم تدرك ولا تكملت، فكيف تأمر من هم كاملون أن يكون لهم نفس فكرك وهم لم يتكملوا بعد؟

فيجيب: نعم لأن هذا هو الكمال. و «**إن افتكرتم شـيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً**» أي لو أن أحدكم اعتبر نفسه أنه أدرك كل سمو. لقد جعلهم حذرين ليس بالكلام مباشرة بل ماذا يقول؟ «**إن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً**»

انظروا كيف قال هذا بإتضاع! الله سـيعلّمكم، أي أن الله سينجح في إقناعكم وليس سيعلّمكم (فقط)، لأن بولس كان يعلّمهم لكن الله هو الذي يقودهم إليه. وهو لم يقل إن الله يقودهم إليه (إلى ما يريد إعلامهم به)، بل قال الله «**سيعلنه**» أي أن هذا يبدو بالأكثر أنه نابع عن جهل.

لم تُذكـر هذه الكلمات من جهة ما يختــص بالتعاليم، بل من جهة كمال الحياة وألا نعتبر أنفســنا كاملــين، لأن الذي يعتبر أنه أدرك كل شيء هو في الواقع لم يدرك شيئاً.

«**وأما ما قد أدركناه فلنســلك بحســب ذلك القانون عينه ونفتكر ذلك عينه**» (في٣: ١٦)

«**أما ما قد أدركناه**»

مــا معنى هذا الكلام؟ إنه يقول: لنتمســك بمــا نجحنا فيه من حب واتفاق وسلام لأننا في هذا نجحنا.

«**ما قد أدركناه**» بالسير بنفس القانون وبافتكار نفس الشيء.

«**ما قد أدركناه**» أي الذي أفلحنا فيه بالفعل.

هــل تدرك أنه يريد أن تكــون وصاياه قانوناً لنا؟ قانوناً لا يقبل زيادة أو نقصاناً، لأن هذا لايجعله كونه قانوناً.

«**ذلك القانون عينه**» أي بنفس الإيمان وفي إطار نفس الحدود.

«كونوا متمثلين بي معاً أيها الإخوة ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة» (في٣: ١٧)

لقد قال سابقاً: «**انظروا** (احذروا) **الكلاب**». لأنه قادهم بعيداً عن مثل هؤلاء وهو يحضرهم (الآن) بالقرب ممن ينبغي لهم أن يقتدوا بهم.

لـو أن واحداً أراد أن يقتدي بي، لو أراد أن يسـير في نفس الطريق لينتبه لهم (لمن اقتدوا بي) ولو أني غير حاضر فأنتم تعرفون طريقة سيري أي سلوكي في الحياة. لأنه لم يعلّم بالكلمات فقط بل بالأفعال أيضاً، كما في الخـورس وفي الجيـش يلزم للآخرين أن يقتدوا بقائد الخورس أو قائد الجيـش، وهكذا يتقدمون في ترتيب حسـن. لأنه يمكن أن ينحل النظام بالشـغب. لذلك كان الرسـل مثالاً وحفظوا إلى النهاية نوعاً من النموذج الأصلي.

انظـر كـم كانت حياتهم صحيحـة تماماً حتى إنهم قدموا أنفسـهم كنمـوذج أصلي ومثـال وكقوانين حيّة. لأن ما قيل في رسـائلهم أظهروه للجميع في أفعالهم. هذا هو أعظم تعليم وهكذا سيستطيع المعلم أن يتلمذ تلميـذه. لكن لو أنه كان فيلسـوفاً ولكن أعمالـه كانت عكس تعليمه، فإنه لا يعد معلّماً. لأن الفلسفة الإسمية سهلة حتى بالنسبة للتلميذ لكن هنـاك احتياج إلى ذلك التعليم والقيـادة التي تأتي من الأعمال. لأن هذا يجعل المعلم موقراً ويُعد التلميذ لأن يُظهر الطاعة. كيف هذا؟ عندما يرى التلميذ معلمه يسـلّم له فلسفة كلامية، سـيقول إنه يأمر بالمستحيلات، والدليـل على ذلك أنه لا يمارسـها. لكن إذا رأى تقـواه منفذّة تماماً في

أفعال فلن يمكنه أبداً أن يتكلم هكذا. لكن مع أن حياة معلمنا فيها إهمال لننتبه لأنفسنا ولننصت لكلمات النبي التي تقول «**كلهم سيتعلمون من الله**» (إش٥٤ : ١٣)، «**ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم**» (إر٣١ : ٣٤).

هل هناك معلم ليس تقياً؟ لكن لا يزال لديك من هو بالحق المعلم، و هو الوحيد الذي يمكنك أن تدعوه معلماً، تعلموا منه فهو قد قال «**تعلموا مني لأني وديع**» (مت١١ : ٢٩). إذاً لا تلتفت إلى معلمك بل انتبه إلى الرب وإلى تعاليمه. ومن ثمَّ خذ منه أمثلتك، فهو أعظم نموذج لك، تشبه به. توجد نماذج لا تُعدّ موضوعة أمامك في الأسفار لسير (حياة أفاضل) تتسم بالتقوى، فسوف تجد النموذج بعد الرب في التلاميذ. واحد اظهر فضيلته في الفقر وغيره بالغنى، فمثلاً إيليا ظهر بالفقر وإبراهيم عن طريق الغنى. اتجه إلى المثال الذي تعتبره سهلاً ويناسبك بالأكثر في الممارسة. وأيضاً الواحد بالزواج والآخر بالبتولية. اتبع ما أردت، لأن كليهما يؤديان إلى السموات. الواحد لمع بالصوم كيوحنا (المعمدان) وغيره بدون الصوم كأيوب. وأيضاً هذا الأخير (أيوب) كان يهتم بزوجته وبنيه وبناته وأسرته وامتلك ثروة عظيمة، والآخر (المعمدان) لم يمتلك إلا رداء من الوبر. ولماذا أذكر الأسرة أو الثروة أو المال حتى يمكن لمن هو ملكُ أن يتمسك بالفضيلة، لأنه ستوجد فى بيت الملك متاعب أكثر من أي أسرة عادية. إن داود لمع في مملكته ولم يجعله الأرجوان والتاج أبداً مهملاً (ومتراخياً). ولآخر أوكل إليه أن يرأس الشعب كله أقصد

موســى وكانت مهمته في غاية الصعوبة. إنكم قد رأيتم أناساً مزكين لدى الله وكانوا أغنياء ومنهم من كانوا فقراء أيضاً، ومنهم من كانوا متزوجين وأيضــاً من كانوا متبتلين، وبالمقابل فــإن البعض قد هلكوا في الزواج وفي البتولية وفي الغنى وفي الفقر. فمثلاً كثيرون هلكوا في الزواج كشمشون (وإن كانت توبته قبلت فيما بعد)، ولكن ليس من الزواج بل بمحض إرادتهم. وبالمثــل في البتولية من هلك كالخمس عــذارى الجاهلات، ومن هلك في الغنــى كالرجل الغني الذي ازدرى بلعازر، وفي الفقر فإن فقراء لا يُعدون من الكثرة وحتى الآن يهلكون فيه، ويمكنني من جهة المملكة أن أشــير إلى كثيرين هلكوا فيها.

هل تريد أن تنظر أناساً خلصوا وهم في رتبة الجندية؟ هناك كرنيليوس، وفي إدارة بيت الملك يوجد الخصي الحبشــي. فإن اســتخدمنا ثروتنا كما يليق فلن يدمرنا شــيء ســواء كان مملكة أو فقراً أو ثروة، بل لا ســلطان لشــيء أن يؤذي الإنســان طالما هو يقظ على نفسه. إذ أخبرني هل كان للســجن ضرر؟ لا على الإطلاق. أتوســل إليك أن تنظر يوسف الذي صار عبداً وحفظ فضيلته. أنظر لدانيال والثلاثة فتية الذين صاروا أسرى وكيف أن فضيلتهــم لمعت بالأكثر، لأن الفضيلة تلمع في كل مكان ولا تُقهر ولا شــيء يمكنه أن يضع معوقات في طريقها. لكن لماذا أذكر الفقر والأســر والعبودية والجوع والقروح والأمراض الخطيرة؟ لأن المرض صعب احتماله أكثر من العبودية. هكذا كان لعازر وأيوب، وأيضاً تيموثاوس كان يعاني من أســقام كثيرة (١تي٥: ٢٣). ها أنت ترى أن لا شيء يمكنه أن يسود على الفضيلة، لا الغنى ولا الفقر ولا الســيادة ولا الخضوع ولا الرفعة في

الأشــغال ولا المرض أو الاحتقار أو النفي. بل إذ تترك الفضيلة كل شيء خلفها على الأرض، فهي تســرع ناحية السماء. فقط دع النفس نبيلة ولا شــيء يمكنه أن يعوقها عن أن تكون تقية. لأنه عندما يكون الذي يعمل في منتهى النشــاط فلا شيء خارجي يمكن أن يعيقه، لأنه كما في الفنون عندمــا يكون الصانع ذا خبرة ومثابراً ومتمكنــاً تماماً من فنه، فحتى لو مرض فلا يزال فنه له وحتى لو افتقر وســاء تكون معداته في يده. وسواء عمل أو لم يعمل فإنه لا يخسر فنه على الإطلاق، لأن دقائق علم هذا الفن في داخله. هكذا أيضاً الشخص التقي الذي هو مكرس لله يُظهر فنه (أي فضيلتــه) إن ألقيته في الغنــى أو في الفقر أو في المرض أو في الصحة أو في الإهانة أو في مجد عظيم. ألم يعمل الرســل في كل حالة «**بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حســن**» (٢كو٦: ٨)، فالمجاهد يجب أن يعدّ نفسه لكل شيء، لأنه هكذا أيضاً تكون طبيعة الفضيلة.

فــإن قلــت أنا غير قادر أن أترأس على كثيريــن وينبغي لي أن أحيا حيــاة الوحدة، فأنت بهذا تهين الفضيلة لأنه يمكنها أن تســتخدم كل حالة وتتلألأ في كل شيء، فقط دعها تكون في نفسك. هل هناك مجاعة؟ أو هــل هناك (غنى) فائض؟ فهي تُظهر قوتها كما يقول بولس الرســول «**في جميع الأشــياء قد تدربت أن أشــبع وأن أجوع وأن أســتفضل وأن أنقــص**» (في٤: ١٢). هــل طُلب منه أن يعمل؟ نعــم لم يخجل بل عمل لمدة ســنتين. هل كان عليه أن يجوع؟ إنه لم يســقط (ويخور) تحت ثقل الجــوع أو يتزعزع. هل كان عليــه أن يكابد الموت؟ فإنه لم يخر بل من خــلال كل شــيء أظهر (معدن) قلبه النبيل. لذلــك ليتنا نقتدي به ولن

يكون لدينا سبب للحزن، إذ أخبرني من سيكون لديه القوة ليحزن مثل هذا الإنسان؟ لا أحد.

طالما أن لا أحد سيحرمنا من هذا الغنى (الذي للفضيلة)، فنحن سنكون أكثر الناس الطوباويين حتى في هذه الحياة (الصعبة) وأيضاً في الحياة الآتية. لنفترض أن إنساناً صالحاً كان له زوجة وأولاد وغنى وكرامة عظيمة، مع كل هذه الأشياء يبقى على السواء تقياً. انزعها عنه وأيضاً بنفس الطريقة سيكون تقياً فلن تغرقه ــ ولن تجعله ثروته يتكبر بل هو كصخرة يقف غير متزعزع، سواء في البحر الهائج أو في الهدوء، لا تكسره الأمواج ولا يؤثر الهدوء عليه أبداً، هكذا أيضاً القلوب الثابتة تقف غير مزعزعة في الهدوء وفي العاصفة. وكما أن الأطفال الصغار عندما يبحرون في سفينة يضطربون (لهياج البحر) بينما القبطان جالس غير منزعج ومبتسماً (حرفياً مبتهجاً) لرؤية اضطرابهم، هكذا أيضاً النفس التي هي حكيمة بالحق، فبينما كل الآخرين مضطربون أو يبتسمون ابتسامة في غير محلها لأي تغير في الظروف (المؤقتة نحو الأحسن)، فإنها تجلس غير متأثرة كما لو كانت عند ذراع ومقبض دفة التقوى.

إذ أخبرني أي شيء يمكن أن يزعج النفس التقية؟ هل الموت؟ الموت هو بداية الحياة الأفضل. هل يمكن للفقر أن يزعجها؟ ألا يساعدها للتوجه (بالأكثر) نحو الفضيلة؟ هل يمكن للمرض؟ إنها لا تعتبره موجوداً. إنها لا تضع اعتباراً للراحة أو الضيقة. هل يمكن للإهانة أن تزعجها؟ إن العالم قد صُلب لها. هل يمكن لفقدان الأولاد؟ إنها لا تخشى هذا إذ هي مقتنعة تماماً بالقيامة. فأي شيء يمكن أن يفاجئها؟ لا شيء أبداً من كل

هــذا. هل الغنى يرفعها؟ لا على الإطــلاق، فهي تعلم جيداً أن المال هو لا شـــيء. هل المجد؟ لقد تعلمت أن «**كل مجد الإنســـان كزهر العشب**» (إش٤٠ : ٦). هل التنعم؟ لقد سمعت بولس يقول «**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية**» (١تي٥ : ٦)

أما النفوس الأخرى فهي ليست هكذا، بل تتغير كثيراً أكثر من أمواج البحر أو الحرباء، لذلك لديك ســبب كاف لأن تبتسم عندما ترى نفس الشخص في آن ضاحكاً وفي آن آخر باكياً، في وقت مملوءاً نشاطاً وفي وقت آخر متكاســلاً تكاسلاً يفوق الحد. لأجل هذا السبب يقول بولس الرسول «**لا تشــاكلوا هذا الدهــر**» (رو١٣ : ٢)، لأننا مواطنون سمائيون حيث لا تغــير هناك. توجــد جوائز لا تتغير مقدمة لنا (هنــاك). لنظهر مواطنتنا (الســماوية) هــذه ولننال من الآن خيراتنا (الآتيــة) هنا. لكن لماذا نطرح أنفسنا في العاصفة والزوبعة؟ ليتنا نكون في هدوء، وفي كل شيء لا نتكل على الغنى أو الفقر ولا على الكرامة أو المهانة ولا على المرض أو الصحة أو على الضعف، بل على أنفســنا ذاتها. لو أنها صلبة (متينة) ومتعلمة جيداً في علم الفضيلة، فكل شـــيء سيكون سهلاً لها. بل من الآن ستنظر راحتها وذلك الميناء الهادئ وعند رحيلها ستدرك أن هناك خيرات لا حصر لها نتمنى أن ندركها كلنا بنعمة ومحبة ربنا يســوع المســيح الذي له مع الآب والروح القدس المجد والسيادة والإكرام الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

العظة الثالثة عشر

(فيلبي٣:١٨-٤:٣)

لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَاراً، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضاً بَاكِياً، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِم،الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ. فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخَلِّصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ. (٣:١٨-٢١).

لا شيء هكذا مخالف للمسيحي وغريب عن طبعه مثل أن يبحث عن الراحة والتنعم، وكون المسيحي يستغرق (وينهمك) في الحياة الحاضرة فهذا شيء غريب عن عقيدتنا وتجندنا (للرب). إن ربك قد صُلب (عنك) فهل تسعى أنت إلى الراحة؟ ربك قد دُقت في يديه ورجليه المسامير فهل تحيا في تنعم؟ هل من يصنع هذه الأمور يصير جندياً مقداماً؟ لذلك يقول بولس «كثيرون يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، حيث إنه كان يوجد البعض ممن ادّعوا المسيحية ولكنهم يعيشون في تنعم وراحة وهذا مخالف للصليب، لذلك

تكلم هكذا. لأن الصليب ينتمي إلى نفس متأهبة للقتال ومشتاقة للموت، لا تسعَى لشيء فيه راحة، بينما سلوك من أذكرهم باكياً هو من نوع مخالف. لذلك حتى لو قلت إنهم للمسيح، مع ذلك هم كمن كانوا أعداء للصليب. لأنهم لو كانوا أحبوا الصليب، لكانوا يسعون لأن يحيوا الحياة المصلوبة (للعالم).

ألم يُعلّق ربك على خشبة؟ اقتد به أنت أيضاً. اصلب نفسك ولو لم يصلبك أحد. اصلب ذاتك لا أن تقتل نفسك، حاشا لله فهذا أمر شرير، بل (اعمل) كما قال بولس «**العالم صُلب لي وأنا للعالم**» (غل٦: ١٤). لو كنت تحب ربك مت موته. تعلّم كم هي عظيمة قوة الصليب، وكم من أمور حسنة كثيرة أنجزها، وكيف أنه أيضاً أمان حياتنا. عن طريقه تُعمل كل الأشياء. إن المعمودية (تتم) عن طريق الصليب، لأنه يلزمنا أن ننال ذلك الختم. وضع اليد (للرسامة) هو عن طريق الصليب. إن كنا في سفر أو في البيت، وحيثما كنا فإن الصليب هو خير عظيم، هو سلاح الخلاص، إنه ترس لا يمكن أن يُهزم، وسلاح لمقاومة إبليس. وأنت تحمل الصليب عندما تكون في عداوة معه (مع إبليس)، ليس فقط عندما ترشم نفسك به، بل وعندما تعاني الأشياء التي تنتمي إلى الصليب. إن المسيح رأى من اللائق أن يدعو آلامنا باسم الصليب، كما عندما يقول «**من لا يحمل صليبه ويتبعني**» (مت١٦: ٢٤)، أي من لم يُعدْ للموت.

لكن الذين هم أدنياء ومحبون للحياة (الدنيوية) ومحبون لأجسادهم هم أعداء للصليب. وكل من هو صديق للتنعم وللطمأنينة الحاضرة هو عدو لذلك الصليب الذي هو محل افتخار بولس، الذي يحتضنه ويرغب في

أن يتحد به، كما عندما يقول «**أنا صُلبت للعالم والعالم لي**».

لكنـــه يقول هنا «الآن أذكرهم باكياً» لماذا؟ لأن البلية كانت متعجلة، لأن مثل هؤلاء جديـــرون بالبكاء. وبالحقيقة فإن المتنعم جدير بالبكاء إذ يســمّن ما سيطُرح عنه، أقصد الجسد بينما لا يعطي اهتماماً للنفس التي يلزم إعطاء حساب عنها.

أنظر، أنت تعيش برخاوة، أنت تســكر اليوم وغداً.. عشر سنوات، عشــرين.. ثلاثين.. خمســين، بل مائة مع أن هذا عســير (تحققه)، لكن إن شــئت نفرض هذا. لكن ما النهاية (الغاية)، ما الربح؟ لا شــيء على الإطلاق. أفلا يســتحق النحيب والبــكاء أن نحيا مثل هذه الحياة. فبينمــا خلقنا الله لكي يتوجنا، نرحل نحــن دون صنع أي عمل نبيل. لذلك يبكي بولس، بينما يضحك آخرون ويعيشــون في تنعم. وتعاطفاً منه مــع جميع الناس (البعيدين) يكــون هو مهموماً عليهم فيقول «**إن إلههم بطنهم**»، أي «**لنأكل ونشرب**» (٢كو١٥ : ٣٢).

هل ترى كم أن الترف شر عظيم؟ فالثروة بالنسبة للبعض هي إلههم، وبالنســبة للبعض الآخر البطن هي إلههم. أليس هؤلاء أيضاً عبدة أوثان وأسوأ من المتسفلين؟ و«**مجدهم في خزيهم**».

يقول البعض إن المقصود هنا الختان. أما أنا فلا اعتقد هذا، بل يقصد بهــذا المعنى أنهم يفتخرون بتلك الأشــياء الــتي ينبغي أن يخزوا منها. إنه شــيء مخيف أن تعمل أعمالاً مخزية، لكن أن تعملها وتخزى فهذا مخيف فقط بدرجة متوســطة، لكن عندما يفتخر الإنسان بها أيضاً فهذا

عدم إحساس مفرط.

هـــل هذه الكلمات تنطبق عليهم فقط؟ وهل يفلت الحاضرون هنا من هذه التهمة؟ و ألن يعطي أحد حســاباً عن هذه الأشــياء؟ و أليس هناك أحد يجعل بطنه إلهاً له أو يجعل مجده في خزيه؟ إنني أتمنى بشدة ألا تُلقى علينا واحدة من هذه التهم وأتمنى ألا أعرف أحداً متورطاً فيما قلته. لكن أخشى أن تشير هذه الكلمات إلينا أكثر من أناس تلك الأزمنة. لأنه عندما يضّيع إنســان حياته كلها في الشــرب والعربدة وينفق شيئاً زهيداً علــى الفقــير بينما يضيع الجزء الأكبر من مالــه على بطنه، أفلا تنطبق عليه هذه الكلمات بالأكثر؟ لا توجد كلمات مناسبة أكثر لتجذب الانتباه بتوبيــخ قاطع أكثر من هذه الكلمــات «**الذين إلـهـهم بطنهم ومجدهم في خزيهم**». ومن هم هؤلاء؟

فيجيب: الذين يتفكرون في الأرضيات.

القائلين: لكى نبني بيوتاً. فأسألهم أين؟

فيجيبون: على الأرض. لنبتاع مزارع.. أيضاً على الأرض.. لنقتني القوة.. أيضاً على الأرض.. لنقتني المجد.. أيضاً على الأرض. لنُغني أنفسنا.. كل هذه الأشياء على الأرض..

هــؤلاء هم الذين إلههم بطنهم، لأنــه إن لم تكن لهم أفكار روحية، بل كل مقتنياتهم هنا ويهتمون بهذه الأشــياء، فلكون بطنهم إلهاً لهم، لذلــك يكــون لهم الحــق في القول «**لنأكل ونشــرب لأننا غــداً نموت**»

(١كو١٥ : ٣٣).

أخبروني: هل أنتم تحزنون على أن جسدكم من الأرض مع أن هذا (كونه من تراب الأرض) أمر لا يضركم على الإطلاق. لكن نفسكم تجردونها إلى الأرض، بينما ينبغي لكم أن تجعلوا جسدكم أيضاً روحانياً، لأنه يمكنكم هذا إن أردتم. لقد أخذتم البطن لكي تأكلوا (وتقوتوا الجسد)، لا لكي تتخموها (بما لذ وطاب)، ولكي يكون لكم عليها سيادة، لا أن تكون هي سيدتكم، لكي تخدمكم في تغذية أجزاء الجسد الأخرى، لا أن تخدموها هي، لا أن تتجاوز الحدود. إن البحر عندما يتعدى حدوده لا يسبب شروراً كثيرة مثلما تسبب البطن لجسدنا ونفسنا معه. البحر يُغرق الأرض، بينما البطن تُغرق الجسد كله. ضع ضابطاً لحدودها كما وضع الله الرمل للبحر. لذلك إن قامت أمواجها وهاجت بشراسة ازجرها بالقوة التي فيك. انظر كيف أن الله شرفك بأن تقتدي به وأنت لا تريد، لكن أنت ترى البطن تغرقك وتدمر طبيعتك كلها وأنت لا تجرؤ على كبحها أو ضبطها.

يقول بولس: «**الذين إلههم بطنهم**»

لنرى كيف خدم بولس الله، لنرى كيف يخدم الشرهون بطونهم. ألا يجوزوا عشرة آلاف ميتة[1] كهذه؟ ألا يصنعون المستحيل لها؟ أليسوا أسوأ من العبيد؟

١ـ هنا يتكلم ذهبي الفم على خلفية ما ورد في (رو٨:٣٦) «كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للذبح» وعلى ما ورد في (١كو١٥:٣٠) «إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم»، وقد يقصد هنا الميتات التي يتعرضون لها في سبيل الحصول على ملذاتهم أو ما ينتج عنها من أمراض تسبب لهم الموت.

أمـــا بولس فيقول «**إن ســـيرتنا نحن هي في الســـموات**» (في٣: ٢٠)، لذلك ليتنا لا نسعى إلى الراحة هنا، فهناك سنلمع حيث أيضاً مواطنتنا. ويواصـــل كلامه قائلاً «**التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يســـوع المســـيح، الذي سيغير شـــكل جســـد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجـــده**» (في٣: ٢٠، ٢١)، وقليـــلاً، قليلاً رفعنا هـــو إلى فوق. بقوله «**في الســـموات**» و «**مخلصاً**» يظهـــر من المكان ومن الشـــخص كرامة (مجد) الموضوع (أي الجعالة).

يقول الرســـول «**الذي سيغير شكل جســـد تواضعنا**». إن الجسد الآن يعاني أشـــياء كثـــيرة وهو مقيد بسلاســـل ويتم جلده ويعاني شـــروراً لا تُحصى، لكن جسد المسيح عانى نفس الشيء. لذلك أشار إلى هذا عندما قال «**ليكون على صورة جســـد مجده**». لذلك، الجسد هو نفس الجسد، لكنه لبس عدم الفساد. الشكل مختلف أو ربما هو تكلم بصورة تشبيهية (مجازية) عن التغيير. ويقول «**جســـد تواضعنا**» بســـبب أنه الآن وضيع وخاضع للهلاك وللألم، وبســـبب أنه يبدو عديم القيمة وأن لا شـــيء له يفوق الحيوانات الأخرى.

«**ليكون على صورة جسد مجده**»

ماذا؟ هل جسدنا هذا سيتشكل ليشابه من هو جالس عن يمين الآب ومن تســـجد لـــه الملائكة ومن تقف أمامه القوات غير المتجســـدة و الذي هو فوق كل ســـلطان ورياسة وقوة؟ فلو كان للعالم كله أن يبكي وينتحب لمن ســـقطوا من هذا الرجاء فهل يستحقون البكاء عليهم؟ لأنه إن كان قد

أُعطي لجسدنا أن يشابهه، لكنه يرحل مع الشياطين (إلى الجحيم).

ماذا تقول يا بولس؟ أن نُجعل مشابهين له؟

فيجيب: نعم. وبعد ذلك لئلا لا تصدقوا أضاف سبباً بقوله «**بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء**» (في٣: ٢١).

يقول الرسول (ما معناه): إن لديه القوة ليخضع كل الأشياء لنفسه، كذلك أيضاً الهلاك والموت. أو بالأحرى هو يفعل هذا أيضاً بنفس القوة. إذ أخبرني أيهما يحتاج لقوة أعظم أن تخضع الشياطين والملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسيرافيم، أم أن تجعل الجسد خالداً وغير مائت؟

بالتأكيد إن الأخيرة تحتاج لقوة أعظم من الأولى، وهو قد أظهر القدر الأعظم من قوته لكي تؤمن بهذه أيضاً. لذلك ولو أنك ترى هؤلاء الناس مبتهجين ومكرمين، لكن كن ثابتاً ولا تتأثر أو تتضايق منهم. إن آمالنا هذه كافية أن تقيم الكسالى والمتوانين.

«**إذاً يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم، يا سروري وإكليلي اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء**» (في٤: ١).

كيف «**هكذا**»؟ الثبات.

انظروا كيف أنه يضيف المديح بعد النصح (في الإصحاح الماضي)، فيقول «**يا سروري وإكليلي**» وليس فقط سروري، بل مجدي[٢] أيضاً، ليس مجدي فقط بل أيضاً إكليلي.

٢- انظر «لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا» (١تس٢: ٢٠).

أي مجد يمكن أن يعادل هذا المجد إذ أنه مجد بولس.

«**إذاً اثبتوا هكذا في الرب**» أي اثبتوا في رجائكم في الرب.

«**أطلب إلى أفودية وأطلب إلى سنتيخي أن تفتكرا فكراً واحداً في الرب. نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المخلص ساعد هاتين المرأتين**» (في٤ : ٢ ، ٣).

يقول البعض هنا أن بولس ينصح هنا زوجته، لكن الأمر ليس هكذا (إذ أن بولس الرسول كان متبتلاً)، بل امرأة أخرى أو أنه ينصح زوج واحدة منهما «**ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع اكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة**» (تابع في٤ : ٣).

هل ترى كم هي عظيمة الشهادة التي يشهد بها لفضيلتهما؟ لأنه كما قال المسيح لتلاميذه «**لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات**» (لو١٠ : ٢٠)، هكذا يشهد بولس لهما بقوله «**الذين أسماؤهم في سفر الحياة**».

يبدو لي أن هاتين المرأتين هما رئيستا الكنيسة التي كانت هناك وهو يوصي عليهما شخصاً ما نبيلاً يدعوه بولس «**شريكه المخلص**». ربما كان قد اعتاد أن يوصيه عليهما كما إلى شريك في العمل والجندية وأخ ورفيق كما يفعل في رسالته إلى أهل رومية عندما يقول «**أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا**» (رو١٦ : ١).

شريك، إما أنه أخ لهما أو أنه زوج إحداهما كما لو كان يقول: الآن

أنت أخ حقيقي، الآن أنت زوج حقيقي لأنك صرت عضواً.

«لأنهما جاهدتا معي في الإنجيل»

هذه التوصية بالحماية أتت من البيت وليس من الصداقة لهما، بل لأجل أعمال صالحة.

«جاهدتا معي»

ماذا تقول؟ هل المرأتان جاهدتا معك؟

فيجيب: نعم، فهما أيضاً ساهمتا مساهمة ليست بقليلة. فمع أن كثيرين هم الذين عملوا معه، لكن هاتين المرأتين عملتا أيضاً معه ضمن كثيرين.

إذاً الكنائس لم تكن تُبنى (روحياً) قليلاً، لأن أهدافاً حسنة كثيرة قد تحققت حيث كان المزكون سواء كانوا رجالاً أم نساءً يتمتعون عن الباقين (من أعضاء الكنيسة) بمثل هذا الإكرام. إذ أولاً كان الباقون يُقادون لغيرة مشابهة وثانياً فإنه تم اكتسابهم أيضاً بالاحترام الذي أظهر لهم وثالثاً فإنهم جعلوا نفس هؤلاء الأشخاص أكثر غيرة واجتهاداً. لذلك أنت ترى بولس الرسول له اهتمام بهذا الأمر في كل مكان ويوصي باحترام مثل هؤلاء الناس، كما يقول في رسالته إلى أهل كورنثوس «**الذين هم باكورة أخائية**» (١كو١٦: ١٥).

يقول البعض إن «**شريك**» (في النص اليوناني) هي اسم علم، سواء كان الأمر هكذا أو لا فنحن لسنا في حاجة إلى الاستفهام الدقيق عن هذا

الاســم، لكن نلاحظ أنه أعطاه أمره بأن هاتــين المرأتين ينبغي أن تتمتعا بحماية عظيمة.

ذكر الرسول أن كل ما هو لنا (كائن) في السموات، مخلصنا، وطننا، أي شــيء يمكن أن يسميه الإنسان «**التي منها ننتظر مخلصاً هو الرب يســوع المسيح**». وهذا عمل من أعمال عطفه ومحبته نحو الإنسان. وهذه علامــة على إكرام عظيــم، لأنه إن كان قد جاء إلينــا بينما كنا أعداء، فكــم بالأولى يفعل هذا الآن عندما صرنا أحباء. لم يعهد بهذا إلى الملائكة أو إلى خــدام (لــه كالأنبياء مثلاً)، بل هو نفســه جاء إلينــا ليدعونا إلى ملكوته. أنظر، نحن أيضاً «**سُــنخطف في السحب**» (١تس٤: ١٧) لنقدم له الإكرام.

فمن ســيوجد على أنه «**خادم أمين وحكيــم**»؟ من هم الذين يُعتبرون جديرين بمثل هذه الأشــياء الحسنة؟ كم تعســاء الذين يخفقون! لأن لو كان لنا أن نبكي إلى الأبد، فهل نفعل أي شيء جدير بالفرصة؟ لأنه لو كان لك أن تذكر عدداً لا يُحصى من الجحيم[٣]، فلن تســمي شيئاً يعادل الألم الــذي تجوزه النفــس عندما يكون العالم كلــه في اضطراب، عندما تُضرب الأبواق وتأتي الملائكة ورؤســاء الملائكة ثم الشاروبيم والسيرافيم، عندما هو نفسه يأتي في مجده الذي لا يُنطق به، عندما يلاقيه من مضوا لجمعٍ مختاريه إلى الوسط، عندما يتوج بولس وكل رفاقه ويُنادى باسمهم عالياً ويكرمهم الملك أمام كل جنده السماوي.

٣- يقصــد هنــا أن الكلام النظري عن وجود ولو مليون جحيم، فلن يؤثر فــي وجدان البعض مثل لحظة فعلية مما ذكره بعد قليل.

لأنــه إن لم توجد جهنم، كم يكون مخيفــاً أن جزءاً من الناس يُكرم والآخــر يُهان! أنا أقرّ أن جهنم لا تُحتمــل، نعم لا تُحتمل جداً، لكن الــذي لا يُحتمــل أكثر منها هو فقدان الملكــوت. لنفترض أن أي ملك أو ابــن ملك رحل، وحارب عدة حروب ناجحة وصار موضع إعجاب، فلو عاد هو وجيشه كله إلى أية مدينة في مركبته ونصب تذكارات انتصاراته، وحوله حرسه وجنوده العديدون بدروعهم الذهبية وحاملو الرماح، وبينما كانــت المدينة مزينة بالأكاليل، وكل الولاة يصحبونه، ويتبعه كل جنود الأمم الأجنبية كأســري، بعد ذلك (يأتي في الركب) الولاة والحكام، وفي محضر كل الولاة وكل هذه العظمة يستقبل المواطنين الذين يلاقونه ويقبّلهم ويسلم عليهم ويمنحهم حرية الدخول إليه ويتحادث معهم ويقفون حوله كأصدقــاء، ويخبرهم أن كل هذه الرحلة (الحملة العســكرية) كانت من أجلهم ويقودهم إلى قصره ويعطيهم نصيباً فيه. فحتى لو أن باقي المدينة عوقبوا (لعدم ملاقاة ابن الملك المنتصر)، فمهما كانت العقوبة عظيمة، فلن تساوي عقوبة حرمانهم من المجد الذي حازه من خرجوا لملاقاته.

لكن لو كان في حالة البشر يكون شيئاً مريراً أن يخيب الإنسان من هذا المجد، فكم بالأولى يكون هذا مع الله عندما تكون كل القوات الســماوية حاضرة مع الملك، بينما الشــياطين مقيدون ومنكســون رؤوســهم لأسفل وإبليس نفسه مُقاد في سلاسل عندما يأتي الرب نفسه على السحب.

صدقني إنني أيضاً عاجز عن إنهاء كلماتي للحزن الذي حل بنفســي مــن هــذه الرواية. انظر كم من مجد عظيم ســنُحرم منه بينما في مقدورنا أن لا نُحرم منه. لأن هذه هي التعاســة في أننا سنكابد هذه الآلام، بينما

في مقدورنا أن لا نكابدها. عندما يقبل الرب يسوع جزءاً (من البشر) ويقودهم إلى أبيه السماوي ويرفض الجزء الآخر الذين سيأخذهم الملائكة ويجرونهم (جراً) رغماً عنهم وهم باكين ومنكسين رؤوسهم إلى نار جهنم، فأي حزن (يجتاح مثل هؤلاء) يمكن أن تظن هناك؟ لذلك ليتنا نسارع بينما يوجد وقت ولنهتم جداً بخلاصنا. كم من أشياء كثيرة علينا أن نقولها مثل الغني؟ لو سمح لنا أحد الآن سنأخذ مشورة بالأشياء التي هي مفيدة! لكن لا أحد يسمح لنا، وكوننا سنقول هكذا فهذا واضح، ليس من (مثل) الغني فقط، بل من آخرين كثيرين. ولكي تعلم هذا، (تذكر) كم من أناس محمومين قالوا (أثناء مرضهم الذي سببوه لأنفسهم): لو إننا عوفينا، لن نسقط أبداً مرة ثانية في نفس الحالة.

كلمات كثيرة شبيهة بهذه سنقولها آنذاك، ولكن سيُقال لنا كما قيل للغني إن هناك هوة وإننا استوفينا خيراتنا هناك (لو١٦ : ٢٦). لذلك ليتنا نتأوه، أتوسل إليكم أن نتأوه بمرارة، بل ليتنا لا نتأوه فقط، بل نجدّ في إثر الفضيلة أيضاً، ليتنا ننتحب الآن من أجل خلاصنا حتى لا ننتحب آنذاك باطلاً. ليتنا نبكي الآن فلا نبكي آنذاك على نصيبنا العاثر. هذا البكاء من الفضيلة وذاك ندم غير مفيد. لنُحزن أنفسنا الآن حتى لا نحزن آنذاك، لأنه ليس نفس الشيء أن تحزن هنا وتحزن هناك. أنت هنا تحزن لوقت قصير أو بالأحرى أنت لا تحس بحزنك عالماً أنك حزين لخيرك. لكن الحزن هناك هو أكثر مرارة، لأنه ليس حزن على الرجاء ولا مهرب منه، بل هو حزن مستديم وبدون حدود.

لكن ليتنا كلنا نتحرر من هذا الحزن وننال المغفرة. بل ليتنا نصلي

ونجتهد حتى ننال الغفران. إنني أتوسـل إليكم ليتنا نكون مجتهدين، لأنه لو اجتهدنا سـنغلب أيضاً بصلاتنا، ولو صلينا بهمة سـيمنحنا الله طلبنـا. لكن لو لم نسـأله ولم نعمل أو نجتهـد، فكيف يمكننا أن ننجح أبداً؟ هل بالنوم؟ لا على الإطلاق. لأننا كما قال بولس سيمكننا أن ننجح لو تشبهنا بموته وأيضاً بالركض والتقدم وليس بالنوم.

«**لعلي أدرك**»

لكـن إن كان بولـس قـال «**لعلـي أدرك**» فماذا سـنقول نحن؟ لأنه يسـتحيل بالنوم أن ننجز أي عمل دنيوي، فكم الروحاني؟ لا يمكن أن ننال أي شـيء من الأصدقاء ونحن نيـام، فكم بالأولى من الله. ولا حتى الآباء يكرمون أولادهم النيام (الكسـالى) فكم بالأولى الله؟ ليتنا نكد لوقت قصير حتى ما نسـتريح إلى الأبد. يلزمنا أن نغتم في كل الأحداث، فإن لم نغتـم هنا، فالغم ينتظرنا هناك. لماذا لا نختار أن نغتم هنا لكي يكون لنا هناك راحة ونحصل على بركات لا يُنطق بها في المسـيح يسوع الذي لـه مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والإكرام، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الرابعة عشر

(في٤ : ٤-٩)

اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضاً افْرَحُوا. لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ مَعْرُوفاً عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ. الرَّبُّ قَرِيبٌ. لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طَلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (في٤ : ٤-٧).

قال السيد المسيح «**طوبى للحزاني**» (مت٥ : ٤)، و «**ويل للضاحكين**» (لو٦ : ٢٥)، فكيف يقول بولس «**افرحوا في الرب كل حين**»؟

قال السيد المسيح «**ويل للضاحكين**» (قاصداً) ضحك هذا العالم الذي ينشأ من الأمور الحاضرة. وهو طوّب أيضاً الحزانى ليس لمجرد فقد الأقارب، بل من نخستهم قلوبهم ويبكون على خطاياهم ويضعون في حسابهم خطاياهم أو حتى خطايا آخرين. هذه الفرحة ليست مضادة لذاك الحزن بل هذه الفرحة تتولد أيضاً من ذاك الحزن. لأن الذي يحزن لأجل أخطائه ويعترف بها يفرح. علاوة على ذلك يمكننا أن نحزن لأجل خطايانا ومع ذلك نفرح في المسيح. إذ آنذاك كان أهل فيلبي مغمومين بآلامهم «**لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً**

أن تتألموا لأجله » (في١ : ٢٩). لذلك هو قال «**افرحوا في الرب**» لأن هذا (التألم) لا يعني شيئاً (في حد ذاته)، إلا أنه لو أظهرتم مثل هذه الحياة يمكنكم أن تفرحوا. أو افرحوا عندما لا يكون شيء يعوق شركتكم مع الله.

«**وأقول أيضاً افرحوا**»

هذه كلمات من يعزي على مثال الذي هو في الرب يبتهج دائماً. إذ ولو أنه مغموم بل ومهما كان يعاني، فمثل هذا الإنسان دائماً مبتهج. اسمع ما يقوله لوقا «**وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه**» (أع٥ : ٤١). إن كان الجلد والحبس اللذان يبدو أنهما أكثر الأشياء المحزنة تجلب فرحاً، فأي شيء آخر يمكنه أن يسبب فينا الحزن؟

«**وأقول أيضاً افرحوا**»

حسناً كرر القول: إذ حيث إن طبيعة الأشياء تجلب حزناً، فإنه يُظهر بتكرار القول إنه يلزمهم أن يفرحوا بكل وسيلة.

«**ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس**»

لقد قال سابقاً «**الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم**» وقال (أيضاً) «**الذين يفتكرون في الأرضيات**» (في٣ : ١٩)، وكان من المحتمل أنهم سيكونون في عداوة مع الأشرار، لذلك نصحهم ألا يكون لهم شيء مشترك معهم، وأن يستخدموا كل حلم معهم، ليس فقط لإخوتهم بل أيضاً لأعدائهم ومقاوميهم.

«الرب قريب ولا تهتموا بشيء»

إذ أخبروني، هل هم على الدوام معارضون (لنا ومتعارضون معنا)؟ وإن رأيتموهم يحيون في تنعم وبحبوحة، (تفكرون أو تستنكرون) لماذا أنتم في ضيق وغم؟ لقد اقتربت الدينونة، وبعد وقت قصير سيعطون حساباً عن أعمالهم.

هل أنتم في ضيق وهم في تنعم؟ لكن (لا تتضايقوا لأن) هذه الأمور تلقي جزاءها سريعاً. هل هم يتآمرون عليكم ويهددونكم؟ «**لا تهتموا بشيء**» فالدينونة على الأبواب حيث تنعكس هذه الأمور. لا تهتموا بشيء، ليتكم تظهرون عطفكم تجاه من يضمرون الشر ضدكم، إذ أن هذه الشرور لن تؤول إلى منفعتهم في النهاية. إن المكافأة الآن حاضرة لو أن الفقر أو المرض أو أي شيء آخر مرعب حلّ عليكم.

«**بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لُتعلم طلباتكم لدى الله**».

عبارة «**الرب قريب**» هي عبارة معزية للبعض، وأيضا عبارة «**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**» (مت٢٨ : ٢٠)، وانظر تعزية أخرى من طبيب يشفي الحزن والغم وكل ما هو مؤلم. وما هي هذه التعزية؟ الصلاة والشكر في كل شيء. وهكذا هو يريد أن لا تقتصر صلواتنا فقط على الطلبات، بل وأيضاً على التشكرات على ما هو لنا. لأنه كيف يمكنه أن يسأل عن الآتيات من هو غير شاكر من أجل الماضي.

«بل في كل شيء بالصلاة والدعاء»

لذلك يلزمنا أن نشكر على كل الأشياء حتى التي تبدو محزنة، لأن هذا هو دور الشاكر الحقيقي. في الحالة الأخرى (أي في الأمور الحسنة) فإن طبيعة الأشياء تتطلب ذلك (الشكر)، لكن هذا (الشكر في الظروف المعاكسة) نابع من نفس شكورة وممن هو محب شغوف. إن الله يعترف بهذه الصلوات (التي يصحبها شكر)، أما الأخرى فلا يعرفها. قدم هذه الصلوات التي يقرّها الله، لأنه يوّجه كل الأشياء لخيرنا ولو أننا لا نعلم هذا. وهذا دليل على أنها نافعة جداً لخير لا نعرفه (في الوقت الراهن).

«وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (في ٤ : ٧).

ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن «**سلام الله**» الذي صنعه تجاه البشر يفوق كل عقل. لأنه من كان يمكنه أن يتوقع أو يأمل أن مثل هذه الأشياء الحسنة ستحدث؟ إنها تفوق عقل الإنسان وليس كلامه فقط. فلأجل أعدائه ومن أبغضوه والذين صمموا علي الابتعاد عنه، لم يرفض أن يسلّم ابنه الوحيد لكي يصنع معنا سلاماً. لذلك هذا السلام، أي مصالحة وحب الله سيحفظ قلوبكم وأفكاركم.

لأن هذا هو دور المعلم، ليس فقط أن ينصح، بل أيضاً أن يصلي ويساعد بالدعاء حتى لا ينجرفوا بالتجارب ولا يُحملوا (بعيداً) بالغش. كما لو كان يقول: ليت الذي خلصكم بالطريقة التي لا يستطيع العقل أن

يدركها، هو نفسه يحميكم ويحفظكم حتى لا تعانوا أي شر.

إما أنه يقصد هذا أو أنه يقصد ذلك السلام الذي عنه قال المسيح: «**سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم**» (يو١٤: ٢٧)، فهذا السلام يحفظكم لأنه سلام يفوق كل عقل. كيف؟ عندما يخبرنا أن نكون في سلام مع أعدائنا ومع الذين يعاملوننا بطريقة ظالمة ومع الذين هم في حالة حرب وعداء معنا، أليس هذا أمراً يفوق فهم الإنسان؟ إن كان السلام يفوق كل عقل، فكم بالأولى الله نفسه - الذي يعطي السلام - يفوق كل عقل، ليس عقولنا فقط (نحن البشر)، بل أيضاً وعقول الملائكة والقوات العلوية.

ما معنى «**في المسيح يسوع**»؟

أي سيحفظنا فيه لكي نظل ثابتين ولا نسقط من الإيمان به.

«**أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هَذِهِ افْتَكِرُوا.**» (في ٤: ٨).

ما المقصود بـ «**أخيراً**»؟

هو كمن يقول: «**أنا قلت كل شيء**». هي كلمة من هو في عجلة وليس له شيء يعمله مع الأمور الحاضرة.

«**وَمَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ**» (في ٤: ٩)

ما المقصود بعبارة «**كل ما هو مُسرّ**»؟

أي كل ماهو محل مسرة للمؤمن ولله.

«**كل ماهو حق**»

الفضيلة هي بالفعل حق والرذيلة كذب. لأن الرذيلة لذتها كاذبة ومجدها كاذب (بل) وكل أمور العالم كذب.

«**كل ما هو طاهر**»

هذا الكلام مناقض لعبارة «**الذين يتفكرون في الأرضيات**».

«**كل ما هو جليل**»

هذه الكلمات معاكسة للكلمات «**الذين إلههم بطنهم**».

«**كل ما هو عادل**»

أي التي صيتها حسن.

«**إن كانت فضيلة وإن كان مدح**»

هنا يريدهم أن يهتموا بتلك الأشياء التي تلقى احترام الناس أيضاً.

«**ففي هذه افتكروا**»

انظر كيف أنه يريد أن يطرد كل خاطر شرير من نفوسنا لأن الأعمال الشريرة تنبع من الأفكار.

«وما تعلمتموه وتسلمتموه»

هذا هو التعليم الحقيقي أنه في كل نصائحه يقدم نفسه كمثال، كما قال في موضع آخر «**كما نحن عندكم قدوة**» (في٣: ١٧). وهنا أيضاً «**وما تعلمتموه وتسلمتموه**» أي ما تعلمتموه شفاهاً، «**وسمعتموه ورأيتموه فيّ**» من جهة كلماتي وأفعالي وسلوكي. انظروا كيف أنه يضع لنا وصايا عن كل شيء؟ إذ حيث إنه كان من المستحيل أن يعمل تعداداً دقيقاً لكل الأشياء من جهة دخولنا وخروجنا وكلامنا وتصرفنا ومعاملاتنا (لأنه ينبغي أن ينتبه لكل هذه الأشياء)، فقال باختصار وكما لو كان يقدم ملخصا «**وسمعتموه ورأيتموه فيّ**» فأنا قد قدتكم بالأفعال والأقوال.

«**فهذه افعلوا وإله السلام يكون معكم**» (تابع ٤: ٩).

أي افعلوها ليس بالكلام بل بالعمل أيضاً، وستكونون في هدوء وأمن عظيم، ولن تعانوا أي شيء مؤلم ولا معارض لإرادتكم. لأنه عندما نكون في سلام معه، ونحن نكون هكذا عن طريق الفضيلة، فكم بالأولى سيكون هو في سلام معنا. لأن الذي أحبنا هكذا، حتى إنه أظهر نعمته لنا ولو رغماً عنا، لو يرانا مسرعين نحوه، أفلا يسارع هو بالأولى ليظهر حبه لنا؟

لا شيء معادي هكذا لطبيعتنا مثل الرذيلة. وواضح من أشياء كثيرة كيف أن الرذيلة معادية لنا والفضيلة رقيقة نحونا. ماذا تريدني أن أتكلم؟ هل أتكلم عن الزنا؟ إنه يجعل الناس يتعرضون للملامة والفقر ويكونون هدفاً للسخرية ومُزدرين من الجميع ويعاملونهم كأعداء. مراراً

كثيرة يورط الناس في المرض والأخطار، وكثيرون هلكوا وجُرحوا من أجل عشيقاتهم. لكن هل الصدقة تصنع هذا؟ لا على الإطلاق.

أم عن ماذا تريدني أن أتكلم؟ هل عن الطمع؟ الطمع نفسه هو أيضاً يعاملنا كعدو وكيف؟ إنه يجعلنا مكروهين من الكل. إنه يُعد ويؤهل كل الناس لأن يتبجحوا ضدنا، سواء الذين عاملناهم بظلم أو الذين لم نعاملهم ويشاركون المظلوم في حزنه، وأيضاً خوفاً على أنفسهم منا. والناس كلهم ينظرون إلينا كأننا أعداؤهم الألداء وكأننا وحوش مفترسة وشياطين. في كل موضع توجد اتهامات لا تُعد ضدنا ومؤامرات علينا وهي كلها تصرفات أعداء. لكن العدل على العكس يجعل كل الناس أصدقاء، كل الناس مسالمين، كل الناس توجهاتهم حسنة من نحونا، وكل الناس ترفع صلوات من أجلنا، وكل مصالحنا في أمن تام ولا يوجد خطر ولا توجد شكوك، بل النوم يأتينا أيضاً بجسارة (بدالة) وأمن عظيم ولا يوجد قلق أو بكاء.

كم هو أفضل هذا النمط من الحياة!

وماذا؟ أيهما أفضل أن نحسد أم أن نفرح لبعضنا البعض؟

ليتنا نفحص كل هذه الأشياء وسنجد أن الفضيلة هي مثل أم عطوف بالحق، تضعنا في آمان، بينما الرذيلة هي خائنة ومملوءة بالخطر. لذا اسمع النبي الذي يقول «**الرب عز لخائفيه ولهم يعلن عهده**» (مز٢٥ : ١٤).

لا يخاف أحد ممن لا يشعر أن في نفسه أي شر. وعلى العكس الذي يحيا في الجريمة لا يطمئن أبداً بل يرتعب من خدمه وينظر إليهم بريبة. ولماذا نقول خدمه، فإنه لا يمكن أن يحتمل محكمة ضميره. وليس فقط (يخاف من) الذين هم من خارج، بل أفكاره الداخلية تؤثر فيه بالمثل ولا تتيح له أن يكون في هدوء.

فماذا يقول بولس؟ هل ينبغي لنا أن نحيا معتمدين على المدح؟ إنه لم يقل: تطلعوا (اسعوا وراء) المديح؟ بل قالوا أعمالاً جديرة بالمديح، لكن لا تسعوا إلى المديح.

«**كل ما هو حق**»

لأن الأشياء التي تحدث عنها هي كذب.

«**كل ما هو جليل**»

ما هو جليل يتعلق بالفضيلة الخارجية، وما هو طاهر يتعلق بالنفس.

يقول الرسول: لا تعطوا سبباً للعثرة ولا دافع للملامة.

لأنه قال «**كل ما صيته حسن**» فلئلا تظنوا أنه يقصد فقط تلك الأشياء التي هي هكذا في نظر الناس، بادر إلى القول «**إن كانت فضيلة وإن كان مدحٍ ففي هذه افتكروا**» – أي افعلوا هذه الأشياء. إنه يريدنا أن نكون دوماً في هذه الأشياء (متأملين)، وأن نهتم بهذه الأشياء ونتفكر بها. لأنه لو أننا سنكون في سلام مع بعضنا البعض، سيكون الله أيضاً في سلام

معنا، لكن لو قمنا بالحرب (فيما بيننا ومع من حولنا) فإله السلام لن يكون معنا. لأن لا شيء معادي هكذا للنفس كالرذيلة. أي أن السلام والفضيلة يضعاننا في آمان. لذلك يلزم من جانبنا أن نصنع المبادرة وبعد ذلك سنجتذب الله نحونا.

إن الله ليس إله حرب وقتال. فاجعل الحرب والقتال الذي ضد الله وقريبك يتوقفان. كن في سلام مع كل الناس وانظر بأية طريقة يخلصك الله. «**طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون**» (مت٥ : ٩).

هكذا يكون دائماً الإقتداء بالله فاقتدوا به أنتم أيضاً. كونوا في سلام. كلما شن عليك أخوك الحرب بالأكثر، كلما تصير مكافأتك أعظم (لو صبرت وصمت وسعيت للسلام معه)، إذ أسمع النبي الذي يقول «**مع مبغضي السلام كنت صانع سلام**» (مز١٢٠ : ٧).

هذه هي الفضيلة، هذا شيء يفوق فهم الإنسان، هذا يجعلنا قريبين من الله، لا شيء يجعلنا هكذا سبب مسرة لله مثل أن لا نتذكر أي شيء (من الشر). هذا يحررك من خطاياك، هذا يعتقك من التهم القائمة ضدك. لكن لو حاربنا وتصادمنا، سنصير بعيدين عن الله، لأن العداوات تنشأ من الصدام، ومن العداوة تذكر الشر.

اقطع الجذر فلا يكون هناك ثمر. هكذا سنتعلم أن نحتقر أمور هذه الحياة، لأنه لا يوجد صراع (خصام) في الأمور الروحية، بل كل ما تراه من صراعات أو غيرة أو أي شيء يمكن للإنسان أن يذكره هو نابع من أمور هذه الحياة. إن كل صراع يأخذ بدايته إما من طمع أو غيرة أو مجد

باطل. لذلك لو كنا في سلام سنتعلم أن نزدري بأمور الأرض. هل سرق إنسان نقودنا؟ هل أساء إلينا؟ فقط دعه لا يسرق كنزنا الذي هو فوق (كائن). هل هو أعاق مجدك (الأرضي)؟ لكنه لم يعق مجدك الذي من الله، بل أعاق ذلك المجد الذي لا اعتبار له. لأن هذا ليس مجداً بل هو مجرد اسم للمجد أو بالأحرى هو خزي. هل سرق كرامتك؟ بالأحرى هو لم يسرق كرامتك بل كرامته. لأنه كما أن الذي يظلم لا يؤذي (المظلوم) بقدر ما يصيبه الأذى (الروحي هو شخصياً)، هكذا أيضاً من يتآمر ضد قريبه، يدمر نفسه أولاً.

لأن «**من يحفر حفرة لقريبه يسقط فيها**» (أم٢٦ : ٢٧). لذلك ليتنا لا نتآمر ضد آخرين لئلا نؤذي أنفسنا. ليتنا نعتبر أننا نؤذي أنفسنا وأننا نتآمر ضد أنفسنا عندما نسئ إلى سمعة الآخرين. لأنه ربما نحن نؤذي من نظن (أنه في مقدورنا) أن نؤذيه، لكننا نؤذي أنفسنا في نظر الله باستثارته ضدنا. لذلك ليتنا لا نؤذي أنفسنا. لذلك كما أننا نؤذي أنفسنا عندما نسئ إلى قريبنا، كذلك أيضاً نحن نستفيد بإفادته. لذا فإن ضربك عدوك، فإنه يكون قد أفادك لو كنت حكيماً، لذلك لا ترد له نفس الإساءة بل أيضاً اصنع له خيراً. إذاً اعتبر أنك لم تستفد (بكونه ضربك ولم ترد ضربته)، بل عاقبته (بكونك تسببت في أذيته الروحية دون قصد منك، وبذلك) انفع نفسك، وسريعاً ستأتي إلى عمل الخير له. فماذا؟ هل نتصرف من هذا الدافع (غير الروحي)؟ ليس لنا أن نتصرف من هذا الدافع، لكن

١- من غير الواضح بالتحديد ما هو الذي أخذوه سراً وقد يكون المقصود به العطايا التي نالوها من المؤمنين، والتي رفض بولس الرسول أخذها رغم أحقيته...

لــو أن قلبك لم يحتمل دافعاً آخر، يقول بولس الرســول (في رو١٢: ٢٠) استحثه ولو بهذا الدافع وستقتنع بسرعة إلى صرف هذه العداوة وستصنع الخير لعدوك في المســتقبل كما لصديق وســتحصل على الخيرات الآتية التي يعطينا الله أن ندركها كلنا في المسيح يسوع آمين.

العظة الخامسة عشر

(فيلبي٤ : ١٠- ١٤)

ثُمَّ إِنِّي فَرِحْتُ بِالرَّبِّ جِداً لأَنَّكُمُ الآنَ قَدْ أَزْهَرَ أَيْضاً مَرَّةً اعْتِنَاؤُكُمْ بِي الَّذِي كُنْتُمْ تَعْتَنُونَهُ وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ فُرْصَةٌ. لَيْسَ أَنِّي أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احْتِيَاجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِياً بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضاً أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي. غَيْرَ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ حَسَناً إِذِ اشْتَرَكْتُمْ فِي ضِيقَتِي. (في٤ : ١٠-١٤).

لقد قلت مراراً كثيرة إن الصدقة قد تم التوصية بها، ليس من أجل متلقيها، بل من أجل من يعطونها، لأن من يعطيها يجني أعظم منفعة. وهذا يظهره بولس هنا أيضاً. بأية طريقة؟

إن أهل فيلبي أرسلوا إليه معونة، وبعد فترة صنعوا نفس الشيء على يد أبفرودتس. فانظر كيف أنه عندما كان على وشك أن يرسل إليهم أبفرودتس كحامل لهذه الرسالة، فإنه يمتدحهم ويُظهر أن هذا العمل كان يحتاج إليه ليس الآخذ بل المُعطي. وهو يفعل هذا لكي لا يشعر الذين أحسنوا اليه بالكبرياء ولكي يكونوا غيورين أكثر في عمل الخير

إذ أنهم بالأحرى ينفعون أنفسهم، ولكي لا يندفع الذين يتلقون المعونة بجسارة إلى الأخذ بدل العطاء لئلا يلاقوا دينونة. لأنه يقول «**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**» (أع٢٠ : ٣٥).

(ولكن هنا نتطرق لنسأل) فلماذا يقول هو «**إني فرحت بالرب جداً**»؟إنه لا يتكلم عن فرح دنيوي ولاعن فرح هذه الحياة، بل هو يفرح في الرب. (وكأنه يقول): إني أفرح ليس لأني نلت انتعاشاً، بل لأنكم تقدمتم (روحياً)، لأن هذا هو انتعاشي (الحقيقي).

لذلك هو أيضاً يقول «**فرحت جداً**»إذ أن هذه الفرحة لم تكن مادية ولا هي من أجل انتعاشه هو بل بسبب تقدمهم.

وانظر كيف أنه عندما وبخهم بلطف من أجل الأوقات التي مضت (دون أن يستفيدوا من بركة العطاء)، فإنه بسرعة تجاوز هذا وعلمهم أن يبقوا دائماً وأبداً في عمل الخير.

يقول الرسول «**لأنكم الآن**» وكلمة الآن تُظهر أن وقتاً طويلاً (نسبياً) قد انقضى.

«**قد أزهر**»

أي أزهرتم كثمار بزغت وجفت وبعد ذلك بزغت (ثانية). هنا يُظهر أنهم أزهروا أولاً وبعد ذلك ذبلوا ثم نموا من جديد. لذلك فإن عبارة «**أزهر أيضاً**» هي توبيخ ومدح لهم بآن واحد. لأنه ليس شيء هين أن من قد جف يُزهر ثانية.

ويُظهر أيضاً أن كل هذا حدث لهم لتوانيهم. لكنه يشير هنا إلى أنهم حتى في الوقت السابق كانوا معتادين أن يكونوا غيورين في هذه الأمور. لذلك أضاف قوله «**اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه**» ولئلا تظنوا أنهم كانوا أكثر غيرة في أمور أخرى وبعد ذلك ذبلوا، بل في هذا الشيء فقط، فانظر كيف أنه قد أضاف «**اعتناؤكم بي**» وأنا أطبق كلمة «**الآن**» على هذا الأمر، لأنه في أمور أخرى لم يكن الأمر هكذا.

ربما من يستفهم هنا كيف عندما قال «**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**» (أع٢٥ : ٣٢) وأيضاً «**حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان**» (أع٢٠ : ٣٤)، وأيضاً عندما كتب إلى أهل كورنثوس قال «**لأنه خير لي أن أموت من أن يعطل أحد فخري**» (١كو٩ : ١٥)، هل سمح هنا أن يتعطل فخره؟ وكيف؟ بالأخذ. فإن كان مجده في عدم الأخذ، فكيف يحتمل الآن أن يتصرف هكذا؟ كيف يكون هذا؟ ربما لم يأخذ آنذاك بسبب الرسل الكذبة إذ قال «**كي يوجدوا كما نحن أيضا في ما يفتخرون به**» (٢كو١١ : ١٢). وهو لم يقل «**في ما هو كائن**» بل قال «**في ما يفتخرون به**» لأنهم لم ينالوا إلا سراً[1]. لذلك قال «**في ما يفتخرون به**». وكذلك قال أيضاً «**لن يوقف أحد افتخاري هذا**» (٢كو١١ : ١٠ بحسب النص). وهو لم يقل إن أحداً لن يوقفني وحسب، بل قال ماذا؟ (قال إن فخره لن يتعطل في كورنثوس وحدها، بل) «**في أقاليم أخائية**» (تابع ٢كو١١ : ١٠)، وقال أيضاً «**سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم**» (٢كو١١ : ٨)، وهو أظهر هنا أنه لم يأخذ (منهم شيئاً). لكن

١ـ من غير الواضح بالتحديد ما هو الذي أخذوه سراً وقد يكون المقصود به العطايا التي نالوها من المؤمنين، والتي رفض بولس الرسول أخذها رغم أحقيته...

بولس إن كان بالحق قد أخذ فهو أخذ منهم عن صواب، لأن لديه عملاً عظيمــاً (ينبغي أن يتفرغ له). لكن الذين لا يعملون (مثله) كيف يمكنهم أن يأخذوا؟

وقد يقول قائل (من الرســل الكذبة): لكن من فضلك، لا يوجد عمل (يلائم عملي الكرازي).

(يــرد ذهبي الفم قائلاً: لا) لأن هذا (العمل الكرازي) يمكن أن يُنجز مع العمل.

(يقول أحد الرسل الكذبة) «**لكن أنا أصوم**».

(يــرد ذهبي الفــم): ولا أيضاً هــذا العمل (الروحــي يمنع عن عمل اليدين).

لذا انظر هذا الطوباوي وهو يكرز في أماكن كثيرة ويعمل أيضاً.

«**ولكن لم تكن لكم فرصة**»

مــا المقصود «**لم تكن لكــم فرصة**»؟ بهذا يقــول: لم يحدث هذا عن تكاسل بل عن ضرورة[٢]. لم يكن في مقدوركم ولا كنتم أغنياء. هذا هو معنى «**لم تكن لكم فرصة**». هكذا يتكلم معظم الناس عندما لا تتوفر لديهم أمور الحياة بغنى ويوجد نقص في مواردهم.

«**ليس أني أقول من جهة احتياج**» (في٤: ١١)

٢- هنا ذهبي الفم فهم أن بولس الرسول يلتمس العذر لهم جزئياً.

يقول الرسـول: أنا قلت هذا أخيراً ووبختكم ليس عن سـعي مني لما ينفعني ولا انتهرتكم لهذا السبب كأنني في احتياج، لأنني لم أطلبه لهذا السـبب. من أين هـذا يا بولس إنك لا تفتخر باطـلاً؟ فلأهل كورنثوس يقول «**إننا لا نكتب إليكم بشـيء آخر سـوى ما تقـرأون أو تعرفون**» (٢كـو١ : ١٣). وفي هذه الحالة ما كان سـيكلّمهم لكـي يُلاموا، ولو كان يفتخـر ما كان قد تكلم هكذا. إنـه كان يكلم من يعرفون الحقائق (عنه) والتي سيكون اكتشاف أنها غير صحيحة أعظم خزي.

«**فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه**»

إن هذا هدف للتلمذة والتدريب والانتباه، لأنه ليس شـيئاً سهلاً بل هو شيء جديد وفي غاية الصعوبة.

«**قـد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن اسـتفضل. في كل شيء وفي جميع الأشـياء قد تدربت – أي أعرف كيف اسـتخدم القليل وأن احتمل الجوع والعوز – أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص**» (في ٤ : ١١، ١٢).

ربما مـن يقول: لكن لا يوجد هناك احتياج للحكمة أو الفضيلة لكي يستفضل الإنسان. يوجد احتياج للفضيلة لا يقلّ عن الاحتياج في الحالة الأخرى. لأنه كما أن العوز يجعلنا نميل لعمل شرور كثيرة، كذلك أيضاً الوفـرة. لأن كثيريـن مراراً إذ قد حصلوا على الوفرة صاروا متهاونين ولم يعرفوا كيف يحتملون حظهم السـعيد. كثير مـن الناس اتخذوها فرصة لعـدم العمـل بعد ذلك. لكن بولس لم يتصرف هكـذا، لأن ما ناله أنفقه

على آخرين وأفرغ نفســه لأجلهم. هــذه هي المعرفة (التعلم الذي قصده في ع١١). إنه لم يتراخَ أبداً ولا تعاظم بما عنده من فيض، بل كما هو في عــوزه وفي فيضه، فهــو من ناحية لم يتضايق ولم يصر متباهياً من ناحية أخرى.

«**قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص**»

كثــيرون لم يعرفوا كيف يشــبعون (حســناً) كما الإســرائيليين مثلاً «**سمنوا ورفســوا**» (تث٣٢: ١٥)، لكن أنا متدرب حسناً على السواء في كل شيء.

يبين الرســول (هنا) أنه لم يرتفــع الآن ولم يكن من قبل حزيناً، ولو كان حزينــاً فهذا كان من أجلهم وليس من أجل نفســه إذ الأمر ســيان لديه. فهو يقول «**في جميع الأشــياء قــد تدربت**» أي أنني اختبرت كل هذه الأشياء في هذا الوقت الطويل، وكل هذه الأشياء أفلحت معي. لكن حتــى لا يبدو هنا أي افتخار انظر كيف أنه أوقف هذا وقال «**أســتطيع كل شــيء في المســيح الــذي يقويني**» أي أن النجاح ليــس لي بل للذي أعطانــي القوة. لكن حيث إن الذين يمنحون الإحســانات، عندما يرون الآخذ لا يتودد اليهم، بل يحتقر العطايا، فهم أنفسهم يصيرون مُحبطين (لأنهم اعتبروا أنفســهم كمن أعطوا مســاعدة ومعونة وتم احتقارها)، فلو احتقر بولس المعونة، لكان ينبغي لهم بالضرورة أن يصيروا متوانين (عن مواصلة العطاء)، ولكي لا يحدث هذا انظر كيف يشــفيهم بولس ثانية. بما سبق أن قاله من قبل فقد خفض أفكارهم المتكبرة، وبما تبعه جعلهم

ينتعشـــون ســـريعاً بقوله «**غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي**» (في ٤ : ١٤).

انظر كيف أبعد نفسه، ثم وحد نفسه بهم ثانية. هذا هو دور الصداقة الروحية الحقيقية.

يقول الرسول: لا تظنوا لأنني لست في عوز أنني لست في احتياج لهذا العمل منكم. إنني احتجت إليه من أجلكم.

فكيف شـــاركوه في ضيقاته؟ بهذه الوسيلة كما قال وهو في وثقه «**أنتم جميعكـــم شـــركائي في النعمـــة**» (في١ : ٧). لأنها نعمـــة أن نتألم لأجل المســـيح، كما يقول هو نفســـه في موضع آخر «**لأنـــه قد وهب لكم لأجل المســـيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله**» (في١ : ٢٩). ولأن تلك الكلمات في حد ذاتها قد تجعلهم غير مبالين، فلأجل هذا الســـبب هـــو يعزيهـــم ويقبلهم ويمتدحهـــم ثانية. وهذا (المـــدح) في كلمات متزنة (مُحكمة). لأنه لم يقل «**أعطيتم**» بل قال «**اشتركتم**» ليبين أنهم هم أيضاً كانوا مستفيدين بكونهم مشاركين لأتعابه. لم يقل الرسول: إنكم خففتم، بل قال إنكم شاركتم في ضيقاتي، والذي هو أمر أكثر رفعة.

هل ترون تواضع بولس؟ هل ترون طبيعته النبيلة؟ عندما أظهر أنه لم يكن بحاجة إلى عطاياهم من أجل نفسه، استخدم بعد ذلك بطلاقة مثل هذه الكلمات المتضعة كالتي يســـتخدمها من يسألون (فيقولون) «**إذ أنكم اعتدتم على العطاء**». لأنه لا يرفض أن يعمل أو أن يقول أي شيء (يقلل مـــن قيمة عطائهم أو يحبطهم بأن يرفض الأخـــذ). أي (بتعبير آخر) لا

تظنــوا أن كلماتي تظهر عوز الخزي الذي به ألومكم وأقول «**الآن أخيراً انتعشــت**» أو هي كلمات من هو في احتيــاج (فعلي)، أنا لم أتكلم هكذا لأني في احتياج.

لكن لماذا تكلمت هكذا؟ إنني تكلمت هكذا من فرط ثقتي فيكم، وأيضاً السبب في هذا هو أنتم أنفسكم.

هل ترون كيف يلاطفهم؟ كيف (يقول لهم) إنكم مبتكرون لهذا العمل بكونكم أســرعتم للعمل قبل كل الآخريــن وأعطيتموني الثقة أن أذكّركم بهذه الأشياء.

ولاحظوا سموّه، فهو لم يلمهم عندما لم يرســلوا، لئلا يبدو أنه ينظر لمنفعته، بل عندما أرسلوا آنذاك عاتبهم عن الوقت الماضي (الذي توقفوا فيه عن العطاء)، وهم قبلوا العتاب بمحبة لأنه لا يمكن أن يبدو بعد ذلك أنه ينظر لمنفعته الشخصية.

«**وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشــاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم**» (في ٤ : ١٥).

انظروا كم هو عظيم مدحه! لأن أهل كورنثوس وأهل روما اُســتثيروا بســماعهم هذه الأشــياء منه، بينما أهل فيلبي فعلوا هذا من البداية دون أن تسبقهم أية كنيسة أخرى. لأنه يقول إنهم «في بداءة الإنجيل» أظهروا مثل هذه الغيرة من جهة الرســول الطاهر بكونهم أول من بدأوا في حمل

هذا الثمر دون أن يكون أمامهم مثل (يحتذون به). ولا يمكن لأحد القول إنهم فعلوا هذه الأشـياء لأنه أقام معهم، أو لأجل منفعتهم[3]، لأنه يقول «**لما خرجت من مكدونية لم تشـاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والآخذ إلا أنتم وحدكم**».

مـا المقصود بـ «**الأخذ**» و«**تشـاركني**»؟ لمـاذا لم يقـل «**لم تعطني كنيسـة واحدة**» بل قال «**لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ**»؟

لأنها مسألة تبادل للمنفعة.

يقـول الرسـول (لأهـل كورنثـوس): «**إن كنـا نحن قـد زرعنا لكم الروحيات، أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات**» (١كو٩: ١١)، وأيضاً قال «**لكي تكون فضالتكم لأعوازهم**» (٢كو٨: ١٤).

كيف تبادلوا المنفعة؟ في حساب إعطاء الجسديات ونوال الروحيات. لأنه كما أن الذين يبيعون ويشـترون يتعاملون مع بعضهم البعض بتبادل إعطاء مـا لديهم (وهذه هي المعاملة التبادلية)، هكذا أيضاً يكون (الأمر) هنا. لأنه لا يوجد شيء أكثر نفعاً من هذه التجارة. إنه يتم ممارستها على الأرض وتكتمل في السماوات. الذين يشترون على الأرض، لكنهم يشترون وينفقون على السماويات، بينما يقدمون ثمناً أرضياً.

لكن لا تيأس (أيها الفقير)، فالسـماويات لا تُشترى بالمال، لا يمكن

٣- لست أفهم ما المقصود مما تحته خط، ولكن قد يكون المعنى المقصود أن العطاء لم يكن الانتفاع به قاصراً على من هم داخل المدينة، فهذا ما ينفيه في العبارة التالية.

للثروة أن تشتري هذه الأشياء، بل غرض (وقصد) من يعطي المال وحكمته الحقيقية وسموه على الأرضيات ومحبته من جهة الإنسان ورحمته (هي الأمور التي تشتري السماويات وهي في متناول الجميع). لكن إذ لم يكن المـــال بـــل القصد هو الرابح فهي تقبل كل شـــيء يُظهـــره من كان عزمه الذهني تاماً. لذلك ربما من يسأل: ألا يوجد احتياج للمال؟

لا يوجـــد احتياج للمال بـــل للدافع. لو كان لديك الدافع، يمكنك أن تبتاع الســـماء (والسماويات) حتى بفلسين. لماذا؟ لأنه إن كنت يا من لك الكثـــير لم تُعطِ إلا القليل، فحقاً قد أعطيـــت صدقة، لكنك لم تعط أكثر من الأرملة (التي أعطت كل ما عندها وكان فلسين)، لأنك لم تعط بنفس اســـتعدادها. لأنها حرمت نفسها من كل ما هو لها أو بالأحرى لم تحرم نفسها بل أعطت الكل كهبة مجانية من نفسها.

إن الله لم يعد بالملكوت من أجل كأس ماء بارد، بل لأجل اســـتعداد القلب، ليس من أجل الموت (في حد ذاته)، بل لأجل قصد الذهن، لأن كأس ماء بارد ليس هو في الواقع شيء عظيم.

«فإنكـــم في تســـالونيكي أيضـــاً أرســـلتم إلـــيّ مرة ومرتـــين لحاجتي» (في ٤ : ١٦).

وهنا أيضاً مدح عظيم لهم في أنه عندما كان يقيم في العاصمة (تسالونيكي) كان يقتات من مدينة صغيرة. ولئلا بانسحابه الدائم من افتراض العوز كما قلت من قبل، يجعلهم مســـتاءين، إذ قد بيّن من قبل بأدلة كثيرة أنه لم يكن في عوز، هنا يفعل هذا بكلمة واحدة فقط بقوله «**لحاجتي**»..

«**ليس إني أطلب العطية**» (في٤ : ١٧).

كما قال سابقاً: «**ليس إني أقول من جهة احتياج**» (في٤ : ١١). فتلك العبارة هي أقوى من هذه. لأن من هو في احتياج ولا يطلب شيئاً فهذا شيء، ومن هو في احتياج ولا يعتبر نفسه في احتياج شيء آخر.

«**ليس إني أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم**» (في٤ : ١٧)، وليس لحسابي.

هل ترون أن الثمر منُتج لحسابهم؟

يقول الرسول: هذا أقوله لأجلكم وليس لأجلي، بل أقوله لأجل خلاصكم. لأني لا أربح شيئاً عندما آخذ بل النعمة تتعلق بالمعطين، لأن المكافأة محفوظة هناك للمعطين، لكن العطايا تُستنفذ هنا بواسطة الذين يأخذون.

وأيضاً فإن رغبته ممتزجة بالمدح والتعاطف. عندما قال لست أطلب، فلئلا يجعلهم من جديد متوانين (عن مواصلة العطاء) أضاف قوله:

«**ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت**» (في٤ : ١٨).

أي أنكم ملأتموني من خلال هذه العطية بما كنت أحتاجه، الأمر الذي يجعلهم غيورين أكثر بالنسبة للمحسنين، كلما كانوا أكثر حكمة، كلما طلبوا بالأكثر العرفان بالجميل من المحسن إليهم. أي أنتم ليس فقط وفيتم ما كان ناقصاً في الوقت السابق بل ذهبتم أبعد من هذا. لأنه لئلا يبدو بهذه الكلمات أنه يلومهم، انظر كيف يختم seal up على

الـكل. فبعد أن قال «**ليس إني أطلب العطية**» وقوله «**الآن**» (في٤ : ١٠)، وأظهـر أن عملهم كان ديْنَاً، لأن هذا هو المقصود بعبارة «**اسـتوفيت كل شيء**». بعد ذلك يُظهر ثانية أنهم تصرفوا فوق ما كان مفروضاً وقال «**قد اسـتوفيت كل شيء واستفضلت. قد امتلأت**»، لست أقول هذا جزافاً أو لمجرد شعور نابع من ذهني، لكن لماذا أقول هذا؟

«**إذ قبلت من أبفرودتس الأشـياء التي من عندكم نسـيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله**» (تابع في٤ : ١٨).

انظـر إلى أين رفع عطيتهم، فيقول: لسـت أنا الـذي نلتها بل الله نالهـا مـن خلالي. (وكأن الله يقول) لذلك ولـو أني في غير احتياج، لم أرفضهـا (حرفياً لم أنظر إليها). لأن الله غير محتاج (لشـيء من أحد). وهـو تقبلها منهـم بهذه الكيفية حتى إن الكتـاب المقدس لم يتورع عن القول «**تنسـم الرب رائحة الرضا**» (تـك٨ : ٢١)، وهي عبارة تدل على أنه كان مسـروراً (بهـا). لأنكم تعلمون كيف أن نفوسـنا تتأثر بالروائح الطيبة، وكيف أنها تُسـرّ وتفرح بها. لذلك لم يتورع الكتاب المقدس عن أن يطبق على الله كلمات هكذا بشـرية وبهذه الوضاعة (إذ لا تناسـبه) لكي يبين للناس أن عطاياهم صارت مقبولة لديه. لأن ليس الشـحم ولا الدخان هو الذي يجعلها مقبولة بل قصد ذهن (واسـتعداد القلب) الذي يقدمهـا. لو كان العكس، لكانت قد قُبلت تقدمة قايين أيضاً. لذلك قيل إنه أيضاً (هنا) قد انشـرح وكيف أنه صار مسـروراً. لأنه لا يمكن للبشر بـدون هذا أن يعلموا إن كانت قد قُبلت أو لم تُقبل. إذ أن ذاك الذي هو بدون احتياج قيل إنه هكذا صار مسروراً لكي لا يصيروا مُحبطَين لغياب

عنصر الاحتياج لديه.

وبعد ذلك عندما لم يعد لهم (أي لبني إسرائيل) اهتمام بالفضائل الأخرى واتكلوا على تقدماتهم فقط، أنظر كيف يعيدهم مرة ثانية إلى جادة الصواب بقوله «**هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟**» (مز٥٠: ١٣). وهذا ما قاله بولس أيضاً «**ليس إني أطلب العطية**».

«**فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع**» (في٤: ١٩).

انظر كيف يدعو لهم بالبركات كما يفعل الفقراء. لكن إن كان بولس نفسه يبارك من يعطون، فكم بالأولى لا ينبغي لنا أن نخزى من فعل هذا عندما ننال (شيئاً من أحد). ليتنا لا نأخذ كأننا نحن أنفسنا احتجنا، ليتنا لا نبتهج لأجل أنفسنا بل من أجل المعطين. وهكذا نحن أيضاً الآخذين ستكون لنا مكافأة، لو إننا ابتهجنا لأجلهم. وهكذا لن نتذمر عندما لا يعطي الناس، بل بالأحرى نحزن لأجلهم. وهكذا سنجعلهم أكثر حماساً (للعطاء) لو علّمناهم أنه ليس لأجل ذواتنا نحن نتصرف هكذا، بل لكي يملأ «**إلهي**» كل احتياجاكم ويملأكم بكل نعمة وكل فرح.

وكما قال «**لم تكن لكم فرصة**» هنا يضع إضافة كما فعل في الرسالة إلى أهل كورنثوس بقوله «**والذي يقدم بذارا للزارع وخبزاً للآكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمّي غلاّت برّكم**» (٢كو٩: ١٠). إنه يدعو لهم بالبركات حتى يمتلأوا ويكون لهم ما يزرعونه، ويباركهم أيضاً ليس فقط لكي

يمتلأوا، بل (أيضاً) يمتلأوا «**بحسب غناه**». حتى إن هذا أيضاً قد عُمل بتعبيرات مُحكمة (متزنة). لأنه لو كانوا – كما كان هو– هكذا بالحق حكماء وهكذا مصلوبين (للعالم) لما كان بولس فعل هذا، لكن لأنهم كانوا عمالاً وفقراء ولهم زوجات ويربون أولاداً ويدبرون أسرهم ولهم بعض الرغبات في أمور هذا العالم، لذلك هو باركهم بطريقة تناسبهم. لأنه يليق أن تدعو بالملء والفيض لمن يستخدمون مواردهم هكذا.

انظر أيضاً ما قاله، فهو لم يقل «**ليته يجعلكم أغنياء وتفيضون جداً**»، بل ماذا قال؟ «**ليملأ إلهي كل احتياجكم**» حتى لا تكونوا في عوز، وتكون لكم الأشياء الضرورية. لأن المسيح أيضاً عندما أعطانا صيغة للصلاة، وضع أيضاً هذا الأمر في الصلاة عندما علّمنا أن نقول «**خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم**» (مت٦ : ١١).

«**بحسب غناه**»

أي بحسب عطيته المجانية، فهذا شيء سهل وممكن وسريع بالنسبة له. وحيث إنني تحدثت عن الاحتياج، فلا تظنوا أنه سيدفعكم إلى الضيقات (والعسر). لذلك أضاف قوله «**بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع**» لذلك فكل الأشياء ستفيض لكم حتى إنها تكون لكم لمجده، أو أنتم لا تكونون في عوز لشيء (لأنه مكتوب «**ونعمة عظيمة كانت على جميعهم. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً**» أع٤ : ٣٣، ٣٤) أو لكي تعملوا كل الأشياء لمجده، كما لو كان قال حتى تستخدموا فيضكم لمجده.

«ولله وأبينا المجد إلى دهر الدهرين آمين» (في ٤ : ٢٠).

لأن المجد الذي يتكلم عنه لا يخص الابن فقط بل هو للآب أيضاً، لأنه عندما يتمجد الابن، يتمجد الآب أيضاً. لأنه عندما قال إن هذا يُعمل لمجد المسيح، فلئلا يفترض أحد أن هذا لمجده فقط، لذلك أكمل قوله «**ولله وأبينا المجد**» الذي هو نفس المجد الذي دُفع للابن.

«سلّموا على كل قديس في المسيح يسوع» (في ٤ : ٢١)

هذا أيضاً ليس أمراً زهيداً، لأنه دليل على ود عظيم أن يسلّم عليهم من خلال الرسائل.

«يسلّم عليكم الإخوة الذين معي»

ولكن أنت قلت (من قبل) «**لأن ليس لي أحد نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص**» فكيف تقول الآن «**الإخوة الذين معي**»؟

(ربما يقصد) لأن ليس لي أحد نظيره من الذين معي،

«يسلّم عليكم جميع القديسين ولاسيما الذين من بيت قيصر. نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم» (في ٤ : ٢٢، ٢٣).

لقد رفعهم وقوّاهم بإظهار أن كرازته وصلت إلى بيت القيصر. لأنه إن كان الذين في بيت قيصر قد ازدروا بكل شيء من أجل ملكوت السماوات، فكم بالأولى ينبغي لهم أن يفعلوا هذا. وهكذا أيضاً دليل على محبة بولس لهم، وأنه قد أخبر عنهم أشياء كثيرة وقال كلمات عظيمة بشأنهم. لذلك

هو أيضاً قاد الذين كانوا في بيت قيصر لأن يشتاقوا إليهم، حتى إن الذين لم يروهم قط يسلّمون عليهم. وخصوصاً لأن المؤمنين كانوا في ضيق آنذاك، فإن حبه كان عظيمــاً. والذين كانوا غير متواجدين مع بعضهم البعض، كانوا متحدين سوياً كما لو كانوا أعضاء حقيقية (في جسد مادي واحد). والفقــير كان موقفه موقفاً ودياً نحو الغني، وكذلك الغني نحو الفقير ولم يكن هناك ترفع إذ الكل كانوا مُبغضَين ومنبوذين لنفس السبب. لأنه كما أن الأسـرى الذين يؤخذون من مدن مختلفة يحتضنون بعضهم بلهفة إذ أن بليتهم المشتركة وحدت بينهم، هكذا أيضاً المسيحيون في ذلك الوقت كان لهم حــب عظيم لبعضهم البعض، فشــركة ضيقاتهم واضطهاداتهم وحدتهم سوياً.

لأن الضيقة رابطة لا تنفصم، وتسـبب ازدياداً في المحبة وهي فرصة للتوبة والتقوى. اسمع كلمات داود النبي «**خير لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضــك**» (مز١١٩ : ٧١)، واسمع أيضاً نبياً آخر يقول «**جيد للرجل أن يحمــل النير في صباه**» (مرا ٣ : ٢٧)، وأيضاً اسمع لآخر قال «**يا ابني لا تحتقــر تأديب الرب**» (أم٣ : ١١)، و«**يــا بُني إذا تقدمت لخدمة الرب أعدد نفســك للتجربة**» (بن سير ٢ : ١). والمسيح أيضاً قال لتلاميذه «**في العالم ســيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا**» (يو١٦ : ٣٣)، وأيضاً «**ســتبكون وتنوحــون والعالم يفرح**» (يو١٦ : ٢٠)، وأيضاً «**ما أضيق الباب وأكرب الطريق**» (مت٧ : ١٤). هل ترون كيف أن الضيقة تُمجد في كل مكان، وفي كل موضع تُفرض كشيء نحن في احتياج إليه؟ لأنه إن كان في مسابقات العالم (الرياضية) لا أحد ينال الإكليل ما لم يجاهد ويقوي نفســه ببذل

الجهد والامتناع عن الأطايب، والحياة بحسب قانون وبأسهار وبأشياء أخرى لا تُعد، فكم بالأولى يكون الأمر هنا. إذ من ستذكرونه كمثال (لعدم الضيق) هل هو الملك؟ ولا حتى هذا يحيا حياة خالية من الهمّ، بل هو مُحمّل بضيق كثير وقلق شديد. ليس لكم أن تنظروا إلى تاجه، بل انظروا إلى بحر همومه التي جلبها له تاجه. لا تنظروا إلى ثوبه الأرجواني، بل انظروا إلى نفسه التي هي داكنة أكثر من الأرجوان. لا تنظروا إلى كثرة رجاله الحاملين الرماح، بل انظروا إلى كثرة قلاقله وانزعاجاته. لأنه لا يمكن أن تجد بيتاً عادياً مُحمّلاً بهموم كثيرة كقصر الملك...[٤]

نحن قد علمنا هذه الحوادث من مؤرخي العالم، لكن إن أردتم سأضيف أمثلة من الكتاب المقدس أيضاً. كان شاول أول ملوك إسرائيل، وأنتم تعرفون كيف هلك بعد أن ارتكب شروراً بلا عدد. وبعده داود وسليمان وأبيا وحزقيا ويوشيا، بنفس الطريقة (اجتازوا أتعاباً). لأنه يستحيل أن يعبر الإنسان هذه الحياة الحاضرة بدون الضيق والتعب وغم القلب. لكن ليتنا لا نجزع من أجل تلك الأشياء التي يحزن لها الملوك، بل من أجل تلك التي نجني منها منفعة عظيمة. «**لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة**» (٢كو٧: ١٠). ينبغي لنا أن نحزن من أجل هذه الأشياء، ولأجل هذه الأشياء ينبغي أن نتألم وتنتخس قلوبنا، فهكذا حزن بولس لأجل الخطاة، وهكذا بكى لأجلهم «**لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة**»

٤- استفاض ذهبي الفم هنا في ذكر أحداث مرعبة جرت في قصور الملوك من قتل واغتيال للأقربين ووضع السموم في الطعام وهموم الملك في الحروب وانزعاجه من أحلام الليل المرعبة.. وآثرت من باب الاختصار التغاضي عن هذا الجزء.

(٢كو٢ : ٤) لأنه عندما لم يكن له سبب للحزن من أجل نفسه، حزن هكذا من أجل آخرين أو بالأحرى هو اعتبر تلك الأشياء (المحزنة) هي أيضاً (محزنة) له على الأقل إلى المدى الذي مضى إليه الحزن. كثيرون عثروا وهو التهب (لأجلهم)، كثيرون كانوا ضعفاء وهو كان ضعيفاً. مثل هذا الحزن كان حزناً جيداً وكان سامياً فوق كل فرح دنيوي. إنني أفضّل من يحزن هكذا (وأقدّره) فوق كل الناس، والله نفسه يصرح بطوباوية ذاك الذي يحزن هكذا ويكون متعاطفاً (مع غيره). إنني لا أبدي إعجاباً كثيراً به في الأخطار (التي يتعرض لها)، بل بالأحرى أُعجب به أقل في الأخطار التي يموت فيها يومياً، لكن هذا الحزن لا يزال يأسرني بالأكثر. لأنه جاء من نفس مكرسة لله وممتلئة وداً، جاء من الحب الذي يطلبه المسيح، من تعاطف أبوي وأخوي، أو بالأحرى مما هو أعظم من كل هؤلاء. هكذا ينبغي لنا أن نتأثر وهكذا ينبغي لنا أن نبكي. لأن مثل هذه الدموع مملوءة بهجة عظيمة، إن حزناً مثل هذا هو الأساس للفرح.

ولا تقل لي: ما الذي يجنبه الذين أحزن لأجلهم من تصرفي هذا؟

ولو أننا لن نفيد أبداً من نحزن لأجلهم، فعلى كل حال سنفيد نفوسنا. لأن الذي يحزن هكذا لأجل الآخرين، كم بالأولى سيفعل هذا لأجل نفسه. الذي يبكي لأجل خطايا الآخرين، لن يجعل تعدياته تمر دون أن يبكي عليها أو بالأحرى لن يخطئ بسرعة. لكن هذا أمر فظيع أنه بينما أُمِرنا أن نحزن لأجل من أخطأوا، نحن أنفسنا لا نُظهر أية ندامة عن خطايانا ذاتها، بل عندما نخطئ نظل بدون شعور بخطيتنا ونهتم بأي شيء آخر غير خطايانا. من أجل هذا السبب نحن نفرح فرحاً

تافهـــاً، الذي هو من فـــرح العالم وفي الحال ينطفئ (ذلك) الفرح ويجلب أحزانـــاً لا حصـــر لها. لذلك ليتنا نحزن الحـــزن الذي هو مصدر الفرح، وليتنا لا نفرح بالفرح الذي يجلب الحزن. ليتنا نسكب الدموع التي هي بذار الفرح العظيم ولا نضحك الضحك الذي يجلب لنا صرير الأسنان.

ليتنا نحزن حزناً ينبع منه راحة وليتنا لا نســعى للترف الذي يتولد منه الضيــق والألم. ليتنا نتعب قليلاً على الأرض، لكيما يكون لنا تمتع دائم في الســموات. ليتنا نضيق على أنفســنا في هذه الحياة المؤقتة لكيما ندرك الراحة في تلك الحياة التي لا تنتهي. ليتنا لا نتهاون في هذه الحياة القصيرة الأجل لئلا نتأوه في تلك الحياة التي لا تنتهي.

هــل ترون كم أن كثيرين في ضيق وغم من أجــل أمور دنيوية؟ اعتبر نفســك أيضاً واحداً منهم واحتمل ضيقك وغمك مغذياً نفســك على رجاء الآتيات. فأنت لســت أفضل من بولس أو بطرس اللذين لم يدركا الراحة أبــداً وأمضيا كل حياتهمــا في الجوع والعطش والعري. فإن كنت تود أن تقتني نفس الأمجاد معهما، فلماذا تسير في طريق مخالف؟ لو كنت تريد أن تصل لتلك المدينة التي اُعتبروا جديرين بها، فســر على نفس الطريق المؤدي إلى هناك.

إن طريق الراحة لا يؤدي إلى هناك، بل طريق الضيق والتعب. الأول رحب والطريق الآخر ضيق. ليتنا نسير عبر هذا الطريق الضيق لكي ندرك الحياة الأبدية في المســيح يســوع ربنا الذي له مــع الآب والروح القدس المجد والإكرام والقوة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

تم الانتهاء من ترجمة تفسـير رسـالة فيلبي عشية الثلاثاء ٢٨ يونيو ١٩٩٤م الموافق تكريس كنيسة العذراء في فيلبي.

لم يستطع القديس يوحنا ذهبى أن يخفي إعجابه الشديد بالقديس بولس فبعد أن قرأنا كتابه عنه ووصفه بـ " الرسول المحب والمجاهد الشجاع " نجده يبحر فى رحلة طويلة عبر رسائله يستخلص منها دروساً وتعاليم فى صورة جواهر لاهوتية وروحية عميقة، وهو هنا فى عظاته لا يقدم تفسيراً تقليدياً بقدر ما يحول رسائل بولس إلى خطابات محبة لأبنائه وللأجيال المتعاقبة على مدى الزمن.

قالوا عنه

"عظيم فى كتاباته الدسمة فى مواضيع كثيرة أهمها عظاته عن التوبة ولاهوت المسيح وتفاسير الكتاب المقدس"

الأنبا بطرس - الأسقف العام بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية

"صوت يتردد صداه منذ أكثر من ألف وستمائة سنة ولا زالت طاقته الروحية تتدفق عبر القرون. كتاباته أزهار روحية تزهو بألوانها فى البستان الروحى"

الأنبا يوحنا قلته - النائب البطريركى للأقباط الكاثوليك

" شجاعته منقطعة النظير جعلته لا يعبأ باضطهاد الإمبراطور الرومانى له واستبعاده من مكانه كأسقف القسطنطينية. كتاباته تعتز بها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية والأسقفية "

المطران د.منير حنا أنيس
مطران الكنيسة الأسقفية بمصر







دار النشر الأسقفية